سبيل العرفان
في
بيان شعب الإيمان

محمد الدغوغي

كتوباتي
kotobati

سبيل العرفان

في

بيان شعب الإيمان

محمد الدغوغي

الكتاب: سبيل العرفان في بيان شعب الإيمان
جمع وتأليف: محمد الدغوغي
النوعية: ديني
الإصدار: 2024
تصميم وتنسيق: مكتبة كتوباتي
الناشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي

support@kotobati.com

www.kotobati.com

وكل الحقوق محفوظة لدى المؤلف.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد: عزيزي القارئ

أقدم لك هذا الكتاب المتواضع والذي يحمل بين صفحاته مجموعة من المواضيع وسميته (سبيل العرفان في بيان شعب الإيمان)والذي يجعلك أخي القارئ تتوصل الى مفهوم الدين الصحيح معتمدا على القران الكريم والاحاديث الصحيحه مما رواه الإمام البخاري ومسلم

وقد لخصت مما أورداه في كتابيهما وقسمته الى مايلي :

* أعمال القلب،

*أعمال اللسان،

*أعمال البدن:

فأعمال القلب فيه المعتقدات والنيات، وتشتمل على أربع وعشرين خصلة: الإيمان بالله، بذاته وصفاته وتوحيده بأنه ليس كمثله شيء، واعتقاد حدوث ما دونه، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله، والقدر خيره وشره، والإيمان باليوم الآخر، ويدخل فيه مسألة القبر والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط والجنة والنار ومحبة الله والحب والبغض فيه، ومحبة النبي ﷺ واعتقاد تعظيمه، ويدخل فيه الصلاة عليه و اتباع سنته، والإخلاص، ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق والتوبة والخوف والرجاء والشكر والوفاء والصبر والرضا بالقضاء

والتوكل والرحمة والتواضع، ويدخل فيه توقير الكبير ورحمة الصغير وترك الكبر والعجب وترك الحسد وترك الحقد وترك الغضب.

وأعمال اللسان وتشتمل على سبع خصال:

التلفظ بالتوحيد، وتلاوة القرآن، وتعلم العلم، وتعليمه. والدعاء، والذكر ويدخل فيه الاستغفار واجتناب اللغو.

وأعمال البدن، وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة منها ما يختص بالأعيان، وهي خمس عشرة خصلة: التطهير حسا وحكما، ويدخل فيه اجتناب النجاسات، وستر العورة والصلاة فرضا ونفلا والزكاة كذلك. وفك الرقاب والجود ويدخل فيه إطعام الطعام و إكرام الضيف والصيام فرضا ونفلا، والحج والعمرة كذلك، والطواف والاعتكاف والتماس ليلة القدر، والفرار بالدين ويدخل فيه الهجرة من دار الشرك والوفاء بالنذر والتحري في الأيمان وأداء الكفارات.

ومنها ما يتعلق بالاتباع وهي ست خصال:

التعفف بالنكاح والقيام بحقوق العيال وبر الوالدين وفيه اجتناب العقوق وتربية الأولاد وصلة الرحم وطاعة السادة والرفق بالعبيد.

ومنها ما يتعلق بالعامة، وهي سبع عشر خصلة:

القيام بالإمارة مع العدل ومتابعة الجماعة، وطاعة ولي الأمر والإصلاح بين الناس، ويدخل فيه المعاونة على البر، ويدخل فيه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، و إقامة الحدود، وأداء الأمانة، ومنه أداء الخمس، والقرض مع وفائه وإكرام الجار وحسن المعاملة وفيه جمع المال من حله و إنفاق المال في حقه ومنه ترك التبذير والإسراف ورد السلام وتشميت العاطس وكف الأذى عن الناس،

واجتناب اللهو وإماطة الأذى عن الطريق، فهذه تسع وستون خصلة ويمكن عدها تسعا وسبعين خصلة باعتبار إفراد ما ضم بعضه إلى بعض مما ذكر.

فبهذا الكلام الحسن والتصنيف البديع يتبين المراد بشعب الإيمان فيما يظهر، والعلم عند الله تعالى.

اسأل الله سبحانه وتعالى ان ينفع به الجميع.وبالله التوفيق

بقلم العبد الضعيف:

محمد الدغوغي

الفهرس

مقدمة 3

باب أعمال القلب 10

الإيمان بالله 11

الإيمان بالملائكة 19

الإيمان بالكتب 29

الإيمان بالرسل 32

الإيمان باليوم الآخر 46

الإيمان بالقدر 49

الإيمان بعذاب القبر ونعيمه 52

الإيمان بالبعث 56

الإيمان بالحساب 71

الإيمان بالميزان 75

الإيمان بالصراط 82

الإيمان بالجنة 86

الإيمان بالنار 88

محبة الله 94

محبة النبي ﷺ 101

الصلاة على النبي ﷺ 108

الإخلاص.. 113
الرياء 125
النفاق 129
التوبة 134
الخوف 137
الرجاء 140
الشكر.. 142
الوفاء 144
الصبر.. 157
التوكل.. 165
الرحمة.. 170
التواضع.. 173
الكبر.. 178
العجب 182
الحسد 191
الغضب 196
باب أعمال اللسان.. 200
تلاوة القرآن 201
طلب العلم 203
الدعاء 207
الذكر.. 212
الإستغفار.. 215

الغيبة 220
النميمة.. 224
الكذب 227
الصدق 231
باب أعمال البدن 234
الطهارة.. 235
الصلاة 237
الزكاة.. 242
الصوم 247
الحج.. 253
العمرة 256
بر الوالدين.. 262
تربية الأبناء.. 266
صلة الرحم 270
الرفق 276
العدل.. 279
الإصلاح بين الناس.. 282
التعاون 285
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 291
الإسراف والتبذير.. 296
محاسبة النفس 301
الحِلم 306

الحياء 309
العفة.. 314
إماطة الأذى عن الطريق 317

باب أعمال القلب

الإيمان بالله

معنى الإيمان بالله

الإيمان بالله هو الاعتقاد الجازم بوجوده سبحانه وتعالى، وربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

أربعة أمور لا بد منها لتحقيق الإيمان بالله

الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور، فمن آمن بها فهو المؤمن حقاً.

الأول: الإيمان بوجود الله تعالى

ووجود الله تعالى قد دل عليه العقل والفطرة، فضلاً عن الأدلة الشرعية الكثيرة التي تدل على ذلك.

1- أما دلالة الفطرة على وجود الله: فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها، ولذلك قال النبي ﷺ: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ) رواه البخاري

2- وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى؛ فلأن هذه المخلوقات اولها وآخرها لا بد لها من خالق أوجدها، إذ لا يمكن أن توجِدَ نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجد صدفة.

فهي لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها لأن الشيء لا يَخلق نفسَه، لأنه قبل وجوده معدوم، فكيف يكون خالقاً؟!

ولا يمكن أن توجد صدفة، لأن كل حادث لا بد له من محدث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع المحكم، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده، فكيف يكون منتظماً حال بقائه؟!

وإذا لم يمكن أن تُوجِد هذه المخلوقات نفسَها بنفسها، ولا أن توجَد صدفة، تعين أن يكون لها موجِدٌ وهو الله رب العالمين.

من الأدلة العقلية على وجود الله في القرآن الكريم

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطور، حيث قال: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) الطور

يعني أنهم لم يخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى، ولهذا لما سمع جبير بن مطعم رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات: (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون. أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون. أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون) الطور

وكان جبير يومئذ مشركاً قال: (كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي) رواه البخاري في عدة مواضع.

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك:

فإنه لو حدثك شخص عن قصر مشيد، أحاطت به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، وملئ بالفُرُش والأَسِرّة، وزُيِّن بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك: إن هذا القصروما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أووجد هكذا صدفة بدون موجد، لبادرت إلى إنكارذلك وتكذيبه، وعددت حديثه سفهاً من القول، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه، وسمائه، و أفلاكه، البديعُ الباهرُ، المحكَم المتقَنُ قد أوجد نفسه، أووجد صدفة بدون موجد؟!

وقد فهم هذا الدليل العقلي أعرابي يعيش في البادية، وعَبَّرعنها بأسلوبه، فلما سُئِل: بم عرفت ربك؟ فقال: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على السميع البصير؟!!

ثانياً: الإيمان بربوبيته تعالى

أي: بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين.

والرب: هو من له الخلق، والملك، والتدبير، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا الله، ولا مدبر للأمور إلا الله، قال الله تعالى: (أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ) الأعراف وقال تعالى: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَوَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ) يونس

وقال تعالى: (يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ) السجدة /5. وقال: (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) فاطر

وتأمل قول الله تعالى في سورة الفاتحة: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) الفاتحة /4. وفي قراءة متواترة (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) وإذا جمعت بين القراءتين ظهر معنى بديع، فالملك أبلغ

من المالك في السلطة والسيطرة، لكن الملك أحياناً يكون ملكاً بالاسم فقط لا بالتصرف، أي أنه لا يملك شيئاً من الأمر، وحينئذٍ يكون ملكاً ولكنه غير مالك، فإذا اجتمع أن الله تعالى ملكٌ ومالكٌ تم بذلك الأمر، بالملك والتدبير.

الثالث: الإيمان بألوهيته

أي: بأنه الإله الحق لا شريك له.

و(الإله) بمعنى (المألوه) أي: (المعبود) حباً وتعظيماً، وهذا هو معنى (لا إله إلا الله) أي: لا معبودَ حقٌّ إلا الله. قال تعالى: (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) البقرة

وقال تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) آل عمران

وكل ما اتخذ إلهاً مع الله يعبد من دونه فألوهيته باطلة، قال الله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) الحج

وتسميتها آلهة لا يعطيها حق الألوهية. قال الله تعالى في (اللات والعزى ومناة): (إِنْ هِيَ إِلا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ) النجم

وقال تعالى عن يوسف عليه السلام أنه قال لصاحبي السجن: (أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ- مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ) يوسف

فلا يستحق أحد أن يعبد، ويفرد بالعبادة إلا الله عزوجل، لا يشاركه في هذا الحق أحدٌ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولهذا كانت دعوة الرسل كلهم من أولهم إلى

آخرهم هي الدعوة إلى قول (لا إله إلا الله) قال الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ) الأنبياء

وقال: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) النحل

ولكن أبى ذلك المشركون، و اتخذوا من دون الله آلهة، يعبدونهم مع الله سبحانه وتعالى، ويستنصرون بهم ويستغيثون.

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته

أي: إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به سبحانه من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل. قال الله تعالى: (وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) الأعراف

فهذه الآية دليل على إثبات الأسماء الحسنى لله تعالى. وقال تعالى: (وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) الروم

وهذه الآية دليل على إثبات صفات الكمال لله تعالى، لأن (المثل الأعلى) أي: الوصف الأكمل. فالآيتان تثبتان الأسماء الحسنى والصفات العلى لله تعالى على سبيل العموم. وأما تفصيل ذلك في الكتاب والسنة فكثير.

وهذا الباب من أبواب العلم، أعني: أسماء الله تعالى وصفاته من أكثر الأبواب التي حصل فيها النزاع والشقاق بين أفراد الأمة، فقد اختلفت الأمة في أسماء الله تعالى وصفاته فرقاً شتى.

وموقفنا من هذا الاختلاف هو ما أمر الله به في قوله: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) النساء

فنحن نرد هذا التنازع إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ مسترشدين في ذلك بفهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهذه الآيات والأحاديث، فإنهم أعلم الأمة بمراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ. ولقد صدق عبد الله بن مسعود وهو يصف أصحاب النبي ﷺ فقال: (من كان منكم مستنا، فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، و أقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لإقامة دينه، وصحبة نبيه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم).

وكل من حاد عن طريق السلف في هذا الباب فقد أخطأ وضل و اتبع غير سبيل المؤمنين واستحق الوعيد المذكور في قوله تعالى: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً) النساء

والله تعالى قد اشترط للهداية أن يكون الإيمان بمثل ما آمن به أصحاب النبي ﷺ وذلك في قوله تعالى: (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا) البقرة

فكل من بَعُدَ وحاد عن طريق السلف فقد نقص من هدايته بمقدار بعده عن طريق السلف.

وعلى هذا فالواجب في هذا الباب إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، وإجراء نصوص الكتاب والسنة على ظاهرها، والإيمان بها كما آمن أصحاب النبي ﷺ ورضي عنهم، الذين هم أفضل هذه الأمة وأعلمها.

أربعة أمور تنافي تحقيق الإيمان بأسماء الله وصفاته

ولكن يجب أن يعلم أن هناك أربعة محاذير من وقع في واحد منها لم يحقق الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته كما يجب، ولا يصح الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته إلا بانتفاء هذه المحاذير الأربعة وهي: التحريف، والتعطيل، والتمثيل، والتكييف.

ولذلك قلنا في معنى الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته هو (إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل).

وهذا هو بيان هذه المحاذير الأربعة باختصار:

1التحريف:

والمراد به تغيير معنى نصوص الكتاب والسنة من المعنى الحق الذي دلت عليه، والذي هو إثبات الأسماء الحسنى والصفات العلى لله تعالى إلى معنى آخر لم يرده الله تعالى ورسوله ﷺ.

مثال ذلك:

تحريفهم معنى صفة اليد الثابتة لله تعالى والواردة في كثير من النصوص بأن معناها النعمة أو القدرة.

2 .التعطيل:

والمراد بالتعطيل نفي الأسماء الحسنى والصفات العلى أو بعضها عن الله تعالى. فكل من نفى عن الله تعالى اسماً من أسمائه أو صفة من صفاته مما ثبت في الكتاب أو السنة فإنه لم يؤمن بأسماء الله تعالى وصفاته إيماناً صحيحاً.

3 .التمثيل:

وهو تمثيل صفة الله تعالى بصفة المخلوق، فيقال مثلاً: إن يد الله مثل يد المخلوق. أو إن الله تعالى يسمع مثل سمع المخلوق. أو إن الله تعالى استوى على العرش مثل استواء الإنسان على الكرسي... وهكذا.

ولا شك أن تمثيل صفات الله تعالى بصفات خلقه منكر وباطل، قال الله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) الشورى

4 .التكييف:

وهو تحديد الكيفية والحقيقة التي عليها صفات الله تعالى، فيحاول الإنسان تقديراً بقلبه، أو قولاً بلسانه أن يحدد كيفية صفة الله تعالى.

وهذا باطل قطعاً، ولا يمكن للبشر العلم به، قال الله تعالى: (وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً) طه

فمن استكمل هذه الأمور الأربعة فقد آمن بالله تعالى إيماناً صحيحاً.

نسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان ويتوفانا عليه.

والله تعالى أعلم

الإيمان بالملائكة

"الملائكة " في أصل اللغة جمع ملك، وهو مشتق من الألوكة، أي: الرسالة، أو مشتق من الملك بفتح الميم وتسكين اللام، وهو الأخذ بقوة، أما تعريفهم في الشرع: " فهي أجسام لطيفة، أعطيت قدرة على التشكل، بأشكال مختلفة، ومسكنها السموات " وعلى هذا جمهور العلماء، كما نقل ذلك الحافظ ابن حجر.

وجوب الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة: هو الاعتقاد الجازم بوجودهم، وأنهم مخلوقون لله سبحانه، قال تعالى: {ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة)البقرة

والإيمان بالملائكة: ركن من أركان الإيمان، فلا يصح إيمان العبد إلا به، وقد دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، قال تعالى:} آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله {البقرة

وفي حديث جبريل المشهور، قال ﷺ عندما سئل عن الإيمان: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره) رواه مسلم، وأجمع المسلمون قاطبة على وجوب الإيمان بالملائكة، وعليه فمن أنكر وجود الملائكة من غير جهل يعذر به فقد كفر، لتكذيبه القرآن في نفي ما أثبته، وقد قرن الله عزوجل الكفر بالملائكة بالكفر به، قال تعالى:} ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا {النساء

والإيمان بالملائكة ليس على درجة واحدة، فهناك الإيمان المجمل، وهو الإيمان بوجودهم، وأنهم خلق من خلق الله سبحانه، وهذا القدر من الإيمان بالملائكة واجب على عموم المكلفين، وهناك الإيمان التفصيلي، وذلك بمعرفة ما يتعلق

بالملائكة مما ورد به الشرع المطهر، وطلب هذا واجب على الكفاية، فلا يطالب به كل مكلف، بل هو واجب على مجموع الأمة، بحيث إذا قام به البعض، وحصلت بهم الكفاية، سقط عن الآخرين.

مرتبة الملائكة عند ربهم

لعل من أعظم الآيات، التي تدل على عظم مكانة الملائكة عند ربهم، قوله تعالى: {شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم}آل عمران

ووجه الدلالة؛ أن الله احتج بشهادتهم على أعظم مشهود على الإطلاق، وهو توحيده سبحانه، وقرن شهادتهم بشهادته، والله لا يستشهد من خلقه إلا من عظم قدره عنده، فهذه الآية تدل على علو قدرهم ومكانتهم.

صفات الملائكة الخلقية والخلقية:

خلقت الملائكة من نور، كما ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها، وكان خلقهم متقدما على خلق البشر، كما دل على ذلك ما قصه القرآن علينا من قصة خلق آدم عليه السلام، قال تعالى:} وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة {(البقرة:30). فالآية واضحة الدلالة على أن وجود الملائكة سابق لوجود البشر.

وتشير النصوص إلى عظم خلق الملائكة من حيث الجملة، كما في وصف الملائكة الموكلة بالنار:} غلاظ شداد {التحريم وقال تعالى في وصف جبريل عليه السلام:} ذي قوة {التكوير

وقال ﷺ في وصف جبريل أيضا: (رأيته منهبطا من السماء، سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض) رواه مسلم.

ووصف النبي ﷺ أحد حملة العرش، فقال: (أذن لي أن أحدث عن أحد حملة العرش، ما بين شحمة أذنه وعاتقه، مسيرة سبعمائة عام) رواه أبو داود وصححه الحافظ ابن حجر.

وهم على عظم خلقهم لا يأكلون ولا يشربون، ولهم قدرة على التشكل، كما دلت على ذلك قصة إبراهيم مع الملائكة، عندما أتوه في صورة شبان، فقدم لهم الطعام، فلم يأكلوا، قال تعالى:} هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم {الذاريات

ومما يدل على ذلك أيضا، مجيئهم لوطا عليه السلام في صورة شبان حسان الوجوه، قال تعالى} ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب} هود

ومجيء جبريل عليه السلام إلى مريم عليها السلام في صورة بشر، قال تعالى:} فتمثل لها بشرا سويا {مريم

وكذلك كان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة الصحابي دحية الكلبي، كما في صحيح مسلم، وفي صورة أعرابي، كما في حديث جبريل المشهورفي صحيح مسلم.

ووصفهم الله سبحانه بأنهم:} أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع {(فاطر

ومن صفاتهم الخلقية أنهم لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، فمن وصفهم بالأنوثة من غيرجهل فقد كفر؛ لتكذيبه القرآن في نفي ذلك، قال تعالى:{أفأصفاكم ربكم بالبنين و اتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما}الإسراء

ومن وصفهم بالذكورة، فقد جاء بدعا من القول وزورا، لإثباته ما لم يثبت شرعا، ونفي أن يكونوا إناثا لا يلزم أن يكونوا ذكورا، فإن الملائكة خلق يختلف عن خلق الإنس والجن.

وأما صفاتهم الخلقية، فهم من أعظم الخلق خلقا، فقد وصفهم الرب سبحانه بأنهم:} كرام بررة {عبس

ووصفهم النبي ﷺ بالأوصاف ذاتها حين قال:(الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة...) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

ومن صفاتهم: أنهم معصومون من الذنوب والمعاصي لا يقربونها، قال تعالى:{لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون}(التحريم .

وهم مع عصمتهم من الذنوب والمعاصي دائمو الطاعة لله سبحانه، قال تعالى: {يسبحون الليل والنهار لا يفترون}الأنبياء

ومن أخلاقهم الحياء، ففي الحديث أن أبا بكر و عمر رضي الله عنها، دخلا على النبي ﷺ وهو كاشف فخذه، فلم يسترها، فلما دخل عثمان جلس النبي ﷺ وسوى ثيابه، فسألته عائشة رضي الله عنها عن ذلك، فقال:(ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة) رواه مسلم.

ومن صفاتهم أيضا أنهم يتأذون من الروائح الكريهة، كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه، قال: نهى رسول الله ﷺ عن أكل البصل والكراث، فغلبتنا الحاجة فأكلنا منها، فقال: (من أكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تأذى مما يتأذى منه الإنس).

وأما عددهم فلا يعلمه إلا الله سبحانه، حيث رد علم ذلك إلى نفسه، فقال:{وما يعلم جنود ربك إلا هو} المدثر

وجاء في صفة البيت المعمور أنه: (يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه آخر ما عليهم) رواه مسلم.

وعد ﷺ الملائكة الذين يأتون بجهنم بأربع مليار وتسعمائة مليون ملك، كما دل على ذلك حديث: (يؤتي بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك) رواه مسلم. وقال ﷺ لأصحابه يوما: (إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتكم قليلا ولبكيتم كثيرا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله) رواه الترمذي وحسنه الشيخ الألباني، فهذه الأحاديث وغيرها تدل على كثرة عدد الملائكة، و أنه لا يحصي عددهم إلا الله، فليس أمام المسلم أمام هذا الملكوت العظيم، إلا أن يسبح الله بحمده، ويسأله عفوه ولطفه على التقصير والتفريط.

أعمال الملائكة

وصف الله أعمال بعض الملائكة بقوله:} فالمدبرات أمرا {(النازعات

قال الحسن: "هي الملائكة تدبر الأمر من السماء إلى الأرض".

وقال تعالى:{فالمقسمات أمرا } (الذاريات)

جاء في تفسيرها: هي الملائكة تقسم الأعمال عليها، من الخصب والجدب والمطر والموت والحوادث.

وقد ذكر الله تعالى بعض الأعمال التي كلف بها ملائكته، فمن ذلك قوله تعالى} له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله {الرعد فهذه ملائكة تحفظ الإنسان من الشرور بأمر الله سبحانه، حتى إذا جاء القدر خلو عنه، وقال سبحانه} وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم

الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون {الأنعام فذكر في هذه الآية أن الملائكة هي التي تتولى نزع روحه.

ومن ذلك أن الملائكة هم من يحملون عرش الرحمن سبحانه، قال تعالى: {الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم}

ومن أعمال الملائكة الاستغفار للمؤمنين، قال تعالى: {ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا و اتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم}غافر

وجاء في السنة ما يدل على عناية الله بالإنسان في بدء تكوينه وتخلقه في الرحم، فقد روى البخاري عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله عزوجل وكل بالرحم ملكا يقول: يا رب نطفة، يا رب علقة، يا رب مضغة، فإذا أراد أن يقضي خلقه، قال: أذكر أم أنثى ؟ شقي أم سعيد ؟ فما الرزق والأجل ؟ فيكتب في بطن أمه).

وجاء في السنة أيضا أن الله وكل ملائكة بتصوير الأجنة في أرحامها، ونفخ الروح فيها، فعن حذيفة - رضي الله عنه -، عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكا فصورها، وخلق سمعها، وبصرها، وجلدها، ولحمها، وعظامها) رواه مسلم.

ومن أعمال الملائكة كتابة وإحصاء أعمال المكلفين من خير أو شر، قال تعالى: {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} ق

قال تعالى: {كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون}الانفطار

ومن الأحاديث ما يدل على أن من الملائكة من هو موكل بتتبع حلق الذكر، فقد روى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لله ملائكة يطوفون في

الطرق يلتمسون أهل الذكر. فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم).

ودلت الأحاديث على أن من الملائكة من يجاهد مع المؤمنين، قال تعالى: {إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين}(الأنفال:9)، قال الربيع بن أنس: "كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة – أي الذين قتلتهم الملائكة من الكفار- من قتلى الناس، بضرب فوق الأعناق، وعلى البنان، مثل: وسم النار" رواه البيهقي.

ودلت الأدلة على أن الملائكة تشفع يوم القيامة في المذنبين من الموحدين، قال تعالى: {وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى}(النجم:26)، ففي الحديث: (فتشفع الملائكة والنبيون والصديقون) رواه ابن حبان.

ومن الأحاديث ما يدل على أن من الملائكة من هو موكل بحفظ الأماكن المقدسة من الدجال، كما روى البخاري عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ، قال: (ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها..).

ومن الأحاديث ما يدل على أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا صورة، فعن عن أبي طلحة الأنصاري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا صورة) رواه أحمد.

فهذه بعض أعمال الملائكة التي ذكرت في الكتاب والسنة دون تعيين أصحابها من الملائكة.

وفي المقابل ورد في الكتاب والسنة ذكر أعمال معينة مصرحا بأسماء أصحابها، ومن أعظم الملائكة الذين صرح الكتاب والسنة بذكرهم وذكر أعمالهم: جبريل عليه السلام أمين الوحي، وميكال أمين القطر، وكلاهما موكل بالحياة فجبريل موكل بحياة القلوب، وميكال موكل بحياة الأبدان، وبهما (الوحي والقطر) تقوم الحياة وتنعم البشرية، قال تعالى:} من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين) البقرة

وممن ورد ذكره في القرآن مصرحا باسمه مالك خازن النار، قال تعالى:} ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون{الزخرف

ومن الملائكة الذين صرح القرآن بأسمائهم (هاروت وماروت) عليهما السلام، قال تعالى:} وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت {البقرة

وقد ذكر في السنة بعض أسماء الملائكة وأعمالهم، فممن صرحت السنة باسمه، إسرافيل عليه السلام وهو الموكل بالنفخ في الصور، فقد روى أحمد و الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كيف أنعم ؟ وصاحب القرن قد التقم القرن، وحنى جبهته، و انتظر أن يؤذن له. قالوا: كيف نقول يا رسول الله ؟ قال قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا)، وقد ورد في رواية التصريح بأن (إسرافيل هو صاحب الصور).

ومن ذكر اسمه في السنة المطهرة أيضا منكر ونكير عليهما السلام، وهما الملكان الموكلان بسؤال العبد في قبره وقد ورد ذكرهما عند الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (إذا قبر أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير..

وقد اشتهرعلى ألسنة الناس أن اسم ملك الموت عزرائيل، وهذا التسمية – كما يقول العلماء - لم ترد في حديث صحيح، وقد ذكره الله تعالى بوظيفته لا باسمه، فقال سبحانه:{قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ..}

فهذه بعض أعمال الملائكة التي وردت في الكتاب والسنة، وهي تدل - كما يقول ابن القيم - على " أن الله سبحانه وكل بالعالم العلوي والسفلي ملائكة، فهي تدبر أمر العالم بإذنه ومشيئته وأمره، فلهذا يضيف التدبير إلى الملائكة تارة؛ لكونهم هم المباشرين للتدبير، كقوله:} فالمدبرات أمرا {، ويضيف التدبير إليه، كقوله:} إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر}، فهو المدبر أمرا وإذنا ومشيئة، والملائكة المدبرات مباشرة" .

أثر الإيمان بالملائكة في حياة المسلم

للإيمان بالملائكة آثارعظيمة على سلوك الإنسان، وعلاقته بربه، من تلك الآثار:

1 -بذل العبد جهده في طاعة ربه سبحانه، اقتداء بالملائكة الكرام، الذين يتفانون في طاعته مع عصمتهم من الذنوب، وقربهم من ربهم جلا وعلا، قال تعالى: {إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون}الأعراف

2 -دفع الغرور عن النفس، والافتخار بالعمل، فالملائكة على دوام طاعتهم خاضعين له سبحانه} يسبحون الليل والنهارلا يفترون} الأنبياء

وهم مع ذلك يسألونه الصفح والمغفرة عن التقصيرفي العمل، كما ثبت ذلك في الحديث الذي رواه الحاكم وصححه الشيخ الألباني أن الملائكة تقول لربها يوم القيامة: (سبحانك ما عبدناك حق عبادتك)، والمسلم مهما بلغ في عبادته، فلن يبلغ مقدارعبادة الملائكة، فهو أولى بنبذ الكبروالاغتراربالعمل.

3 -الاجتهاد في البعد عما حرمه الله، خوفا من الله أولا، ثم حياء من الملائكة الذين لا يفارقون بني آدم، ويكتبون ويسجلون أعمالهم، ولا سيما أن الله وصفهم بأنهم كرام، كما قال تعالى:{ وإن عليكم لحافظين. كراما كاتبين. يعلمون ما تفعلون} الانفطار

فإن الإنسان قد تستولي عليه الشهوة، ويغفل عن مر اقبة الله له، فإذا علم أن معه من لا يفارقه من الملائكة الكرام، كان ذلك باعثا له على الحياء، والانكفاف عما هو مقدم عليه من معصية الله تعالى.

4 -الاقتداء بهم في حسن نظامهم، و إتقان أعمالهم: فقد روى مسلم: عن جابر بن سمرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها، فقلنا: يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربها ؟ قال: يتمون الصفوف الأول، ويتراصون في الصف) فحث النبي - ﷺ- الصحابة على الاصطفاف في الصلاة، كما تصف الملائكة عند ربها، وذلك لحسن نظامهم، عند وقوفهم بين يدي ربهم.

إن الملائكة مع عظيم خلقهم، وشدة بأسهم، ما هم إلا خلق من خلق الله، وإن هذا الكون بإبداعه، و إبداع من فيه، لهو أعظم دليل على وحدانية الله تعالى، واستحقاقه مطلق العبادة.

الإيمان بالكتب

معنى الإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

الأول:

التصديق الجازم بأن جميع الكتب منزَّل من عند الله، وأن الله تكلم بها حقيقة فمنها المسموع منه تعالى من وراء حجاب بدون واسطة الرسول الملكي، ومنها ما بلغه الرسول الملكي إلى الرسول البشري، ومنها ما كتبه الله تعالى بيده كما قال تعالى: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) الشورى

وقال تعالى: (وكلم الله موسى تكليما) النساء

وقال تعالى في شأن التوراة: (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ) الأعراف

الثاني:

ما ذكره الله من هذه الكتب تفصيلا وجب الإيمان به تفصيلا وهي الكتب التي سماها الله في القرآن وهي (القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى).

وما ذكر منها إجمالا وجب علينا الإيمان به إجمالا فنقول فيه ما أمر الله به رسوله: (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) الشورى

الثالث:
تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يُبَدل أو يُحَرف من الكتب السابقة.

الرابع:
الإيمان بأن الله أنزل القرآن حاكما على هذه الكتب مصدقا لها كما قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ) المائدة

قال أهل التفسير: مهيمنا: مؤتمنا وشاهدا على ما قبله من الكتب، ومصدقا لها يعني: يصدق ما فيها من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير، ويحكم عليها بنسخ .أي رفع وإزالة .أحكام سابقة، أوتقريروتشريع أحكام جديدة؛ ولهذا يخضع له كل متمسك بالكتب المتقدمة ممن لم ينقلب على عقبيه كما قال تبارك وتعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُون. وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) القصص
-وأن الواجب على جميع الأمة اتباع القرآن ظاهراً وباطناً والتمسك به، والقيام بحقه كما قال تعالى: (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه و اتقوا) الأنعام

ومعنى التمسك بالكتاب والقيام بحقه: إحلال حلاله، وتحريم حرامه، والانقياد لأوامره والانزجار بزوا جره والاعتبار بأمثاله، والاتعاظ بقصصه، والعلم بمحكمه، والتسليم بمتشابهه والوقوف عند حدوده والذب عنه مع حفظه وتلاوته وتدبر آياته والقيام به آناء الليل والنهار، والنصيحة له بكل معانيها، والدعوة إلى ذلك على بصيرة.

ثمرات الإيمان بالكتب

والإيمان بالكتب يثمر للعبد ثمرات جليلة أهمها:

العلم بعناية الله بعباده حيث أنزل لكل قوم كتابا يهديهم به.

العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم كما قال الله تعالى: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا).

القيام بواجب شكر الله على هذه النعمة العظيمة.

أهمية العناية بالقرآن العظيم، بقراءته وتدبره وتفهم معانيه والعمل به .

والله أعلم.

الإيمان بالرسل

الإيمان بالأنبياء والرسل حقيقته ومقتضياته

الإيمان بالرسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان، فلا يصح إيمان العبد إلا به. والأدلة الشرعية متواترة على تأكيد ذلك، فقد أمر سبحانه بالإيمان بهم، وقرن ذلك بالإيمان به فقال: {فآمنوا بالله ورسله} النساء

وجاء الإيمان بهم في المرتبة الرابعة من التعريف النبوي للإيمان كما في حديث جبريل: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله..) رواه مسلم، وقرن الله سبحانه الكفر بالرسل بالكفر به، فقال: {ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا} النساء:

ففي هذه الآيات دليل على أهمية الإيمان بالرسل، ومنزلته من دين الله عزوجل، وقبل بسط الكلام في ذلك، يجدربنا ذكر تعريف كل من الرسول والنبي، وتوضيح الفرق بينهما.

معنى الرسول

الرسول في اللغة هو الذي يُتابع أخبار الذي بعثه، أَخذاً من قولهم: " جاءت الإِبل رَسَلاً " أَي: متتابعة، وسُمِّي الرَّسول رسولاً لأَنه ذو رسالة. و الرَّسول: اسم من أَرسلت وكذلك الرِّسالة.

معنى النبي:

النبي في اللغة: فعيل بمعنى فاعل ومفعل فهو مُنْبِئ ومُنْبَأ، مُنْبِئ أي مخبر عن الله، ومُنْبَأ أي مُخبَرٌ من الله، قال تعالى: {قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير}التحريم

وقال: {نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم}الحجر

فالنبي هو الذي يُخبَر من الله، وهو الذي يُخبِر الناس أي يبلغهم أمر الله ونهيه ووحيه، وقد يكون لفظ (النبي) غير مهموز، فيكون من النبو وهو الرفعة والمكانة.

الفرق بين النبي والرسول

اختلف العلماء في التفريق بين معنى النبي والرسول، على أقوال:

*القول الأول: أنهما سواء أي أنهما لفظان مترادفان، واستدلوا بقوله تعالى: {وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي}الحج فأثبت لهما معاً الإرسال، قالوا: ولا يكون النبي إلا رسولا؛ ولا الرسول إلا نبياً.

ورد هذا القول بأن الله فرق بين الاسمين، ولو كانا شيئاً واحداً لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ.

*القول الثاني: أنهما مفترقان من وجه، ويجتمعان من وجه، قال القاضي عياض:" والصحيح والذي عليه الجماء – الجمع - الغفير أن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً ". ويدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد في المسند، و الحاكم في المستدرك و ابن حبان عن أبي ذر- رضي الله عنه - أنه قال: قلت: يا رسول الله،

كم وفاء عدة الأنبياء ؟ قال: (مائة ألف، وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً).
إلا أنه وعلى الرغم من اتفاق أصحاب هذا القول على وجود فرق بين النبي والرسول، إلا أنهم اختلفوا في تحديده على أقوال، لعل أرجحها ما ذهب إليه البعض من أن الرسول: من بعث بشرع جديد وأمر بتبليغه، والنبي من أمر بالتبليغ ولكن بشرع من سبقه من الرسل، كحال أنبياء بني إسرائيل الذين كلفوا بتبليغ شريعة موسى عليه السلام.

مراتب الإيمان بالرسل

الإيمان بالرسل ليس على مرتبة واحدة، بل هناك الإيمان المجمل وهو الإيمان بجميع الرسل على وجه الإجمال وبمحمد ﷺ على وجه الخصوص، فهذا واجب على عموم الأمة لا يسع المؤمن أن يعرض عنه أو ينكره.
وهناك الإيمان المفصّل وهو الإيمان بجميع الرسل ومعرفة ما ثبت في الشرع عنهم، من أسمائهم وأسماء الكتب التي أنزلت عليهم، وهذا فرض على مجموع الأمة لا على كل فرد بعينه، بحيث إذا قام به من تحصل به الكفاية في تعليم الناس وحفظ دينهم سقط عن الآخرين.
والإيمان بالرسل يتضمن أمورا:
1 - التصديق بنبوتهم وبما جاءوا به من عند الله عزوجل، قال تعالى: {والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون {الحديد

2 - عدم التفريق بين أحد منهم كما قال تعالى: {آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير} البقرة

3 -توقيرهم وتعظيمهم: قال تعالى: {لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا} الفتح

قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد: " تعظموه وتوقروه من التوقير وهو الاحترام والإجلال والإعظام، وأجمع العلماء على أن من انتقص نبيا من الأنبياء فقد كفر."

4 -وجوب العمل بشرائعهم: وذلك في حق كل أمة لنبيها، ولا يخفى أن ذلك قبل بعثة نبينا ﷺ التي نسخت شريعته كل شريعة.

5 - اعتقاد عصمتهم في تبليغهم الوحي، وعصمتهم من الكبائروالصغائر التي تدل على خسة الطبع وسفول الهمة.

الحكمة من إرسال الرسل:

تتلخص الحكمة في إرسال الله رسله إلى العباد في أمور:

الأول :

إقامة الحجة على العباد، وتبشير المؤمنين بنعيم الله وجنته في الآخرة، وإنذار الكافرين من عذابه وعقابه، قال تعالى: {رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما}النساء .

وقال ﷺ مبينا الحكمة من بعثة الرسل: (ولا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين) رواه البخاري ومسلم.

الثاني :

إقامة الدين وسياسة الدنيا به، فقد كان الأنبياء هم الساسة الذين يديرون شؤون البلاد والعباد، قال ﷺ: (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي) متفق عليه، وكذلك كان ﷺ هو قائد الأمة وأميرها.

الثالث :

توحيد الأمة دينيا وسياسيا، وذلك أن انقياد الأمة للرسل يجعلهم يدينون لهم بالطاعة ويتبعونهم فيما جاءوا به من الدين الحق، فتتحقق بذلك وحدتهمالدينيةوالسياسية.

الرابع :

تحقيق القدوة والأسوة العملية، وهذه لها فوائد:

الفائدة الأولى:

دحض حجة من قد يزعم أنه ليس في مقدوره تطبيق تلك الشرائع، فيقال له: إن الأنبياء وهم بشر أيضا، قد طبقوا تلك الشرائع ومارسوها عمليا، فكيف يصح القول بأن تطبيقها مما لا يستطاع!!

الفائدة الثانية :

تحقيق الأسوة والقدوة للمؤمنين في كيفية تطبيق تلك الشر ائع، وكيفية العمل بها، لأن كثيرا من الأمور النظرية تختلف الأفهام في تطبيقها، فيأتي الفعل النبوي فاصلاً ومبيناً.

الفائدة الثالثة :

تحقيق الأسوة والقدوة للمؤمنين بحثهم على الإكثار والاستزادة من فعل الصالحات، اقتداء بالأنبياء عليهم السلام، الذين كانوا القدوة في ذلك بسلامة إيمانهم وكثرة أعمالهم الصالحة.

التوحيد محور دعوة الرسل

تتمحور دعوة الرسل جميعا من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا ﷺ حول قضية واحدة هي عبادة الله وحده، وترك عبادة من سواه، وهذا الأمر يشكِّل لب دعوة الرسل ومجمع رسالتهم. ومن خلال استعراض القرآن لدعوة الرسل نجد أن هذه القضية واضحة جلية، مدلل عليها بأدلة كثيرة، قال تعالى:} إن الدين عند الله الإسلام {(آل عمران

وقال تعالى:} ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين {آل عمران:

والإسلام هو الدين الذي نادى به جميع الأنبياء، فنوحٌ يقول لقومه: {وأمرت أن أكون من المسلمين} يونس

والإسلام هو الدين الذي أمر الله به أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام:{إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين} (البقرة:131)، ويوصي كل من إبراهيم ويعقوب أبناءه قائلاً:{فلا تموتن إلا و أنتم مسلمون} (البقرة
و أبناء يعقوب يجيبون أباهم بعد أن سألهم ما يعبدون من بعده ؟:} نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون {البقرة
وموسى ينادي قومه قائلاً: {يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين} يونس
والحواريون يقرّون لعيسى عليه السلام بقولهم:{آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون} آل عمران
وحين سمع فريق من أهل الكتاب كلام الله:{آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين} القصص
فالإسلام شعار عام دعا إليه الأنبياء و أتباعهم منذ فجر البشرية إلى عصر النبوة المحمدية، والإسلام هو الطاعة والانقياد والاستسلام لله تعالى بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، ولذلك فإن الإسلام في عهد نوح كان باتباع ما جاء به نوح، والإسلام في عهد موسى كان باتباع شريعة موسى، والإسلام في عهد عيسى كان باتباع الإنجيل، والإسلام في عهد محمد ﷺ كان بالتزام ما جاء به الرسول الكريم محمد ﷺ، وهكذا سيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
ومن الأدلة على تمركز دعوة الرسل حول توحيد الله سبحانه ونفي عبادة من سواه، ما صرح به سبحانه في قوله تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} النحل

ومن ذلك قوله تعالى:} وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون {الأنبياء

وقال ﷺ: (الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد) أخرجه البخاري و مسلم، وأولاد العلات مَنْ لهم أب واحد وأمهات شتى، فوحدة الأب إشارة إلى أن الدين واحد وهو التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له، واختلاف الأمهات إشارة إلى الاختلاف في فروع الشريعة، فشريعة عيسى تخالف شريعة موسى في بعض الأمور، وشريعة محمد ﷺ تخالف شريعة موسى وعيسى في أمور، قال تعالى:{لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً} المائدة

هذه هي حقيقة الدين الواحد الذي دعت إليه الرسل، و أُنزلت في سبيل تحقيقه الكتب، دين يدعو إلى إفراد الله بالعبادة، ونبذ الآلهة الباطلة التي اتخذها البشر سواء أكانت تلك الآلهة حسية كالأصنام والأحجاروالأشجاروالكواكب، أم كانت معنوية كاتباع الهوى، وتقليد الآباء ونحو ذلك.

معجزات الرسل

معجزات الرسل هي الآيات التي أجراها الله على أيديهم تصديقا لهم، وبرهانا على الحق الذي معهم، ولهذا سماها الله في كتابه (آيات) أي علامات دالة على صدقهم.

وتأييد الله رسله بالمعجزات من كمال عدله ورحمته ومحبته للعذر و إقامته للحجة على العباد، إذ لم يبعث الله نبياً من الأنبياء إلا ومعه آية تدل على صدقه فيما أخبر به، قال تعالى: {لقد أرسلنا رسلنا بالبينات و أنزلنا معهم الكتاب

والميزان ليقوم الناس بالقسط} الحديد وقال تعالى:{فإن كذبوك فقد كُذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير} آل عمران

وقال ﷺ: (ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة) متفق عليه.

ومن عظيم حكمة الله عز وجل أن جعل معجزات رسله من جنس ما أبدع فيه القوم المرسل إليهم، إمعاناً في الحجة، وقطعاً للعذر، فلو جعلت معجزة الرسول في أمر يجهله من أرسل إليهم، لكان لهم عذر في عدم إحسان ما يجهلونه.

فموسى عليه السلام أرسل في قوم كان السحر شائعا بينهم، فآتاه الله من الآيات ما فاق به قدرة السحرة على أن يأتوا بمثله، فلما رأى السحرة ذلك، علموا أن هذا أمر ليس من فعل السحر، وإنما هي المعجزة الربانية التي أيَّدَ الله بها نبيه موسى، فما كان من السحرة إلا أن آمنوا وأذعنوا.

ولما بعث الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام في بني إسرائيل كان فن الطب فيهم شائعاً، فاقتضت حكمته تعالى أن جعل كثيراً من معجزاته عليه السلام من قبيل أعمال أهل الطب، فأبرأ الله على يديه الأبرص والأكمه - الذي ولد أعمى - وأحيا الموتى، وكل من البرص والكمه فضلا عن الموت من الأمراض المستعصية التي لم يكن بمقدور الأطباء في ذلك الزمان التسبب في الشفاء منها، فآتى الله عيسى عليه السلام معجزة الشفاء منها بلمسة ودعاء، وكل ذلك يدل على أن فعله عليه السلام لم يكن من جنس ما يفعله الأطباء، فإن الأطباء يمكنهم أن يشفوا من البرص، لكن بعد معالجة وزمن، وكذلك يمكنهم أن يشفوا من العمى

الذي يكون عرضياً ليس مخلاً بجوهر البصر، وأما شفاء الأكمه عديم البصر فهذا ليس في طاقتهم، وكذلك إحياء الموتى.

ومثل ذلك مع نبينا ﷺ، فقد بعث في قوم كانوا أهل فصاحة وبيان، وكان ﷺ أميا لا يقرأ ولا يكتب، فلما بعثه الله عز وجل جعل معجزته من جنس ما نبغ فيه العرب، وهو الكلام الفصيح، فآتاه الله القرآن، وتحدى العرب أن يأتوا بمثله فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بمثل سورة منه فعجزوا، ثم أعلمهم بأنه لو اجتمع البشر كلهم، وتظاهرت الجن معهم على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ما استطاعوا أن يأتوا بمثله، قال تعالى: {أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين} (يونس: 38)، وقال تعالى: {أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين} هود

وصدق الله إذ يقول: {قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا} الاسراء

ولا يعني ما سبق أن المعجزة لا تأتي إلا على وجه واحد بحسب حال الناس وو اقعهم، بل ربما جاءت المعجزة بناء على طلب المرسَل إليهم، كطلب الحواريين من عيسى أن ينزل عليهم مائدة من السماء فأجابهم إلى ذلك، وكطلب قوم صالح منه أن يخرج لهم من الصخرة ناقة فدعا الله فأجابه، وكمعجزة انشقاق القمر ونبع الماء ونحو ذلك، إلا أن المعجزات تجتمع جميعها في غاية واحدة هي تأييد الأنبياء، وإظهار صدقهم فيما جاءوا به.

فوائد آيات الأنبياء ومعجزاتهم:

إن الآيات التي جاء بها الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ذات فوائد كثيرة نذكر منها ما يلي:

1 .بيان قدرة الله سبحانه وتعالى، وذلك أن خرق العادة أمر متعذر على الناس فعله، فإذا أجراه الله على يد رسله، كان ذلك دليلا على سعة قدرة الله وأنه المتصرف في الأسباب الكونية لا أن الأسباب هي المتصرفة في الكون.

2 .بيان رحمة الله بعباده، إذ لم يكتف سبحانه بإرسال الرسل وإنزال الكتب الموافقة لما فُطر الناس عليه من التوحيد، وإنما أيد رسله بالمعجزات حتى لا يكون للناس عذر في رد ما جاء به الرسل من الحق والدين.

3 .بيان حكمة الله البالغة؛ إذ لم يرسل رسلا دون أن يؤيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم، وذلك أن من غير الحكمة أن يرسل المرء شخصا في أمر غاية في الأهمية من غير أن يزوده بما يدل على صحة رسالته من أمارة أو دليل، فكيف برسالة عظيمة من أحكم الحاكمين ؟!

4 .رحمة الله بالرسول الذي أرسله؛ إذ لو أرسله من غير معجزات وآيات تدل على صدقه، لما صدقه الخلق ولكان عرضة للسخرية والهزء والتكذيب، فكان إرساله بالآيات المعجزات من رحمة الله به؛ ليتسنى له إقناع الخلق بطريقة لا يستطيعون معارضتها، ولا يمكنهم ردها إلا جحوداً وعناداً.

واجبنا نحو الرسل

أوجب الشرع الكريم على المسلم حقوقا، عليه أن يؤديها تجاه أنبياء الله ورسله، قياما بما أمر الله به من تعظيمهم وتوقيرهم، واعترافاً بما فضلهم به على سائر الخلق، من تبليغ رسالته وتبيين دينه.

فمن تلك الحقوق: الإيمان بهم جميعاً، وعدم التفريق بينهم، بأن يُؤمن ببعض ويُكفر ببعض كحال النصارى الذي آمنوا بعيسى وكفروا بمحمد، أو كحال اليهود الذين آمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه، قال تعالى: {قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون} البقرة

ومن الحقوق المتعينة على المسلم تجاه أنبياء الله ورسله النظر إليهم بعين الكمال، فلا يجوز للمسلم أن ينتقص واحدا من الأنبياء، بل يجب أن يعتقد أنهم أدوا رسالة الله على أكمل وجه، وأنهم بلغوا درجة الكمال البشري، فلا نقص يعيبهم، ولا عيب يشينهم، قال ﷺ: (لا تفضلوا بين أنبياء الله) متفق عليه، وإنما قال ﷺ ذلك – وقد علم أنه خيرهم – تواضعاً، ولئلا يتوصل بالتفاضل بين الأنبياء إلى انتقاص أحد منهم.

ومن الحقوق المتعينة على المسلم تجاه أنبياء الله ورسله محبتهم جميعاً، وهذا أمر مجمع عليه، ومن أبغض نبياً من الأنبياء فقد كفر.

ومن حقوقهم دفع غلو الغالين فيهم، كغلو النصارى في المسيح بن مريم عليه السلام حيث ادعوا أنه ابن الله، قال تعالى:{إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه} النساء

ومن الحقوق المتعينة على المسلم تجاه أنبياء الله ورسله دفع ما أُلصق بهم من تهم وإشاعات، كتلك التي روجها اليهود - وزعموا أنها في الكتاب المقدس – حيث تصف الأنبياء بأنهم أهل غدروخيانة، أو أنهم أهل شهوة وسكر، فإن الذب عن أعراض أنبياء الله أمام هذه التهم الباطلة من أوجب الواجبات على أهل العلم، صيانة لمقام الأنبياء وحفظا لحقهم.

ومن الأدب مع أنبياء الله ورسله، الصلاة والسلام عليهم مطلقاً وعند ذكرهم، فقد نقل غيرواحد من العلماء الإجماع على مشروعية ذلك، منهم الإمام النووي. هذا فيما يتعلق بحقوق أنبياء الله ورسله على المسلم على وجه العموم، ولا شك أن هناك حقوقاً اختص بها نبينا ﷺ، من أعظمها وجوب متابعته، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، قال تعالى:{وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب} الحشروقال: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخروذكر الله كثيرا} الأحزاب

كما يجب اعتقاد أن نبينا ﷺ هو خاتم الأنبياء، وأن شريعته هي خاتمة الشرائع، وأنه لا نجاة لأحد إلا باتباعه ﷺ.

تلك كانت لمحة موجزة عن الركن الرابع من أركان الإيمان، عن الإيمان بالرسل سادة البشرية وهداتها، عن صفوة الله من خلقه الذين اصطفاهم الله لحمل رسالته وتبليغ دينه، فقاموا بما كلفوا به خير قيام، وتحلموا صنوف الأذى في ذلك، فمنهم من قتل، ومنهم من رمي في النار، ومنهم من نفي، ومنهم من سلط

عليه سفلة الخلق وهملهم، هذا وهم في ذلك صابرون محتسبون، راغبون في إيصال الخير لأقوامهم وهدايتهم، فكانوا بحق هداة البشرية الحقيقين ورواد النهضة فيها، فلو بحثت البشرية في تاريخها كله لما أوجدت أشرف ولا أنبل من أنبياء الله ورسله، فصلوات الله وسلامه عليهم جميعاً إلى يوم الدين.

الإيمان باليوم الآخر

جعل سبحانه وتعالى الإيمان باليوم الآخر ركنا من أركان عقيدة الإسلام، وعلق سبحانه صحة إيمان العبد على الإيمان بذاك اليوم. وقرن تعالى الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر في تسعة عشر موضعا في القرآن، منها قوله تعالى: {ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر}البقرة

وقوله في حق المطلقات: {إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر}البقرة

وقال أيضا مخاطبا أولياء النساء: {من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر} البقرة

ووصف سبحانه المؤمنين بأنهم الذين أمنوا بالله واليوم الآخر، فقال عز من قائل: {إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر} البقرة

وبالمقابل فقد رتب سبحانه على الكفر بذاك اليوم ما رتبه على الكفر به، فقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا}النساء

وأكد سبحانه أن هذا اليوم و اقع لا محال، و أنه لا مفر منه مهما حاول الإنسان ذلك، فقال تعالى: {فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون}آل عمران

وقال أيضا: {الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا}النساء

وكان من حكمة الله سبحانه أن جعل ذلك اليوم ليجمع الناس فيه على صعيد واحد، فيحاسب المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته، ويقتص للمظلوم من الظالم، قال تعالى: {اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب}غافر

وفي الحديث الصحيح: (حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء) رواه مسلم، و"الجلحاء" الشاة التي لا قرن لها، و"القرناء" الشاة ذات القرون.

وعلاوة على ما ذكرنا من الآيات الدالة على وجوب الإيمان باليوم الآخر، فقد ثبت في السنة ما يدل على ذلك ويؤكده، من ذلك حديث جبريل عندما جاء الرسول ﷺ بصورة رجل، سائلا عن معنى الإيمان والإسلام وغير ذلك من عقائد الإسلام، فأجابه الرسول ﷺ بقوله: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر) رواه مسلم.

ومقتضى الإيمان بذاك اليوم يستلزم من المؤمن أن يعلم علم اليقين أن الله سبحانه جامع الناس ليوم لا ريب فيه، وهذا القدر من الإيمان هو الواجب على كل مؤمن، وأما تفاصيل الإيمان باليوم الآخر، كمعرفة علامات هذا اليوم، ومقدماته، وماذا يكون فيه، وغير ذلك من التفاصيل، فهذا من غير الواجب على كل مؤمن معرفته، بل يكفي أن يعلمه البعض ولا يضر الآخرون جهله، فهو من فروض الكفاية التي إذا قام بها من يكفي سقطت عن الباقين.

فإذا علم المؤمن واعتقد بحق أن ذاك اليوم آت لا مراء فيه ولا جدال، كان عليه أن يعد العدة، ويشمر عن ساعد الجد استعدادا له، فيعمل جهده لكل ما فيه

خير، ويبذل وسعه لتجنب كل ما فيه شر، عملا بقوله تعالى: {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره} الزلزلة

الإيمان بالقدر

الإيمان بالقدر هو الركن الخامس من أركان الإيمان، كما دل على ذلك حديث جبريل عليه السلام عندما سأل النبي ﷺ عن الإيمان، فقال: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى) متفق عليه، وقال ﷺ: (كل شيء بقدر حتى العجز والكيس) رواه مسلم. والمراد بالعجز الكسل عن أداء الأعمال، والكيس: النشاط والحذق في الأمور، والمعنى أن العاجز قد قدر عجزه، والكيس قد قدر كيسه. وقال تعالى: {إنا كل شيء خلقناه بقدر} القمر

ولما كان الإيمان بالقدر بهذه المنزلة من الدين، كان جاحده ومنكره من الكافرين، قال ﷺ:(لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله، و أني محمد رسول الله بعثي بالحق، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر) رواه الترمذي وصححه الألباني.

ومعنى القدر شرعا: هو تقدير الله عزوجل الأشياء في القدم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وصفات مخصوصة، وكتابته - سبحانه - لذلك، ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها وخلقه لها.

وبموجب هذا التعريف يتبين لنا أن مراتب القدر أربعة:

المرتبة الأولى:

العلم، والمراد به علم الله الأزلي بما كان وما يكون، وبما لم يكن لو كان كيف يكون ,فالله قد أحاط بكل شيء علما، فلا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عن علمه مثقال ذرة،قال تعالى:{الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما} الطلاقوقال تعالى: {إن الله بكل شيء عليم} التوبة: من الآية،

وعن عمران بن حصين - رضي الله عنه - قال: (قال رجل يا رسول الله: أعلم أهل الجنة من أهل النار؟ قال: نعم، قال: ففيم يعمل العاملون ؟ قال: كل ميسر لما خلق له) رواه البخاري ومسلم.

والمرتبة الثانية:

الكتابة، والمقصود منها الإيمان أن الله كتب مقادير الخلائق كلها في كتاب عنده، قال تعالى: {وما من دابة في الأرض ولا طائريطيربجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون} الأنعام،

وقال ﷺ: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة) رواه مسلم. وقال ﷺ أيضا: (إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: رب ! وماذا أكتب ؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة) رواه أبو داود وصححه الألباني.

والمرتبة الثالثة من مر اتب الإيمان بالقدر: الإيمان بمشيئته سبحانه، وأن كل ما يجري في الكون إنما هو بإرادته سبحانه، لا يخرج شيء عنها، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: {وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين}التكوير

وقال ﷺ: {إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء} رواه مسلم.

والمرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر: الإيمان بأن كل ما في الكون، من خلق الله عز وجل وتكوينه، قال تعالى: {الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل} الزمر

هذا هو معنى القدر وتلك هي مراتب الإيمان به، فإذا تقرر لدى المسلم هذا المعنى اطمأنت نفسه، وهدأ باله، وعلم أن له من ربه حافظا ومعينا، فالكل يجري تحت علم الله وبصره، والكل يمشي بمشيئته وقدره، فهو المقدر وهو الميسر، ومقاليد الأمور جميعا بيده، فكيف يخاف المسلم من غيره، أو يتوكل على سواه.

الإيمان بعذاب القبر ونعيمه

الإيمان بعذاب القبر ونعيمه وسؤال الملَكين، والإيمان بالحياة البرزخية، والإيمان بعدم رجوع مَن مات إلى الحياة الدنيا، والإيمان بأشراط الساعة

قال ابن القيم: وأن الخَلق ميتون بآجالهم؛ فأرواح أهل السعادة باقية منعَّمة إلى يوم القيامة، وأرواح أهل الشقاء في سِجِّين معذَّبة إلى يوم القيامة، وأن الشهداء أحياء عند ربهم يُرزقون، وأن عذاب القبر حق، وأن المؤمنين يُفتَنون في قبورهم، ويُضغَطون ويُسألون، ويثبِّت الله منطقَ مَن أحب تثبيته، و أنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، كما بدأهم يعودون: حفاة عراةً غُرلاً، وأن الأجساد التي أطاعت أو عصت هي التي تبعث يوم القيامة لتجازى، والجلود التي كانت في الدنيا والألسنة والأيدي والأرجل التي تشهد عليهم يوم القيامة على من تشهد عليه منهم؛ انتهى.

الإيمان بنعيم القبر لأهل الطاعة، وبعذاب القبر لمن كان مستحِقًّا له من أهل المعصية والفجور- من أصول الإيمان التي دلت عليها نصوصُ الكتاب والسنَّة.

فمن أدلة الكتاب على نعيم القبر: قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ إبراهيم

فدلت الآية على تثبيت الله تعالى للمؤمنين عند السؤال في القبر، وما يتبع ذلك من النعيم؛ أخرج البخاريُّ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي

ﷺ أنه قال: (إذا أُقعِد المؤمن في قبره أُتي، ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ إبراهيم

ودليل عذاب القبر من القرآن قولُ الله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ غافر

قال القرطبي: (الجمهور على أن هذا العرض يكونُ في البرزخ، وهو حجَّة في تثبيت عذاب القبر).

وقال الحافظ ابن كثير: (وهذه الآية أصلٌ كبير في استدلال أهل السنَّة على عذاب البرزخ في القبور).

كما دل على عذاب القبر من القرآن أيضًا قولُه تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ التوبة

فقد استدل بها كثيرٌ من السلف على عذاب القبر؛ فعن مجاهد أنه قال في تفسير الآية: (بالجوع وعذاب القبر، قال: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ يوم القيامة)، وعن قتادة قال: (عذاب الدنيا وعذاب القبر، ثم يُردُّون إلى عذاب عظيم)، وقد استدل بهذه الآية والتي قبلها على عذابِ القبر الإمامُ البخاري في ترجمته للأحاديث في عذاب القبر.

وأما ما جاء في السنَّة من الأدلة على نعيم القبر وعذابه، فكثير جدًّا؛ من ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (إن أحدكم إذا مات عُرِض عليه مقعدُه بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدُك حتى يبعثك الله يوم القيامة)

وفي صحيح مسلمٍ من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لولا ألا تدافنوا، لدعوتُ الله أن يُسمِعَكم من عذاب القبر)، والأدلة على هذا كثيرة من الكتاب والسنَّة، وقد ذكرت ما يستدل به في إثبات عذاب القبر ونعيمه، والله أعلم.

المطلب الأول: وقوع نعيم القبر وعذابه على الرُّوح والجسد معًا:

نعيم القبر وعذابه يكون للرُّوح والبدن جميعًا، فتُنعَّم الروح أو تُعذَّب متصلةً بالبدن، فيكون النعيم والعذاب عليهما جميعًا، كما أنه قد تُنعَّم الرُّوح أو تُعذَّب أحيانًا منفصلةً عن البدن، فيكون النعيم أو العذاب للروح منفردًا عن البدن، وقد دلت على هذا النصوصُ، وعليه اتفق أهل السنَّة والجماعة، خلافًا لمن زعم أن عذاب القبر ونعيمه يكون للروح فقط على كل حال ولا يتعلق بالبدن.

فمن الأدلة على ذلك حديث أنس بن مالك الذي أخرجه البخاري أن رسول الله ﷺ قال: (إن العبد إذا وُضِع في قبره وتولَّى عنه أصحابه، و إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملَكان فيُقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل - لمحمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا، وأما المنافق والكافر، فيقال له: ما كنتَ تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنتُ أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريتَ ولا تليتَ، ويُضرب بمطارقَ من حديد ضربةً، فيصيح صيحة يسمعها مَن يليه غيرَ الثَّقَلين).

وفي حديث البراء بن عازب الطويل الذي أخرجه أحمد و أبو داود والحاكم وغيرهم مرفوعًا للنبي ﷺ قال بعد أن ذكَر خروج الرُّوح وصعود روح المؤمن إلى

السماء: (فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملَكان فيُجلسانه، فيقولان له: مَن ربك؟)؛ الحديث، وقد صحَّح هذا الحديث الحاكمُ وغيره.

فدلَّ الحديثان على وقوع النعيم أو العذاب في القبر على الرُّوح والجسد جميعًا؛ ففي قول النبي ﷺ: (إن العبد إذا وُضِع في القبر) دلالة ظاهرة على هذا؛ إذ لفظ (العبد) مسمًّى للروح والجسد جميعًا، وكذلك تصريحه بإعادة الروح إلى الجسد عند السؤال؛ كما في حديث البراء بن عازب هذا، مع ما جاء في الحديثين من الألفاظ، التي هي من صفات الجسد؛ كقوله: (يسمع قرع نعالهم)، (فيُقعدانه)، (ويُضرب بمطارق من حديد)، (فيصيح صيحة)؛ فإن هذا كلَّه يفيد أن ما يحصل في القبر من النعيم أو العذاب متعلق بالروح والجسد جميعهما.

هذا، مع أنه قد جاء في بعض النصوص ما يفيد أن النعيمَ أو العذاب قد يقع على الرُّوح منفردةً في بعض الأحوال، على ما جاء في حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (لَمَّا أُصِيبَ إخوانُكم - يعني يوم أُحُد - جعل الله أرواحهم في أجواف طيرٍ خُضرٍ، تَرِدُ أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديلَ من ذهبٍ في ظل العرش).

فتلخص من هذا أن النعيم والعذاب يقع على الروح والجسد جميعًا في القبر، وقد تنفرد الروح بهذا أحيانًا.

قال بعض الأئمة المحققين في السنَّة في تقرير هذه المسألة: (والعذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنَّة والجماعة، تُنعَّم النفس وتُعذَّب منفردةً عن البدن، وتُعذَّب متصلة بالبدن، والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعتين، كما يكون للروح منفردة عن البدن).

والله تعالى اعلى وأعلم

الإيمان بالبعث

يجب علينا الإيمانُ بالبعث، الذي هو يوم القيامة، وأن الله سيَبعث مَن في القبور ويسُوقهم إلى المحشَر للعرض الأكبر، والحساب والجزاء.

اعلَمْ أن وقوع البعث مِن القبور قد دلَّ عليه الكتاب والسنة، والعقل، والفطرة السليمة؛ أخبر الله عنه في كتابه العزيز، و أقام عليه الدليل، وردَّ على منكِريه في آيات كثيرة من القرآن العظيم، وقد أخبرت عنه جميعُ الأنبياء أمَمَها، وطالبت المنكرين بالإيمان به، ولما كان نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء، وكان قد بُعث هو والساعة كهاتين - بيَّن تفصيل الآخرة تفصيلاً لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء قبله.

والقيامة الكبرى معروفة عند جميع الأنبياء، من آدم إلى نوح، إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم، عليهم الصلاة والسلام.

وقد أخبر الله من حين أهبَط آدم بالقيامة، فقال تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [البقرة: 36]، وقال: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: 25]، ولما قال إبليس اللعين: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر:

وقال نوحٌ عليه السلام لقومه: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح:

وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء:
وموسى عليه السلام قال الله له: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه:
وقال موسى في دعائه: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:
وقد أخبَرالله أن الكفار إذا أُدخِلوا الناريُقرُّون أن رسلهم أنذرتْهم هذا اليوم؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر:
فجميع الرُّسل أنذَروا بما أنذربه خاتَمُهم، عليهم جميعًا صلوات الله وسلامه.
وقد أخبَر الله تعالى أن الموتى يقومون من قبورهم إذا نفخ في الصور النفخة الثالثة؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: 68]، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِفَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس:
﴿وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ * إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل:
يقول تعالى مخبِرًا عن المشركين: إنهم حلفوا فأقسموا ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾؛ أي: اجتهَدوا في الحلِف، وغلَّظوا الأيمان على أنه ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾؛ أي: استبعَدوا ذلك، فكذَّبوا الرُّسل في إخبارهم لهم بذلك، وحلفوا على نقيضه، فقال تعالى مكذِّبًا لهم وردًّا عليهم: ﴿بَلَى﴾؛ أي: بلى سيكون ذلك، ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ

حَقًّا﴾؛ أي: لا بد منه، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: فلجهلهم يخالفون الرُّسل ويقَعون في الكفر.

ثم ذكر تعالى حكمته في المعاد، وقيام الأجساد يوم التناد، فقال: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾؛ أي: للناس ﴿الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾؛ أي: مِن كل شيء، و﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: 31]، ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾؛ أي: في أيمانهم و أقسامهم: لا يبعث اللهُ من يموت؛ ولهذا يُدعُّون يوم القيامة إلى نارِ جهنمَ دعًّا، وتقول لهم الزَّبانية: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ * اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور:

ثم أخبَر تعالى عن قدرته على ما يشاء، و أنه لا يُعجِزه شيء في الأرض ولا في السماء، و إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: كُنْ، فيكون، والمعاد من ذلك إذا أراد كونه، فإنما يأمر به مرة واحدة، فيكون كما يشاء؛ كما قال: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: وقال: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [القمان: وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل:

أي: أن يأمرَ به دفعةً واحدة، فإذا هو كائن

إذا ما أراد الله أمرًا فإنما

يقول له: كُنْ، قولة فيكونُ

أي: إنه تعالى لا يحتاج إلى تأكيدٍ فيما يأمر به؛ فإنه تعالى لا يُمانَع ولا يخالَف؛ لأنه هو الواحد القهار العظيم، الذي قهر سلطانُه وجبروته وعزته كلَّ شيء؛ فلا إله إلا هو، ولا ربَّ سواه.

وقال ابن أبي حاتم: ذكر الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا حجاج، عن ابن جريج، أخبرني عطاء: أنه سمع أبا هريرة يقول: قال الله تعالى: (سبني ابنُ آدم ولم يكن ينبغي له أن يسُبَّني، وكذَّبني ولم يكن ينبغي له أن يكذبني، فأما تكذيبه إياي، فقال: ﴿وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ [النحل:

قال: وقلت: ﴿بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ، وأما سبُّه إياي فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ،

وقلت: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]

وأخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (ينزل من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل، وليس من الإنسان شيء إلا يَبْلى، إلا عُظَيمٌ واحد، وهو عَجْبُ الذَّنَبِ، منه يركب الخَلْق يوم القيامة)، وفي روايات مسلم: (إن في الإنسان عَظْمًا لا تأكله الأرض أبدًا، منه يُركَّب الخَلْق يوم القيامة)، قالوا: أيُّ عَظْمٍ هو يا رسول الله؟ قال: (عَجْبُ الذَّنَبِ).

قال العلماء: وعجب الذنب هو العظم الحديد الذي يكون في أسفل الصُّلب.

وقد جاء في الحديث أنه مِثل حبة الخردل، منه ينبت جسمُ الإنسان.

وقد استبعد المشركون إعادةَ الناس في حياة أخرى بعد الموت، فأنكَروا البعث والنُّشور.

فأمر الله نبيَّه أن يُقسِم به على وقوعه، و أنه كائن لا محالة، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ [سبأ:

وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: 53]، وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:

وأخبر عن اقترابِ ذلك، فقال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: 1]، ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:

وذمَّ المكذِّبين بالبعث، فقال: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس:]، ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ، ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء]، وقال: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا * يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:

قال في شرح الطحاوية على هذه الآيات الكريمة: فتأمَّل ما أجيبوا به عن كل سؤال على التفصيل؛ فإنهم قالوا أولاً: ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء

فقيل لهم في جواب هذا السؤال: إن كنتم تزعمون أنه لا خالقَ لكم ولا ربَّ لكم، فهلاَّ كنتم خَلقًا لا يُفنيه الموت؛ كالحجارة والحديد، وما هو أكبر في صدوركم من

ذلك! فإن قلتم: كنا خلقنا على هذه الصفة التي لا تقبل البقاءَ، فما الذي يحول بين خالقكم ومُنشئِكم وبين إعادتكم خَلقًا جديدًا؟! وللحجة تقدير آخر هو: لو كنتم حجارة أو حديدًا أو خَلقًا أكبرَ منهما، فإنه قادر على أن يفنيَكم ويُحِيلَ ذواتِكم وينقُلَها من حال إلى حال، ومن يقدر على التصرف في هذه الأجسام مع شدتها وصلابتها بالإفناء والإحالة، فما الذي يُعجِزه فيما دونها؟! ثم أخبر أنهم يسألون سؤالاً آخر بقوله: ﴿مَنْ يُعِيدُنَا﴾ إذا فَنِيَت جسومنا واستحالت؟! فأجابهم بقوله: ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، فلما أخذتهم الحجَّة، انتقلوا إلى سؤال آخر يتعلَّلون به تعلُّل المنقطع، وهو قولهم: ﴿مَتَى هُوَ﴾؟! فأجابهم بقوله: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

وأما الإيمان بما يكون يوم القيامة، فقد قال الإمام السفاريني: واعلم أن ليومِ الوقوف أهوالاً عظيمة، وشدائدَ جسيمة، تُذيب الأكباد، وتذهل المراضع، وتشيب الأولاد، وهو حق ثابت، ورَد به الكتاب والسنَّة، و انعقد عليه الإجماع، وهو يوم القيامة.

وقد اختلف في تسمية ذلك اليوم بـ: يوم القيامة:

قيل: لكون الناس يقومون من قبورهم؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: وقيل: لوجود أمور المحشر والوقوف ونحوها فيه، وقيل: لقيام الناس لربِّ العالَمين؛ كما روى مسلمٌ في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين:

قال: يقوم أحدُهم في رشحه إلى نصفِ أُذنيه.

إلى أن قال: وروى الإمامُ أحمد و أبو يعلى و ابن حبان في صحيحه عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: أنه قال: ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ

أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: 4]، فقيل: ما أطولَ هذا اليومَ! فقال النبيُّ ﷺ: (والذي نفسي بيده، إنه ليُخفَّف على المؤمن، حتى يكون عليه أخفَّ من صلاةٍ مكتوبة).

وقيل: إنما سمي يومَ القيامة لقيام الملائكة والرُّوح فيه صفًّا؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ:

إلى أن قال: وأخرج الشيخانِ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه مرفوعًا: (يعرَقُ الناس يوم القيامة، حتى يذهب عرقُهم في الأرض سبعين ذراعًا، ويُلجِمهم حتى يبلُغَ آذانهم)، وفي بعض ألفاظ الصحيح: (سبعين عامًا).

فأخرج مسلمٌ عن المِقداد رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (إذا كان يوم القيامة أُدنِيَت الشمسُ من العباد، حتى تكونَ قدرَمِيل أو مِيلين)، قال: (فتصهَرُهم الشمسُ، فيكونون في العرَق كقدرِ أعمالهم، منهم من يأخذه إلى عَقِبَيه، ومنهم من يأخذه إلى حِقْوَيه، ومنهم من يُلجِمُه إلجامًا).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج:

قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ * يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ * وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر:

كما قال تعالى: ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم:

وقال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ، وقال: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: 1]، وقال: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: 1]، وقال:

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾ [الملك:]

وقال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:

وقوله: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾: أي: يومَ القيامة الذي تتقلَّبُ فيه القلوبُ والأبصار؛ أي: من شدَّةِ الفزع، وعظَمة الأهوال.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم:

وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان:]

عن ابن عباس: ﴿عَبُوسًا﴾: ضيِّقًا، ﴿قَمْطَرِيرًا﴾: طويلاً.

﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الحج: أي: كائنة لا شكَّ فيها ولا مِرية، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: أي: يُعيدهم بعد ما صاروا في قبورهم رممًا، ويُوجِدهم بعد العدم؛ كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس:

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت:

فقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:

وكانوا يسألون عن وقت الساعة؛ استبعادًا لوقوعها، وتكذيبًا بوجودها؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنبياء: وقال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى:

وقوله: ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ قال عليُّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: "منتهاها"؛ أي: متى مَحطُّها؟ و أيان آخر مدة الدنيا، الذي هو أولُ وقت الساعة؟

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾: أمَر تعالى نبيَّه ﷺ إذا سُئِل عن وقت الساعة، أن يردَّ عِلمها إلى الله تعالى؛ فإنه هو الذي يجلِّيها لوقتها؛ أي: يعلَمُ جليَّة أمرها، ومتى يكون على التحديد؛ أي لا يعلمُ ذلك أحدٌ إلا هو تعالى: ولهذا قال: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

قال عبدالرزَّاق، عن معمَر، عن قتادة في قوله: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، قال: ثقل علمُها على أهل السموات والأرض أنهم لا يعلمون، قال معمَر: قال الحسن: إذا جاءت، ثقُلت على أهل السموات والأرض، يقول: كبُرت عليهم، وقال الضحاك، عن ابن عباس في قوله: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال: ليس شيء من الخَلْق إلا يصيبه من ضررِ يوم القيامة.

وقال ابن جُرَيج: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، قال: إذا جاءت انشقت السماءُ، و انتثَرَت النجوم، وكُوِّرت الشمس، وسُيِّرت الجبال، وكان ما قاله الله عز وجل، فذلك ثقلها.

واختار ابنُ جَرير - رحمه الله -: أن المراد: ثقُل عِلم وقتها على أهل السموات والأرض، كما قال قتادة.

وهو كما قالاه؛ كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾، ولا ينفي ذلك ثِقل مجيئها على أهل السموات والأرض، والله أعلم.

وقال السُّدِّي في قوله تعالى: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، يقول: خفِيَت في السموات والأرض، فلا يعلم قيامَها حين تقومُ مَلَكٌ مقرَّب، ولا نبي مرسَل.

﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ قال: يبغَتُهم قيامُها، تأتيهم على غفلة.

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ قضى اللهُ أنها ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾، قال: وذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: (إن الساعة تهيج بالناس، والرجل يُصلِح حوضه، والرجل يسقي ماشيته، والرجل يقيم سلعتَه في السوق، ويخفض ميزانه ويرفَعُه).

وقال البخاري: حدثنا أبو اليمان، أنبأنا شُعَيب، حدثنا أبو الزناد عن عبدالرحمن، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعةُ حتى تطلُعَ الشمسُ من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس، آمَنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانُها لم تكُنْ آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا، ولتقومن الساعة وقد نشَر الرَّجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجلُ بلبَن لِقحتِه فلا يطعَمُه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة والرَّجلُ قد رفَع أُكْلَتَه إلى فيه فلا يطعَمُها).

وقال مسلم في صحيحه: حدثني زهير بن حرب، حدثنا سفيان بن عيينة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرةَ، يبلُغُ به النبيَّ ﷺ قال: (تقوم الساعة والرجل

يحلُبُ اللِّقحة، فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم الساعة، والرجلان يتبايعانِ الثوبَ، فما يتبايَعانه حتى تقوم، والرجل يلوط حوضَه فما يصدُرُحتى تقومَ).

وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ اختلَف المفسِّرون في معناه، فقيل: معناه - كما قال العَوْفيُّ عن ابن عباس -: ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ يقول: كأنَّ بينك وبينهم مودَّة، كأنك صديقٌ لهم، قال ابن عباس: لَمَّا سأل الناسُ محمدًا ﷺ عن الساعة، سألوه سؤالَ قومٍ كأنهم يرون أن محمدًا حفيٌّ بهم، فأوحى الله إليه: إنَّما عِلمها عنده، استأثربعلمها، فلم يُطلِع اللهُ عليها مَلَكًا مقرَّبًا ولا رسولاً.

وقال قتادة: قالت قريشٌ لمحمد ﷺ: إن بيننا وبينك قرابةً، فأسرَّ إلينا متى الساعة، فقال الله - عزوجل -: ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾.

وكذا رُوي عن مجاهد، وعكرمة، وأبي مالك، والسدي، وهذا قول، والصحيح عن مجاهد - من رواية ابن أبي نجيح وغيره -: ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ قال: استحفيت عنها السؤال، حتى علِمت وقتها.

وكذا قال الضحاك، عن ابن عباس: ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ يقول: كأنك عالِم بها، لستَ تعلمها، ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾

وقال معمَر، عن بعضهم: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾: كأنك عالِم بها.

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾: كأنك عالِم بها، وقد أخفى الله عِلمها على خَلقه، وقرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...﴾ الآيةَ [لقمان:

ولَهذا القولُ أرجحُ في المعنى من الأول، والله أعلم؛ ولهذا قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:

ولهذا لَمَّا جاء جبريل عليه السلام في صورة أعرابيٍّ، يعلِّم الناس أمرَدينهم، فجلس من رسول الله ﷺ مجلس السائل المسترشد، وسأله عن الإسلام، ثم عن الإيمان،

ثم عن الإحسان، ثم قال: فمتى الساعة؟ قال له رسولُ الله ﷺ: (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)؛ أي: لستُ أعلمَ بها منك، ولا أحدَ أعلمُ بها من أحد، ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان:

وفي رواية: فسأله عن أشراط الساعة، ثم قال: (في خمسٍ لا يعلَمُهن إلا الله)، وقرأ هذه الآية، وفي هذا كله يقول له بعد كل جواب: صدقتَ؛ ولهذا عجِب الصحابة من هذا السائل، يسألُه ويصدِّقه، ثم لما انصرف قال رسول الله ﷺ: (هذا جبريلُ أتاكم يعلِّمُكم دِينَكم).

وفي رواية قال: (وما أتاني في صورةٍ إلا عرَفتُه فيها، إلا صورته هذه).

وقد ذكر الحافظ هذا الحديث بطرقه وألفاظه من الصحاح والحسان والمسانيد، في أول شرح صحيحِ البخاري، ولله الحمد والمنَّة.

ولما سأله ذلك الأعرابي وناداه بصوت جَهْوري فقال: يا محمد، قال له رسول الله ﷺ: (هاء) على نحوٍ من صوته، قال: يا محمد، متى الساعة؟ قال له رسول الله ﷺ: (ويحك! إن الساعة آتية، فما أعددتَ لها؟)، قال: ما أعددتُ لها كبير صلاة ولا صيام، ولكني أحبُّ اللهَ ورسوله، فقال له رسولُ الله ﷺ: (المرءُ مع من أحبَّ)، فما فرِح المسلمون بشيء فرَحَهم بهذا الحديث.

وهذا له طُرق متعددة في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: (المرءُ مع من أحبَّ)، وهي متواترة عند كثيرٍ من الحفَّاظ المتقنين.

ففيه أنه عليه السلام كان إذا سُئِل عن هذا الذي لا يحتاجون إلى عِلمه، أرشَدهم إلى ما هو الأهمُّ في حقِّهم، وهو الاستعدادُ لوقوع ذلك، والتهيُّؤ له قبل نزوله، وإن لم يعرِفوا تعيينَ وقته.

ولهذا قال مسلمٌ في صحيحه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة و أبو كريب، قالا: حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: كانت الأعرابُ إذا قدِموا على رسول الله ﷺ، سألوه عن الساعة: متى الساعة؟ فنظر إلى أحدثِ إنسانٍ منهم فقال: (إن يعِشْ هذا لم يدرِكْه الهَرَمُ حتى قامت عليكم ساعتُكم)؛ يعني بذلك موتَهم الذي يُفضي بهم إلى الحصول في برزخ الدار الآخرة.

ثم قال مسلم: وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا يونس بن محمد، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن الساعة، وعنده غلام من الأنصار يقال له: محمدٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: (إن يعِشْ هذا الغلامُ، فعسى ألا يدركَه الهَرَمُ حتى تقوم الساعةُ)؛ انفرد به مسلمٌ.

وقال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:

﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾؛ أي: بالبعث والقيامة، والجنة والنار، والحساب والميزان.

قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا * وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة:

الواقعة: من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك لتحقُّق كونها ووجودها؛ كما قال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة

وقوله: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾؛ أي: ليس لوقوعها إذا أراد الله كونها صارفٌ يصرفُها، ولا دافعٌ يدفعُها.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة

وقال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

وقال الإمام أحمد: حدثنا بهز، حدثنا حماد بن سلمة، قال: أنبأنا يعلى، عن عطاء، عن وكيع بن حدس، عن عمه أبي رَزين العُقيلي، واسمه: لَقيط بن عامر، أنه قال: يا رسول الله، أكلُّنا يرى ربَّه - عز وجل - يوم القيامة، وما آيةُ ذلك في خَلقه؟ فقال رسول الله ﷺ: (أليس كلُّكم ينظرُ إلى القمر مُخْليًا به؟)، قلنا: بلى، قال: (فالله أعظم)، قال: قلت: يا رسول الله، كيف يحيي الله الموتى، وما آية ذلك في خَلْقه؟ قال: (أما مرَرْتَ بوادي أهلِك مَحْلاً؟)، قال: بلى، قال: (ثم مرَرْتَ به يهتزُّ خضرًا؟)، قال: بلى، قال: (فكذلك يحيي اللهُ الموتى، وذلك آيتُه في خَلْقه).

ورواه أبو داود و ابن ماجه، من حديث حماد بن سلَمة، به.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، هل يذكُرُ الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال: (يا عائشة، أمَّا عند ثلاث، فلا: أما عند الميزان حتى يثقل أو يخفَّ، فلا، وأما عند تطاير الكتب فإما يعطى بيمينه أو يعطى بشِماله، فلا، وحين يخرُجُ عُنُقٌ من النار فينطوي عليهم، ويتغيَّظ عليهم، ويقول ذلك العُنُق:

وُكِّلت بثلاثة، وُكِّلت بثلاثة، وُكِّلت بثلاثة: وُكِّلت بمن ادَّعى مع الله إلهًا آخر، ووكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب، ووُكِّلت بكل جبار عنيد، قال: فينطوي عليهم، ويرميهم في غمرات، ولِجهنَّم جِسرٌ أدقُّ من الشَّعر، وأحدُّ من السيف، عليه كلاليبُ وحَسَكٌ يأخُذْن من شاء الله، والناس عليه كالطَّرْف وكالبرق وكالرِّيح، وكأجاويد الخيل والرِّكاب، والملائكة يقولون: ربِّ، سلِّم سلِّم، فناجٍ مُسلَّمٌ، ومخدوش مُسلَّم، ومُكوَّر في النار على وجهِه).نسأل الله العافية.

الإيمان بالحساب

يكون الحساب والجزاء بمثول العباد أمام ربهم، فيعرِّفهم بأعمالهم ويجازيهم بها؛ قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر:

ويوفي الله الحقوق كاملة غير منقوصة؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:

أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة صلاته:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلَحت فقد أفلح و أنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيئًا، قال الرب تبارك وتعالى: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك)

وأول ما يقضى به بين العباد في الدماء[2]؛ فالأول وهو الصلاة يتعلق بحق الله، والثاني في الدماء يتعلق بحقوق العباد، وتقضى الحقوق بالحسنات والسيئات؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (أتدرون من المفلس؟)، قالوا: المفلس فينا يا رسول الله مَن لا درهم له ولا متاع، قال رسول الله ﷺ: (المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا،

وقذف هذا، وأكل مالَ هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيقعد، فيقتص هذا من حسناته، فإن فَنِيَت حسناته قبل أن يقتص ما عليه من الخطايا، أخذ من خطاياهم فطرح عليه، ثم طرح في النار)

فعلى هذا تؤدى كل الحقوق لأصحابها، حتى يبلغ من العدل أن تقضى حقوق البهائم؛ كما ثبت في الحديث: (لتؤدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة؛ حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء)

ويؤتى بالشهود يشهدون على العباد؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: 51]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النحل:

فتشهد الملائكة؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق:

وتشهد أمَّةُ النبي ﷺ على الأمم كلها؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:

وتشهد الأرض؛ كما ثبت في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة:

قال: (أتدرون ما أخبارها؟) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمَة بما عمل على ظهرها، تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا؛ فهذه أخبارها)

وتشهد الأعضاء؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور:

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: 21]، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس:
إن الحياة في التصوُّر الإسلامي تمتدُّ طولًا في الزمان إلى أبد الآباد، وتمتدُّ في المكان إلى دار أخرى في جنة عرضها السماوات والأرض، أو نار تتَّسع لكثير من الأجيال التي عمَّرت وجه الأرض أحقابًا من السنين (انظر:اليوم الآخر في ظلال القرآن) :
قال تعالى : " سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِه " [الحديد:
وقال تعالى : " يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) ق.
إن الإيمان بالله واليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب هو الموجه الحقيقي لسلوكِ الإنسانِ سبيلَ الخير، وليس هناك أي قانون من قوانين البشر يستطيع أن يجعل سلوك الإنسان سويًا مستقيمًا كما يصنعه الإيمان باليوم الآخر.
ولهذا؛ فإن هناك فرقًا كبيرًا وبونًا شاسعًا بين سلوك من يؤمن بالله واليوم الآخر، ويعلم أن الدُّنيا مزرعة الآخرة، وأن الأعمال الصالحة زاد الآخرة؛ كما قال الله تعالى : " وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى " [البقرة:
هناك فرقٌ بين سلوك من هذا حاله، وبين سلوك آخر لا يؤمن بالله، ولا باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، " فالمصدق بيوم الدين يعمل وهو ناظر لميزان السماء لا لميزان الأرض، ولحساب الآخرة لا لحساب الدُّنيا " (اليوم الآخر في ظلال القرآن) له سلوك فريدٌ في الحياة، نرى فيه الاستقامة، وسعة التصور، وقوة الإيمان، والثبات في الشدائد، والصبر على المصائب؛ ابتغاء للأجر والثواب، فهو يعلم أن ما عند الله خير وأبقى .

روى الإمام مسلم عن صهيب رضى الله عنه ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : " عجبًا لأمر المؤمن! إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء؛ شكر؛ فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء؛ صبر؛ فكان خيرًا له " (صحيح مسلم).

الإيمان بالميزان

الميزان في الآخرة هو الميزان الذي ينصبه الله عز وجل يوم القيامة لإظهار مقادير أعمال الخلق، خيرها وشرها، والتي يحاسبهم الله عليها، وهو ميزان دقيق، لا يزيد ولا ينقص، ولا يقدر قدر هذا الميزان إلا الله تعالى. والميزان في الآخرة ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، وقد أخبر الله تعالى عنه في كثير من آيات القرآن الكريم إخبارا مجملا، وأخبر عنه رسول الله ﷺ بالكثير من التفصيل في الكثير من أحاديثه، تنويها بعظم شأنه، وخطورة أمره، وهو ميزان حقيقي، توزن به أعمال العباد.. والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة في ذلك كثيرة، ومنها:

أولا: أدلة إثبات الميزان من القرآن الكريم:

1. قال الله تعالى: {ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين}(الأنبياء:47)، قال السعدي: "يخبر تعالى عن حكمه العدل، وقضائه القسط بين عباده إذا جمعهم في يوم القيامة، وأنه يضع لهم الموازين العادلة، التي يبين فيها مثاقيل الذر، الذي توزن بها الحسنات والسيئات".

2. وقال سبحانه وتعالى: {فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون}(المؤمنون:102. 103)،

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {فمن ثقلت موازينه} موازين حسناته، وخفت موازين سيئاته {فأولئك هم المفلحون} يعني: الخالدون في جنات النعيم".
3 . وقال تعالى: {فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية * وأما من خفت موازينه فأمه هاوية}(القارعة: 6- 9)، قال الطبري: "يقول: فأما من ثقلت موازين حسناته، يعني بالموازين: الوزن.. وقوله: {وأما من خفت موازينه فأمه هاوية} يقول: وأما من خف وزن حسناته، فمأواه ومسكنه الهاوية التي يهوي فيها على رأسه في جهنم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل".
4 .وقال عزوجل: {والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون}(الأعراف: 8 -9)، قال ابن كثير: "{والوزن} أي: للأعمال يوم القيامة {الحق} أي: لا يظلم تعالى أحدا، كما قال تعالى: {ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين}(الأنبياء: 47)، وقال تعالى: {إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما}(النساء:40)، وقال تعالى: {فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية * وأما من خفت موازينه فأمه هاوية * وما أدراك ما هيه * نار حامية}(القارعة:6-11)، وقال تعالى: {فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون * فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون}(المؤمنون. والذي يوضع في الميزان يوم القيامة قيل: الأعمال وإن كانت أعراضا، إلا أن الله تعالى يقلبها يوم القيامة أجساما. قال البغوي: يروى هذا عن ابن عباس.. وقيل: يوزن كتاب الأعمال.. وقيل: يوزن صاحب العمل.. وقد يمكن الجمع بين هذه

الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحا، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم".

ثانيا: أدلة إثبات الميزان من الأحاديث النبوية:

1. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم) رواه البخاري. قال ابن بطال: "وأجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان وتمثل الأعمال بما يوزن، وخالف ذلك المعتزلة و أنكروا الميزان وقالوا: الميزان عبارة عن العدل، وهو خلاف لنص كتاب الله، وقول رسول الله ﷺ". وقال الشيخ ابن عثيمين: "والموازين جمع ميزان، قد وردت في الكتاب والسنة مجموعة ومفردة".

2. عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السموات والأرض..) رواه مسلم. قال النووي: "(والحمد لله تملأ الميزان) فمعناه عظم أجرها و أنه يملأ الميزان، وقد تظاهرت نصوص القرآن والسنة على وزن الأعمال وثقل الموازين وخفتها".

3. عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ يقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا

حسنة، و إنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة (صحيفة صغيرة) فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال : فإنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء) رواه الترمذي وغيره وصححه الألباني. قال ابن حجر: "والصحيح أن الأعمال هي التي توزن". وقال الشيخ ابن عثيمين: "والذي يوزن العمل.. وقيل: صحائف العمل، لحديث صاحب البطاقة، وقيل: العامل نفسه لحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة) وقال اقرءوا: {فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا}(الكهف:105). وجمع بعض العلماء بين هذه النصوص بأن الجميع يوزن، أو أن الوزن حقيقة للصحائف، وحيث إنها تثقل وتخف بحسب الأعمال المكتوبة صار الوزن كأنه للأعمال، وأما وزن صاحب العمل فالمراد به قدره وحرمته، وهذا جمع حسن، والله أعلم".

4 . عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: أنا فاعل، قال: قلت: يا رسول الله فأين أطلبك (في أي مكان من الأماكن التي أكون محتاجا إلى شفاعتك أجدك؟)؟ قال: اطلبني أول ما تطلبني على الصراط، قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فاطلبني عند الميزان، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطأ هذه الثلاث المواطن) رواه الترمذي وصححه الألباني، قال الطيبي في "تحفة الأحوذي: "في أي موطن من المواطن التي أحتاج إلى شفاعتك أطلبك لتخلصني من تلك الورطة، فأجاب على الصراط، وعند الميزان والحوض".

أقوال العلماء والسلف في الميزان يوم القيامة:

الميزان في الآخرة عند أهل السنة ميزان حقيقي توزن به أعمال العباد يوم القيامة والحساب، وأجمع على القول به واعتقاده جميع السلف الصالح من أهل الإسلام، وقد تلقى المسلمون. سلفا وخلفا. الإيمان بالميزان، ولم يخالف فيه أحد ممن يعتد بقوله في باب العقائد. قال اللالكائي في "اعتقاد أهل السنة": "عن ابن أبي حاتم قال: سألت أبي و أبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصاروما يعتقدان من ذلك، فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وعر اقا، وشاما ويمنا، فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.. والميزان حق له كفتان". وقال: "اللالكائي": "وأجمع السلف على إثبات الميزان في الحساب يوم القيامة، قال سفيان بن عيينة: "السنة عشرة فمن كن فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك منها شيئا فقد ترك السنة: إثبات القدر، وتقديم أبي بكر وعمر، والحوض، والشفاعة، والميزان، والصراط، والإيمان قول وعمل، والقرآن كلام الله، وعذاب القبر والبعث يوم القيامة، ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم".

وقال ابن بطة في كتابه "الإبانة الصغرى": "وقد أجمع أهل العلم بالأخبار، والعلماء والزهاد والعباد في جميع الأمصار أن الإيمان بذلك، - يعني: بالميزان - واجب لازم".

وقال السفاريني: "والحاصل: أن الإيمان بالميزان. كأخذ الصحف. ثابت بالكتاب والسنة والإجماع". وقال: "فقد دلت الآثار على أنه ميزان حقيقي ذو كفتين ولسان، كما قال ابن عباس، والحسن البصري، وصرح بذلك علماؤنا،

والأشعرية وغيرهم، وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر، وانعقد إجماع أهل الحق من المسلمين عليه".

وقال أحمد بن حنبل: "أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم.. إلى أن يقول: والإيمان بالميزان".

وقال علي بن المديني: "وهناك أقوال كثيرة لأهل العلم في إثبات ميزان الأعمال إثباتا حقيقيا كما أثبته الله تعالى ورسوله ﷺ".

وقال ابن قدامة في "لمعة الاعتقاد": "والميزان له كفتان ولسان".

وقال ابن تيمية: "وتنصب الموازين، فتوزن فيها أعمال العباد". وقال ابن حجر: "قال أبو إسحاق الزجاج: أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن به يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال، وأنكرت المعتزلة الميزان، وقالوا: هو عبارة عن العدل فخالفوا الكتاب والسنة، لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال، ليرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين".

الحكمة من نصب الميزان يوم القيامة:

من المعلوم والمتيقن به أن الله مطلع على أعمال العباد، عالم بها، فلماذا توزن هذه الأعمال؟ ذكر العلماء بعض الحكم في ذلك، فمنهم من قال: تعريف الخلق بما لهم من الجزاء والأعمال، فيعرفهم الله تعالى بما عملوه من خير أو شر، وذلك لإقامة الحجة عليهم. ومنهم من قال: لإظهار عدل الله سبحانه وتعالى، وأنه الحكم العدل، وأن الناس لن يظلموا عنده أبدا: {وإن كان مثقال حبة من خردل

أتينا بها وكفى بنا حاسبين}(الأنبياء:47). قال ابن أبي العز: "ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، فلا أحد أحب إليه العذر من الله". وقال ابن بطال: "قال المهلب: فأخبر الله تعالى أنه يضع الموازين لتوزن أعمال العباد بها، فيريهم أعمالهم ممثلة في الميزان لأعين العاملين، ليكونوا على أنفسهم شاهدين، قطعا لحججهم، و إبلاغا في إنصافهم عن أعمالهم الحسنة، وتبكيتا لمن قال: إن الله لا يعلم كثيرا مما يعملون، وتقصيا عليهم لأعمالهم المخالفة لما شرع لهم، وبرهانا على عدله على جميعهم، و أنه لا يظلم مثقال حبة من خردل حتى يعترف كل بما قد نسيه من عمله، ويميزما عساه قد احتقره من فعله".

من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالميزان يوم القيامة، و أنه ميزان حقيقي له كفتان، ولا يقدر قدره إلا الله تعالى، وأن أعمال العباد توزن به، وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة والإجماع على ذلك، وفي شرح العقيدة الطحاوية: "والذي دلت عليه السنة أن الميزان الذي توزن به الأعمال يوم القيامة له كفتان حسيتان مشاهدتان". وقال الألباني: "والأحاديث في ذلك متضافرة، إن لم تكن متو اترة". وقال القرطبي: "فإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها".

الإيمان بالصراط

الصراطُ مما يجب الايمان به واعتقاد وجوده وأن المرور عليه حق، وهو مذهب أهل السنة ومنهم الأشاعرة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «... فَيُضْرَبُ الصِرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ» [صحيح البخارى

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: «بَلَغَنِي أَنّ الْجِسْرَ أَدَقّ مِنَ الشّعَرَةِ وَأَحَدّ مِنَ السّيْفِ

وعن أَنس بن مالك أَنَّ رجلا قال: يارسول اللهِ كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [صحيح مسلم صفة القيامة والجنة والنار باب: يحشر الكافر على وجهه] وهذا الجسر منصوب على جهنم، فلا يدخل أحد الجنة حتى يعبر على جهنم،

«يَجُوزُهُ العِبَادُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ» مما يجب اعتقاده أن العباد يمرون على الصراط بقدر أعمالهم التي كانوا يفعلونها في الدنيا فمنهم ناجون ومنهم من توبقهم ذنوبهم، ويظهر أن ذلك يشمل المؤمنين والكافرين؛ لما في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «وَيُضْرَبُ الصِرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسلِ بِأُمَّتِهِ». [صحيح البخاري كتاب الأذان باب: فضل السجود] ووقت المرور عليه بعد الحساب، فمن تعداه نجا ومن أوبقته ذنوبه وقع في النار.

لهذا يجب ان نؤمن بالصراط: وهو جسر على جهنم إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم الموقف إلى الظلمة التي دون الجسر، كما قالت عائشة: إن رسول الله ﷺ سئل: أين الناسُ يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض والسموات؟ قال: (هم في الظلمة دون الجسر)

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري، في حديث طويل مرفوعًا، وفيه: (ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهر اني جهنم)، قلنا: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: (مدحضة مزلَّة، عليه خطاطيف وكلاليب، وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد، يقال لها: السعدان، يمر المؤمن عليها كالطرف والبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فناجٍ مُسلَّم، وناجٍ مخدوش، ومكدوسٌ في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحبًا)

ومعنى "مدحضة": مكان تزل فيه الأقدام ولا تستقر.

ومعنى "مزلَّة": مكان تنزلق فيه الأقدام، وهو نفس المعنى.

ومعنى "الخطاطيف": جمع خطاف، وهو حديدة معوجة يختطف بها الشيء.

ومعنى "الكلاليب": جمع كلوب، وهو حديدة معطوفة الرأس، يعلق عليها اللحم، ويتناول بها الحداد الحديد من النار.

و"الحسك" شوك صُلب قوي، "مفلطحة": لها عرض و اتساع، و"عقيفاء" منعطفة معوجَّة.

قلت: وقد ثبت في بعض الآثار: أن الجسر أدقُّ من الشعر، وأحدُّ من السيف: فقد روى ابن جرير عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: قال: (الصراط على جهنم مثل حد السيف...)

• أول مَن يجيز على الصراط الرسولُ ﷺ وأمته: لِما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا في حديث طويل، وفيه: (ويضرب الصراط بين ظهرانَيْ جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم...) الحديث.

• وقبل الصراط يكون الناس في الظلمة، ثم يلقى عليهم النور ليمروا على الصراط، لكن يطفأ نور المنافقين؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ* فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد:

ورد ذلك موقوفًا عن ابن مسعود، وله حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يقال بالرأي قال: (يجمع الله الناس يوم القيامة... إلى أن قال: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك)

• اختلف العلماء في معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم:

1- فذهب البعض إلى أن المقصود به الدخول، وهو قول ابن عباس، وأنها تكون على المؤمنين بردًا وسلامًا، واستدل بقوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: 98]، بمعنى: أدخلهم.

2- وذهب آخرون إلى أن الورود هو المرور، وهو قول جابر بن عبدالله رضي الله عنهما؛ فقد سئل عن الورود، فساق الحديث بطوله، وفيه: (... ويعطى كل إنسان منافق أو مؤمن نورًا، ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر، سبعون ألفًا لا يحاسبون...)

والجمع بين الأقوال: أن ورود الكفار دخولهم إياها، وورود المؤمنين مرورهم عليها؛ فالكل يرد عليها مرورًا، ثم يسقط فيها المنافقون دخولًا، وينجو المؤمنون.اللهم نجنا من النار

الإيمان بالجنة

الجنة دار الله ودار كرامته، ومحل أوليائه وعباده الصالحين، وفي الجنة نعيم لا مثيل له، ليس له في الدنيا نظير ولا شبيه، وفي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وقد جاء وصف الجنة في الكثير من الآيات القرآنية، قال الله تعالى: {مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا}(الرعد:

وقال تعالى: {مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم}(محمد:

والنبي ﷺ كثيرا ما كان يخبر عن الجنة بما يشوق النفوس إليها ويشحذ الهمم لطلبها والسعي لها. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، مصداق ذلك في كتاب الله: {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون}(السجدة: وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، و اقرؤوا إن شئتم: {وظل ممدود}(الو اقعة:

وموضع سوط (آلة الضرب التي تتخذ من الجلد) في الجنة خير من الدنيا وما فيها، و اقرؤوا إن شئتم: {فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز}(آل عمران

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (ينادي مناد (أي:على أهل الجنة): إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم

أن تشبوا فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا، فذلك قوله عز وجل: {ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون}(الأعراف:

وللجنة أبواب ثمانية يدخل منها المؤمنون، قال الله تعالى: {جنات عدن مفتحة لهم الأبواب}(ص:50)، وقال تعالى: {جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب}(الرعد:

وقد أخبرنا النبي ﷺ أن الجنة تفتح أبوابها في رمضان، وفي يوم الاثنين والخميس. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة) رواه مسلم. وقال ﷺ: (تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس..) رواه مسلم. وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (ما منكم من أحد يتوضأ فيبالغ، . أو فيسبغ الوضوء ،، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء) رواه مسلم. وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (في الجنة ثمانية أبواب: باب منها يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون) رواه البخاري. قال ابن حجر في "فتح الباري": "وقد وردت هذه العدة لأبواب الجنة في عدة أحاديث".

اللهم ارزقنا الجنة ونعيمها يارب العالمين.

الإيمان بالنار

الإيمانُ بالناريعني جهنم امرواجب في حق المؤمن فهي الدّار التي أعدّها الله تعالى للكافرين خالدين فيها، يذوقون فيها صنوفاً عديدة من العذاب الشّديد الذي لا يتصوره بَشر، أمّا العصاة مِنَ المسلمين فإنّ مصيرهم إلى مشيئة الله تعالى، إنْ شاء غَفَر، وإن شاء عذَّب، وهم غيرخالدين في النار، قال الله عز وجل: {فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}(البقرة:

وقال تعالى: {فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى}(الليل

وللجنة أبواب يدخل منها المؤمنون، قال الله تعالى: {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ}(الرعد:23)، وقد بينت الأحاديث النبوية أن عدد أبواب الجنة ثمانية. وللناركذلك أبواب يدخل منها الكافرون ويخلدون فيها، ويدخل منها العصاة من المسلمين الذين شاء الله لهم ذلك ولا يخلدون فيها. وللنارسبعة أبواب، قال الله تعالى: {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ}(الحجر: 43 . 44) . قال ابن كثير: "أخبر أن لجهنم سبعة أبواب: {لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ} أي: قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه، لا محيد لهم عنه - أجارنا الله منها ،. وكل يدخل من باب بحسب عمله، ويستقرفي دركٍ بقدْرفعله.. عن حطان بن عبد الله أنه قال: سمعتُ علي بن أبي طالب وهو يخطب قال: إن أبواب جهنم هكذا - قال أبو هارون: أطباقا بعضها فوق بعض.. وعن علي رضي الله عنه قال: أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض، فيمتلئ الأول، ثم الثاني، ثم الثالث، حتى تُمْلَأ كلها. وقال عكرمة: {سَبْعَةُ أَبْوَابٍ}

سبعة أطباق. وقال ابن جريج: {سَبْعَةُ أَبْوَابٍ} أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحُطمة، ثم سعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية. وروى الضحاك عن ابن عباس نحوه. وكذا روي عن الأعمش بنحوه أيضا".

وقال السعدي: "كل باب أسفل مِنَ الآخَر، لكل بَابٍ مِّنْهُمْ من أتباع إبليس، {جُزْءٌ مَّقْسُومٌ} أي بحسب أعمالهم".

وعندما يَرِدُ الكفارُ النارَ تُفْتَح أبوابها، ثم يدخلونها خالدين، قال الله تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ}(الزمر:71: 72)، قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: "فتقول خزنة جهنم للذين كفروا حينئذ: {ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ} السبعة على قدر منازلكم فيها". وقال ابن كثير: "وقوله: {حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} أي: بمجرد وصولهم إليها فُتِحت لهم أبوابها سريعا، لتُعَجَّل لهم العقوبة". وقال الطبري: "وقوله: {إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} السبعة". وقال البغوي: "قال أبو عبيدة والأخفش: {زُمَرًا} أي جماعات في تفرقة، واحدتها زمرة. {حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} السبعة وكانت مغلقة قبل ذلك، قرأ أهل الكوفة فُتِحَت، وفُتِحَت بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير".

وهذه الأبواب السبعة لجهنم تُغلق على الكافرين، فلا مطمع لهم في الخروج منها بعد ذلك، كما قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ}(البلد:19). وقال تعالى: {إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ}(الهمزة:8:9). قال ابن كثير: "قال ابن عباس: {مُّؤْصَدَةٌ} مغلقة الأبواب،

وقال مجاهد: أصد الباب بلغة قريش، أي أغلقه". وقال الأصفهاني والبغوي: "يُقال: أوْصدْت الباب وآصدتُهُ: أي أطبقته، وأحكمته، فأبواب النار على أهلها مطبقة مغلقة". وقال السعدي: "{عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ} أي: مغلقة، {فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ} قد مُدَّت من ورائها، لئلا تنفتح أبوابها، حتى يكونوا في ضيق وهم وشدة". وذكر العلماء وأهل التفسير أسماء أبواب النار السبعة وهي: جهنم، والحُطَمَة، وسقر، والجحيم، ولظى، والسعير، والهاوية، وكل هذه الأسماء موجودة في القرآن الكريم. قال الله تعالى: {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا}(النبأ:21)،

وقال تعالى: {كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ}(الهمزة:

وقال تعالى: {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ}(المدثر:

وقال تعالى: {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ}(الشعراء:

وقال تعالى: {كَلَّا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِلشَّوَى}(المعارج:15:16)، وقال تعالى: {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ}(الشورى:7)، وقال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ}(القارعة

قال ابن كثير: "{هَاوِيَةٌ} وهي اسم من أسماء النار. قال ابن جرير: و إنما قيل: للهاوية أمه، لأنه لا مأوى له غيرها".

وقال السيوطي في "الدر المنثور": "وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: {لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ} قال: جهنم، والسعير، ولظى، والحطمة، وسقر، والجحيم، والهاوية وهي أسفلها.. وأخرج ابن جرير و ابن المنذر عن ابن جريج رضي الله عنه في قوله: {لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ} قال: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحُطَمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية.. وأخرج عبد الرزاق و ابن أبي حاتم عن الأعمش

رضي الله عنه قال: أسماء أبواب جهنم: الحطمة والهاوية ولظى وسقر والجحيم والسعير وجهنم والنار هي جماع".

وعن عُتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (الجنَّةُ لها ثمانيةُ أبوابٍ، و النارُلها سبعةُ أبواب) رواه أحمد وصححه الألباني. قال ابن عبد البر في "الاستذكار": "وقد قيل إن للجنة ثمانية أبواب، و أبواب جهنم سبعة - أجارنا الله منها .، فأما أبواب جهنم ففي كتاب الله ما يكفي في ذلك المعنى قال الله عز وجل: {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ}(الحجر:

وأما أبواب الجنة فموجودة في السُنة مِنْ نقل الآحاد العدول الأئمة".

وقد تُفتح أبواب الجنة وتُغلق أبواب النار قبل يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إذا دخل رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّة، وغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّم، وسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ) رواه البخاري. قال ابن بطال في "شرح صحيح البخاري": "وتأول العلماء في قوله: (فتحت أبواب الجنة وسلسلت الشياطين) معنيين. أحدهما: أنهم يسلسلون على الحقيقة، فيقل أذاهم ووسوستهم ولا يكون ذلك منهم كما هو في غير رمضان، وفتح أبواب الجنة على ظاهر الحديث. والثاني: على المجاز، ويكون المعنى في فتح أبواب الجنة ما فتح الله على العباد فيه من الأعمال المستوجب بها الجنة من الصلاة والصيام وتلاوة القر آن، وأن الطريق إلى الجنة في رمضان أسهل والأعمال فيه أسرع إلى القبول، وكذلك أبواب النار تغلق بما قطع عنهم من المعاصي، وترك الأعمال المستوجب بها النار".

وقال السيوطي في "شرحه على النسائي": "ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة عبارة عما يفتحه الله تعالى لعباده من الطاعات وذلك أسباب لدخول الجنة، وغلق أبواب النار عبارة عن صرف الهمم عن المعاصي الآيلة بأصحابها إلى النار".

وقال ابن حجر في "فتح الباري": "قال عياض: يحتمل أنه على ظاهره وحقيقته، وأن ذلك كله علامة للملائكة لدخول الشهر وتعظيم حرمته ولمنع الشياطين من أذى المؤمنين. ويحتمل أن يكون إشارة إلى كثرة الثواب والعفو وأن الشياطين يقل إغواؤهم فيصيرون كالمُصَفَّدين. قال: ويؤيد هذا الاحتمال الثاني قوله في رواية يونس عن ابن شهاب عند مسلم: (فتحت أبواب الرحمة)، قال: ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة عبارة عما يفتحه الله لعباده مِن الطاعات وذلك أسباب لدخول الجنة، وغلق أبواب النار عبارة عن صرف الهمم عن المعاصي الآيلة بأصحابها إلى النار، وتصفيد الشياطين عبارة عن تعجيزهم عن الإغواء وتزيين الشهوات. قال الزين بن المنير: والأول أوْجَه، ولا ضرورة تدعو إلى صرف اللفظ عن ظاهره، وأما الرواية التي فيها أبواب الرحمة و أبواب السماء فمِن تصرف الرواة، والأصل أبواب الجنة بدليل ما يقابله وهو غلق أبواب النار".

وقال بدر الدين العيني في "عمدة القاري شرح صحيح البخاري": "المُرَاد من فتح أَبْوَاب الْجنَّة حَقِيقَة الْفَتْح، وَذهب بَعضهم إِلَى أَن المُرَاد بِفَتْح أَبْوَاب الْجنَّة كَثْرَة الطَّاعَات فِي شهر رمضان، فَإِنَّهَا موصلة إِلَى الْجنَّة، فكُني بها عَن ذلك".

الجنة لها ثمانية أبواب، وفيها ما لا عينٌ رأَت ولا أذُنٌ سمعَت، ولا خطَر على قَلبِ بَشَر، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (يُنادِي مُنادٍ (أي: عَلى أَهْلِ الجنَّة): إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً،

وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبْأسوا أبداً، فذلك قوله عزوجل: {وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}(الأعراف وأمّا النّارفلها سبعة أبواب، وهي مثوَى الكافرين والفجاروالأشرارِ، نارٌأشارالنبي ﷺ إلى أقلِّ أهلِها وأهونِهم عذابًا.والعِياذُ بالله.بقوله: (إنَّ أهْوَنَ أهْلِ النَّارِعَذابًا يوم القِيامة لَرَجُلٌ تُوضَعُ في أخْمَصِ قَدَمَيْهِ (وهو ما لم يُصِبِ الأرضَ مِن باطِن القدم) جَمْرَةٌ، يَغْلِي مِنْها دِماغُه) رواه البخاري. وعن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (اتَّقُوا النَّارَ، ثُمَّ أعْرَضَ وأَشَاح، ثُمَّ قال: اتَّقُوا النَّارَثُمَّ أعْرَضَ وأَشَاح ثَلَاثًا، حتَّى ظَنَنَّا أنَّه يَنْظُرُإليها، ثم قال: اتقوا النَّارَولو بشِقِّ تَمْرَةٍ، فمَن لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَة) رواه البخاري.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الناجين من النار، وأنْ يُدْخِلنا الجنّة مع الأبرار..

محبة الله

حب الله من أعظم النِّعم التي ينالها العبد ويُشرّف بها، فبذلك ينال خيري الدُّنيا والآخرة، وبه يُوفّق إلى مزيدٍ من العمل، ويُعصم عن كثيرٍ من الزَّلل، فمحبّة الله هي الغاية التي يتنافس لأجلها الصالحون والمُحسنون، لينالوا القرب من ربّهم، والفوز بمرضاته، ويتحقّق ذلك بالعلم التامّ بالله -سُبحانه-، كما قال ابن رجب -رحمه الله-: "فالعلمُ النافعُ ما عرَّفَ العبدِ بربِّه ودلَّه عليه حتى عَرَفَ ووحَّدَهُ وأَنِسَ به واستَحَى من قُربهِ وعَبَدَهُ كأنهُ يَراهُ".]

علامات حبّ الله للعبد

توجد العديد من العلامات والأمارات التي تدلّ على محبّة الله لعباده، فيما يأتي بيان البعض من تلك العلامات:

إعلان اتّباع النبي -ﷺ- والتزام هَدْيه وشَرْعه في أمور الحياة، كما قال -تعالى-: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)، فمَن أحبّه الله؛ وفّقه لاتباع هَدْي النبيّ -ﷺ-، الذي يعدّ من أسباب تحقيق ونَيْل الخير. قد يعجبك: التفقه في دِين الله تعالى وتعلم أحكامه كما أخرج الإمام البخاريّ عن معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما-، عن النبيّ -ﷺ- أنّه قال: (مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ)، فمَن أحبّه الله؛ يسّر له سلوك طريق العلم الشرعيّ، والتفقّه في دِين الله. الاتصاف بالصفات التي وصف الله بها من

يحبهم في قَوْله -عزّوجلّ-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ)، ومن تلك الصفات: الرّحمة بالمؤمنين، والتواضع لهم، واللين في التعامل معهم. الاجتهاد في التقرب من الله -سُبحانه- بالنو افل كما أخرج الإمام البخاريّ في الحديث القُدسيّ، أنّ النبيّ -ﷺ- قال فيما يرويه عن ربّه -عزّوجلّ-: (إنَّ اللَّهَ قالَ: مَن عادَى لي ولِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ...).نيل حب الناس والقبول في الأرض كما في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبيّ -ﷺ- أنّه قال: (إذَا أحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فأحْبِبْهُ، فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فيُنَادِي جِبْرِيلُ في أهْلِ السَّمَاءِ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فأحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأرْضِ).

علامات حبّ العبد لله تدلّ على محبّة العبد لله -سُبحانه- العديد من الأمور، التي تدلّ على صدْق حبّه، ومن أهمّ تلك العلامات: تقديم ما يحبه الله ويريده على كل شيء وإن خالف ذلك ما تحبّه النَّفس، ويحقّق الهوى والرّغبة، وبَغْض ما يبغضه الله، ولو و افق ذلك ما تهواه النَّفْس، كما أخرج الإمام البخاريّ في صحيحه، عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أنّ النبيّ -ﷺ- قال: (ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلَاوَةَ الإيمَانِ: مَن كانَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِوَاهُمَا، ومَن أحَبَّ عَبْدًا لا يُحِبُّهُ إلَّا لِلَّهِ عزَّوجلَّ، ومَن يَكْرَهُ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ، بَعْدَ إذْ أنْقَذَهُ اللَّهُ، منه كما يَكْرَهُ أنْ يُلْقَى في النَّارِ).

موالاة ومحبّة من يوالي الله ورسوله ويتّبع أوامرهما، ومعاداة وبَغْض من يُعادي الله، ويُعادي دِينه، قال -تعالى-: (لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ

مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَ أَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

اتباع هدي النبي ﷺ وما أمربه، والانتهاء عمّا نهى عنه، قال -تعالى-: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

أسبابٌ مُعينةٌ على محبّة الله ينال العبد محبّة الله -سُبحانه- بالعديد من الطُّرق والأسباب، فيما يأتي بيان البعض منها: الالتزام بأداء الفرائض دون تقصيرٍ فذلك من أهمّ الأسباب، وهو الأساس في نَيْل محبّة الله -تعالى-، والسبب الأعظم فيما يُتقرّب به إلى الله سبحانه، كما ثبت في الحديث القُدسيّ: (وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه).[٧] قراءة القرآن، وتدبّر آياته فهو من أهمّ الأسباب التي تبيّن وتوضّح للعبد طريق نَيْل رضا الله، ومُراده. الإكثار من ذِكْر الله تعالى في كلّ وقتٍ، وفي كلّ مكانٍ، فذِكْر الله من أسباب طَرْد الشيطان والنفاق، فذلك وصيّة النبيّ -ﷺ-، كما ثبت في حديث عبدالله بن بسر-رضي الله عنه-: (أنَّ رجلًا قال يا رسولَ اللهِ إنَّ شرائعَ الإسلامِ قد كثُرت عليَّ فأخبِرني بشيءٍ أتشبَّثُ به قال: لا يزالُ لسانُك رطبًا من ذكرِ اللهِ).[صفات الذين يحبّهم الله يتّصف العباد الذين يحبّهم الله -تعالى- بالعديد من الصفات التي تميّزهم عن غيرهم من العباد، ومن تلك الصفات: الإكثار من التّوبة والإنابة إلى الله سُبحانه من أيّ ذنبٍ أو زللٍ، قال -تعالى-:(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)

وتكون التوبة الحقّ بالإخلاص لله -سُبحانه- فيها، والندم على ما فات، والإقلاع عن الذّنوب فَوْر ارتكابها، والعزم على عدم العودة إليها، ولا بدّ أن تكون التوبة في

الوقت الذي تُقبل فيه؛ فلا تصحّ عند طلوع الشمس من مغربها، أو عند حضور الأجل، كما لا بدّ من أداء الحقوق لأصحابها إن كانت الذّنوب متعلّقةً بحقوق العباد. اتّباع سُنّة النبيّ ﷺ قال -تعالى-: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ).[٤] العَدْل والقسط في كلّ الأمور والمواقف سواءً مع النَّفْس أو مع الغير، قال -تعالى-: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ).[١٦] الإنفاق في سبيل الله سُبحانه طَمَعاً في نَيل الأجر والثواب منه قال -تعالى-: (وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

حُبّ لقاء الله والشّوق له، وذلك حين تُبشّر الملائكة المؤمن حين احتضاره بما أعدّه الله -سُبحانه- له، كما أخرج الإمام البخاريّ في صحيحه عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- أنّ النبيّ -ﷺ- قال: (مَن أحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ أحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، ومَن كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ قالَتْ عائِشَةُ أوْ بَعْضُ أزْواجِهِ: إنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قالَ: ليسَ ذاكِ، ولَكِنَّ المُؤْمِنَ إذا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ برِضْوانِ اللَّهِ وكَرامَتِهِ، فليسَ شيءٌ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا أمامَهُ، فأحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ وأَحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، وإنَّ الكافِرَ إذا حُضِرَ بُشِّرَ بعَذابِ اللَّهِ وعُقُوبَتِهِ، فليسَ شيءٌ أكْرَهَ إلَيْهِ ممَّا أمامَهُ، كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ وكَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ). سُلوك جادّة وطريق طلب العلم الشرعيّ كما ثبت في حديث معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما- عن النبيّ -ﷺ- أنّه قال: (مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ) الحبُّ في الله تعالى فيحبّ العباد بعضهم بعضاً لله، ليس لتحقيق غايةٍ وهدفٍ متعلّقٍ بالحياة الدُّنيا، قال -ﷺ-: (إنَّ اللَّهَ يقولُ يَومَ القِيامَةِ: أيْنَ المُتَحابُّونَ بجَلالِي، اليومَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلِّي).

الحرص على الطهارة سواءً في البَدَن، أو الثوب، أو في بيوت الله، فقد قال -تعالى: (فيهِ رِجالٌ يُحِبّونَ أَن يَتَطَهَّروا وَاللَّهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرينَ).

التزام تقوى الله تعالى وخَشْيته في السِّر والعلن، قال -تعالى-: (بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)،

وتتحقّق التقوى بالتزام أوامر الله -سُبحانه-، واجتناب نواهيه. الصَّبر فهو من الصفات التي حثّ الله -سُبحانه- على التزامها، فقال: (وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ).

التوكّل على الله سُبحانه والاعتماد عليه في الأمور كلّها، قال -تعالى-: (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ).

ثمرات محبّة الله تترتّب العديد من الثمرات على حبّ الله -تعالى-، ومن ثمرات محبّة العبد لربّه:[٢٤] التسليم والرضا بقضاء الله وقدره فمَن أحبّ الله؛ رَضِيَ بكلّ ما يقضيه عليه؛ لِعلمه بأنّ الله لا يقدر له إلّا بِما يعود عليه بالخير، و أنّه خلقه مُكرّماً مُفضّلاً على جميع المخلوقات، وجعل الجنّة منزله في الآخرة؛ إن التزم بما أمره الله به، إذ إنّ كُلّ ما يُعرض له من الابتلاءات؛ إنّما هي رسائل تنبيهٍ وتذكيرٍ؛ للعودة واللجوء إليه، ولمعرفة حقيقة الحياة الدُّنيا، ونَقْصها، قال -تعالى-: (وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)

فالابتلاء في حقيقته؛ أداةٌ للتطهير والتهذيب من الذّنوب والمعاصي، كما ثبت في صحيح البخاريّ عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، أنّ النبيّ -عليه الصلاة والسلام- قال: (ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حُزْنٍ ولَا أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بهَا مِن خَطَايَاهُ).

الشعور بلذّة العبادة، والمبادرة إليها فمَن أَحبّ الله؛ أسرع في أداء ما يحقّق رضاه، كما قال الله -تعالى- على لسان نبيّه موسى -عليه السلام-: (وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى)،

فمَن أحبّ الله؛ أُنِسَ في عبادته. الشَّوق إلى لقاء الله والخلوة به في كلّ فُرصةٍ ممكنةٍ، فيُناجيه، ويتضرّع إليه، ولِعلمه بأنّ لقاءه بمحبوبه غير مُمكنٍ في الدُّنيا؛ فتشتاق نفسه لذلك اللقاء في الآخرة، يقول الحسن البصريّ -رحمه الله-: "إنّ أحباء الله هم الذين ورثوا الحياة الطيّبة، وذاقوا نعيمها بما وصلوا إليه من مناجاة حبيبهم، وبما وجدوا من حلاوةٍ في قلوبهم، لا سيما إذا خطر على بالهم ذِكْر مشافهته، وكشف ستور الحجب عنه في المقام الأمين والسرور، وأراهم جلاله، وأسمعهم لذّة كلامه، وردّ عليهم جواب ما ناجوه به أيّام حياتهم". بَذْل الرُّوح في سبيل الله فمَن أحبّ الله؛ بَذَلَ أغلى ما يملك في سبيل نَيْل مرضاته وحُسْن الظنّ بالله -سُبحانه-، وعِظَم الرّجاء به، والاستغناء والاكتفاء بالله سُبحانه عن كلّ ما سواه، وخاصّةً حينما يتعرّض العبد للابتلاءات في حياته الدُّنيا. الحياء من الله سُبحانه فمَن أحبّ الله يستحي أن يراه ربّه في موطنٍ لا يرضاه، وإن ما زلّت قدمه؛ سارع في طلب العفو والرَّحمة ممّن وسعت رحمته كلّ شيءٍ. الرَّحمة بالخَلْق والشَّفقة عليهم، وخاصّةً العُصاة منهم؛ إذ يحرص المحبّ لله -سُبحانه- على هدايتهم، ودعوتهم لسلوك الطريق القويم، والغِيرة من انتهاك حُرمات الله؛ فالمحبّ لله -سُبحانه-: لا يقبل انتهاك حدود الله، وتجاوز أوامره. ثمرات محبّة الله في الحياة الدنيا التوفيق والسداد في شؤؤن الحياة كما ثبت في الحديث القُدسيّ، إذ قال النبيّ -عليه الصلاة والسلام- فيما يرويه عن ربّه -عزّوجلّ-: (مَن عادَى لي ولِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ... فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به،

وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ)

محبة النبي ﷺ

الحديث عن محبة النبي ﷺ متعة عظيمة! أما الألسنة فتترطب بذكره والصلاة عليه، وأما الآذان فتتشنف بسماع سيرته وهديه وحديثه، وأما العقول فتخضع لما ثبت من الحكم والسنة التي جاء بها عليه الصلاة والسلام، وأما الجوارح والأعضاء فتنتفع وتتمتع بموافقة هديه وفعله وحاله ﷺ. مفهوم المحبة المحبة كما قال ابن القيم: "المحبة لا تُحَدُّ -أي لا يذكر لها تعريف- إذ هي أمر ينبعث بنفس يصعب التعبير عنه". اقرأ أيضا: محمد ﷺ رائد العمل الخيري والإنساني أزواج النبي ﷺ ثم المحبة لها جوانب، منها: محبة الاستلذاذ بالإدراك، كحب الصور الجميلة والمناظر والأطعمة والأشربة.. تلك محبة فطرية، أو تكون محبة بإدراك العقل، وتلك المحبة المعنوية التي تكون لمحبة الخصال الشريفة، والأخلاق الفاضلة، والمواقف الحسنة، وهناك محبة لمن أحسن إليك ولمن قدم لك معروفًا، فتنبعث المحبة حينئذ لتكون ضربًا من ضروب الحمد والشكر، فينبعث الثناء بعد ذلك ترجمة لها وتوضيحًا لمعانيها. قال النووي رحمه الله في كلمة جميلة: وهذه المعاني كلها موجودة في النبي ﷺ لما جمع من جمال الظاهر والباطن، وكمال الجلال، و أنواع الفضائل وإحسانه إلى جميع المسلمين بهدايته إياه إلى الصراط المستقيم، ودوام النعم والإبعاد من الجحيم.. فإن نظرت إلى وصف هيئته ﷺ فجمال ما بعده جمال، وإن نظرت إلى أخلاقه وخلاله فكمال ما بعده كمال، وإن نظرت إلى إحسانه وفضله على الناس جميعًا وعلى المسلمين خصوصًا فوفاء ما بعده وفاء. فمن هنا: تعظم محبته ﷺ ويستولي في المحبة على

كل صورها وأعظم مراتبها، وأعلى درجاتها، فهو ﷺ الحري بأن تنبعث محبة القلوب والنفوس له في كل لحظة، وفي كل تقلبات حياتنا؛ ولذلك ينبغي أن ندرك عظمة هذه المحبة، وهنا وقفة نتمم بها هذا: فنحن نتعلق ونرتبط برسول الله ﷺ من جوانب شتى: في جانب العقل معرفة وعلمًا، نقرأ ونحفظ سيرته وحديثه وهديه وسنته، والواجب منها والمندوب منها ونحو ذلك. ومحبة بالقلب، وهي عاطفة مشبوبة، ومشاعر جياشة، ومحبة متدفقة، وميل عاصف تتعلق به النفس والقلب برسول الله ﷺ؛ لما فيه من المعاني الحسية والمعنوية. ثم محبة بالجوارح تترجم فيها المحبة إلى الاتباع لسنته وفعله عليه الصلاة والسلام، فلا يمكن أن نقول إن المحبة اتباع فحسب! فأين مشاعر القلب؟ ولا يصلح أن نقول إنها الحب والعاطفة الجياشة، فأين صدق الاتباع؟ ولا ينفع هذا وهذا! فأين المعرفة والعلم التي يؤسس بها من فقه سيرته وهديه وأحواله عليه الصلاة والسلام؛ لذا فنحن نرتبط في هذه المحبة بالقلب والنفس، وبالعقل والفكر، وبسائر الجوارح والأحوال والأعمال، فتكمل حينئذ المحبة؛ لتكون هي المحبة الصادقة الخالصة الحقيقية العملية الباطنية، فتكتمل من كل جوانبها؛ لنؤدي بعض حق رسول الله ﷺ علينا. حكم محبة رسول الله ﷺ هي واجبة على كل مسلم قطعًا، والأدلة على ثبوت وجوبها كثيرة، ومن ذلك قول الله سبحانه الذي جمع في آية واحدة كل محبوبات الدنيا، وكل متعلقات القلوب، وكل مطامع النفوس ووضعها في كفةٍ، وحب الله، وحب رسوله في كفةٍ: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} (التوبة: 24). قال القاضي

عياض رحمه الله: "فكفى بهذا حضًّا وتنبيهًا ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها ﷺ؛ إذ قرّع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله تعالى: {فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ}، ثم فسّقهم بتمام الآية فقال: {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله عز وجل. فهذه آية عظيمة تبين أهمية ووجوب هذه المحبة. ويأتينا دليل عظيم وبليغ في قول الحق: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ...} (الأحزاب: 6). وبين ابن القيم الدلالة على وجوب المحبة في هذه الآية من وجوهٍ كثيرة ضمنها أمرين: الأول: أن يكون أحب إلى العبد من نفسه: لأن الأولوية أصلها الحب ونَفْسُ العبد أحب إليه من غيره، ومع هذا يجب أن يكون الرسول ﷺ أولى به منها، أي أولى به من نفسه وأحب إليه من نفسه، فبذلك يحصل له اسم الإيمان، ويلزم من هذه الأولوية والمحبة كمال الانقياد والطاعة والرضا والتسليم، وسائر لوازم المحبة من الرضا بحكمه، والتسليم لأمره، و إيثاره على ما سواه. وأما الجانب الثاني: ألا يكون للعبد حكم على نفسه أصلاً: بل الحكم على نفسه لرسول ﷺ، يحكم عليه أعظم من حكم السيد على عبده، أو الوالد على ولده، فليس له في نفسه تصرف إلا ما تصرف فيه الرسول ﷺ الذي هو أولى به من نفسه، أي بما جاء به عن الله عز وجل، وبلغهم من آياته و أقامه ونشره من سنته ﷺ. وقوله سبحانه: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...} (آل عمران: 31). من الأدلة العظيمة الشاهدة على وجوب محبة النبي ﷺ؛ إذ لا نزاع في أن محبة الله واجبة، وأن اتباع النبي ومحبته طريق إلى محبة الله. والآيات أكثر من أن تحصر في هذا المقام. وأما أحاديثه ﷺ فصريحة في الدلالة على وجوب هذه المحبة، ومن ذلك: قول النبي

ﷺ: "لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" رواه البخاري ومسلم. وكذلك قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فقد كان مع النبي ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِهِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي"، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ". فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: "فَإِنَّهُ الْآنَ، وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي"، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "الْآنَ يَا عُمَرُ" رواه البخاري. وقول عمر الأول بمقتضى الأصل الطبعي في الإنسان أن أحب شيء إليه نفسه، فلما أخبره النبي ﷺ بالمصطلح الإيماني أقرّ عمر بأنه بالمعنى الإيماني يفضل النبي، ويحب النبي ﷺ أكثر من نفسه، فقال له حينئذ رسول الله ﷺ: "الْآنَ يَا عُمَرُ". ثم إن حبّ الإنسان نفسه طبع، وحب غيره اختيار -كما ذكر الخطابي-؛ ولذلك عمر جوابه الأول ذكر الطبع، ثم بعد ذلك ذكر الاختيار الذي هو مقتضى الإيمان. ومن هنا ذكر العلماء أن محبة النبي ﷺ على ضربين: أحدهما: فرض، وهو المحبة التي تقتضي الإيمان بنبوته، وبعثته، وتلقي ما جاء به بالمحبة والقبول، والرضا والتسليم. ودرجة ثانية هي: محبة مندوبة، وهي تقصي أحواله ومتابعة سنته، والحرص على التزام أقواله و أفعاله قدر المستطاع والجهد والطاقة. ومن الأدلة كذلك: قول النَّبِيِّ ﷺ: "ثَلاث مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ" رواه مسلم. ومن الأدلة كذلك: حديث جميل رائع، قال فيه ﷺ: "مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ" رواه مسلم. فكلنا محب لرسول الله ﷺ محبة وجوبٍ، ومحبة اختيارٍ وتعظيمٍ له عليه الصلاة والسلام، وأمر هذا الوجوب لا يحتاج لأدلة، فلعلنا

ندرك عظمة هذا الوجوب عندما ندرك هذه النصوص الواضحة في أن محبته ينبغي أن تكون أعظم من محبة النفس التي بين جنبيك، و أنفاسك التي تتردد، وقلبك الذي يخفق، فضلاً عن محبة الزوج والأبناء، أو الأمهات والآباء، فما أعظم هذه المحبة التي هي أعظم محبة لمخلوقٍ من بني آدم في الدنيا، وفي الخليقة كلها، وهي التي استحقها سيد الخلق ﷺ، ووجبت على كل مؤمن بالله سبحانه. لماذا نحب رسول الله ﷺ؟ هذا السؤال لنهيّج القلوب والمشاعر لهذه المحبة، ولنؤكدها، ولنحرص على غرسها في سويداء القلوب والنفوس حتى تتحرك بها المشاعر، وتنصبغ بها الحياة، وتكون هي السمت والصبغة التي يكون عليها المسلم في سائر أحواله بإذن الله تعالى. أولاً: نحبه؛ لأنه حبيب الله، ومن أحب الله أحب كل ما أحبه الله، وأعظم محبوب من الخلق لله هو رسوله ﷺ، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ" رواه مسلم. يعني نفسه ﷺ، والخلة هي أعلى درجات المحبة. ثانيًا: لأن الله أظهر لنا كمال ر أفته وعظيم رحمته ﷺ بأمته: فنحن نحب الإنسان متى وجدناه بنا رحيمًا، وعلينا شفيقًا، ولنفعنا مبادرًا، ولعوننا مجتهدًا.. فنحبه من أعماق قلوبنا، ورسول الله ﷺ هو في هذا الباب أعظم مَنْ رحمنا، ورأف بنا، وإن كان بيننا وبينه هذه القرون المتطاولة، قال تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} (سورة التوبة: 128). ولو أردنا أمثلةً لذلك طال بنا المقام، فرسول الله ﷺ كثيرًا ما كان يقول: "لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي...". وكم من الأحاديث الذي ورد فيها رقته ورحمته بأمته... كما في حديث مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ قَالَ: أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدْ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا أَوْ قَدْ اشْتَقْنَا سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا

بَعْدَنَا فَأَخْبَرْنَاهُ قَالَ: [ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ] رواه البخاري ومسلم. بل كان إذا سمع بكاء الصبي يخفف من صلاته رأفةً وشفقةً على قلب أمه به، وذلك من كمال رحمته وشفقته عليه الصلاة والسلام. ومن ذلك: كمال نصحه لأمته، وعنايته بتعليمهم، حتى قيل للصحابة: "قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ" رواه مسلم. أي: حتى قضاء الحاجة. علّم أمته كل شيء، وكان عليه الصلاة والسلام لا يدع فرصةً إلا ويعلمهم، ولا يدع فرصةً إلا ويقول: "لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ" رواه البخاري ومسلم. حتى جئنا إلى أيامنا هذه وإلى ما بعدها، وكأن رسول الله ﷺ بين أظهرنا نراه في يقظته ومنامه، بل نحن نعرف عن رسول الله عليه الصلاة والسلام من سيرته أكثر مما نعرف عن أنفسنا. رُصدت حياته ﷺ، ورصد لنا وصفه وشعره؛ كم شعرة بيضاء في لحيته، كل ذلك في وصفٍ دقيقٍ بليغٍ، حتى كأن كل شيءٍ في حياته ورد في وضح النهار، وفي رابعة الشمس كما يقولون. ثالثًا: من دواعي محبته ﷺ: خصائصه وخصاله العظيمة، ويكفينا في ذلك قول الله: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [سورة القلم: 4]. واجتمع فيه ما تفرق من وجوه الفضائل والأخلاق والمحاسن في الخلق كلهم، فكان هو مجتمع المحاسن عليه الصلاة والسلام، وحسبنا ذلك في هذه الدواعي، وإلا فالأمر كثير، فإن الذين مالت قلوبهم، وملئت حبًا لرسول الله عليه الصلاة والسلام من أصحابه، إنما سبى قلوبهم، واستمال أنفسهم بما كان عليه من الخلق وحسن المعاملة، وكمال الرحمة، وعظيم الشفقة، وحسن القول إلى غير ذلك مما هو معلوم من شمائله عليه الصلاة والسلام. رابعًا: مظاهر محبته ﷺ وعلاماتها: فلكل شيءٍ دليل، ولكل

ادعاءٍ برهان، ومن هنا نذكر بعض هذه المعالم العظيمة المهمة من مظاهر وعلامات محبته ﷺ: ومن أولها: محبته باتباعه، والأخذ بسنته ﷺ: وكما قال ابن الجوزي مستشهدًا بقول مجنون ليلى: إذا قيل للمجنون ليلى تريد أم الدنيا وما في طوايا اها؟ لقال غبار من تراب نعالها أحب إلى نفسي وأشفى لبلواها قال ابن الجوزي: "وهذا مذهب المحبين بلا خلاف، فكل محب يكون أدنى شيء من محبوبه أعظم إليه من كل شيء في دنياه، فكان أدنى شيء من الله، ومن رسوله أعظم وأحب إلى كل مؤمن من كل شيء في دنياه". قال ابن رجب رحمه الله في "جامع العلوم والحكم": "فمن أحب الله ورسوله محبةً صادقةً من قلبه؛ أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكره الله ورسوله، ويرضى ما يرضى الله ورسوله، ويسخط ما يسخط الله ورسوله، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض؛ فإن عمل بجوارحه شيئًا يخالف ذلك بأن ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله، أو ترك بعض ما يحب الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه، دلّ ذلك على نقص محبته الواجبة، فعليه أن يتوب من ذلك، ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة".

الصلاة على النبي ﷺ

الإكثار من ذكره ﷺ والصلاة عليه:

فمن أحب إنسانًا أكثر ذكره، وأكثر ذكر محاسنه، فينبغي أن نعطر مجالسنا في كل وقتٍ وحينٍ بذكر مآثر النبي ﷺ، وسيرته وأحواله وشمائله، وهذا الذكر هو الذي يهيج هذه المحبة ويبعثها، وكثرة الصلاة عليه والسلام تترك هذا المعنى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [سورة الأحزاب: 56]. وفي حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اذْكُرُوا اللَّهَ، اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتْ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ". قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: "مَا شِئْتَ"، قَالَ: قُلْتُ الرُّبُعَ، قَالَ: "مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ"، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: "مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ"، قَالَ: قُلْتُ فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: "مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ" قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا، قَالَ: "إذن تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ" رواه الترمذي وأحمد. قال الشراح: كان أُبّي يقصد أن له وردا من الدعاء دائم، فكان يصلي فيه على النبي ﷺ، فقال: كم أجعل لك من ذلك؟ قال زد حتى لو كان الحمد والثناء والصلاة على رسول الله عليه الصلاة والسلام: فإنه وإن قلّ الدعاء يكون فيه ما وعد به النبي ﷺ: "إذن تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ"". ثالثًا: تمني رؤيته والشوق إليه: وتلك بعض مشاعر المحبة، وقد قال ﷺ: [مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي

لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ] رواه مسلم. وهذا بلال -رضي الله عنه- ذهب إلى بلاد الشام بعد وفاة النبي ﷺ، وكان يقول: لم أطق أن أبقى في المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ، وكان إذا أراد أن يؤذن وجاء إلى: "أشهد أن محمدًا رسول الله" تخنقه عَبْرته، فيبكي، فمضى إلى الشام وذهب مع المجاهدين، ورجع بعد سنوات، ثم دخل إلى مسجد رسول الله ﷺ، وحان وقت الأذان، فأذن بلال، فبكى، و أبكى الصحابة بعد انقطاعٍ طويل غاب فيه صوت مؤذن رسول الله ﷺ، فتذكروا بلالاً وأذانه، وتذكروا رسول الله ﷺ. وكان بلال -رضي الله عنه- عند وفاته تبكي زوجته بجواره، فيقول: "لا تبكي.. غدًا نلقى الأحبة.. محمدا وصحبه".. فكان يشتاق للقاء رسول الله ﷺ، وهو واحد من المبشرين بالجنة كما ثبت ذلك في الحديث. وهكذا روي عن حذيفة بن اليمان، وعن عمار بن ياسر -رضي الله عنهم أجمعين كلهم- روى أو ذكر القاضي عياض في الشفاء أنهم قالوا: "غدًا نلقى الأحبة.. محمدًا وصحبه". رابعًا: محبة الكتاب الذي أنزل عليه والذي بلّغه لأمته: وهو معجزته الخالدة إلى قيام الساعة، كلام الله وكتابه العظيم الذي فيه الهدى والنور، فمن أحب رسول الله -ﷺ- أحب القرآن، والتعلق به. الأسباب الجالبة لمحبة النبي ﷺ 1- تعظيم محبة الله تعالى. 2- قراءة سيرته ﷺ: اقرءوا السيرة، وعلموها أبناءكم. قال السلف: "كانوا يعلموننا مغازي رسول الله ﷺ كما يعلموننا الآية من القرآن. 3- تذكر الأجر العاجل في الدنيا والآجل في الآخرة بمحبة النبي ﷺ. 4- تولّي الصحابة رضوان الله عليهم، والإكثار من ذكر سيرتهم. 5- تعظيم السنة النبوية: حتى إذا قيل قال رسول الله ﷺ يكون منك ما كان من الصحابة.. يقول الراوي كانوا إذا قيل: قال النبي ﷺ: اشر أبت الأعناق، وشخصت الأبصار، وأصغت الأسماع.. لا انصراف

ولا التفات ولا تحرك، بل احترام وإجلال لرسول الله ﷺ. 6- إجلال المحبين للسنة والعاملين بها: كل محدّثٍ، وكل عاملٍ بسنة، وكل ملتزمٍ للسنة نحبه؛ لأنه يذكرنا برسول الله ﷺ. 7- الذبّ عن السنة والدفاع عنها. ثمار المحبة هذه المحبة في الدنيا عون على الطاعة، والإكثار من العبادة، وخفة ذلك على النفس، و إقبال الروح على مزيدٍ من الطاعات.. وأما في الآخرة فحسب المحبة أن تكون نجاته من النار، ولحوقًا برسول الله ﷺ كما قَالَ ﷺ: "الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ" رواه البخاري ومسلم. محبة النبي ﷺ بين الغلو والجفاء هذه المحبة التي قلناها ما بال بعضنا يفسدها بغلو يخرج عن حد الاعتدال، أو جفاءٍ يبتعد فيه المسلم عن حق رسول الله ﷺ في تعظيم محبته عليه الصلاة والسلام؟ الغلو خرج به قوم إلى صورٍ كثيرة لا تخفى عليكم من حيث الواقع، ولكني أذكرها من حيث المنهج والمبدأ. من يجعل المدح مدخلاً لذكر ما هو خاص مستحق لله لا يجوز أن يشاركه فيه غيره، ولا أن يوصف به غيره، ولو كان هذا هو رسول الله ﷺ، فلا يُدعى لرسول الله عليه الصلاة والسلام ما هو من حق الله وخصائص الله سبحانه، وهذا يأباه النبي ﷺ!. وقد علّمه للناس في وقته وفي زمانه، كما قال ﷺ: "إِذَا حَلَفَ أَحَدُكُمْ فَلا يَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ] بعضهم يقولون هذه الألفاظ تعبيرًا عن المشاعر، ولا نقصد بها عين الألفاظ! نقول: هل أنتم أعلم أو أحكم من رسول الله عليه الصلاة والسلام؟ لِمَ لم يترك التنبيه على الألفاظ إذا كانت ليست مؤثرة في النفس، والفكر والعقل!!. وضرب آخر من الغلو وهو: الإتيان بالمخالفات عملية وفعلية لسنة وهدي رسول الله ﷺ: بادعاء للمحبة، أو في أوقات و أفعال وأحوالٍ تُدعى فيه محبة رسول الله ﷺ، فالاجتماع لمحبته مع وجود الاختلاط، أو وجود ما هو مذموم من الغناء، أو بادعاء أمورٍ غيبية من

حلول روحه، أو من تجسد روحه، أو من رؤيته، ونحو ذلك.. وهذه الأمور التي لا تثبت، وهذا الادعاء ليس له دليل، وليس له حجة. ثم أمر ثالث أيضًا في هذا الغلو وهو: الادعاء والاختراع لأمورٍ و أقوال وأحوال لم تثبت عن رسول الله ﷺ. النبي عليه الصلاة والسلام علمنا الصلاة عليه، ووردت لنا في أحاديثه صيغ كثيرةٍ من الصلوات، ولكن أن نخصص صلوات معينة، لا بد أن تحفظ، وأن تذكر بعددٍ من المرات، من أين لنا هذا؟ ومن أين لنا أن نوجب على الناس، أو أن نسنّ لهم، أو أن نشرّع لهم ما لم يشرعه رسول الله ﷺ، وكلامه أوثق و أقوى، وهو الذي أوتي جوامع الكلم عليه الصلاة والسلام. ونجد كذلك هناك ادعاءات كثيرة فيما يتعلق بالأقوال والأحاديث، بعضها ضعيف، وبعضها موضوع، وبعضها لا يثبت، ومع ذلك كل هذا يقال، وينسب لرسول الله ﷺ بادعاء الرغبة في المحبة أو التحليل، وهذا كله خارج عن حد الاعتدال. وأما الجفاء: فكذلك إن كنا ننكر الغلو ونحذر منه فكذلك الجفاء، ومن صور الجفاء ترك زيارة مسجد النبي ﷺ، أو ترك السلام على رسول الله عليه الصلاة والسلام، وترك التعلق بسنته. ومن الجفاء: ردّ الأحاديث الصحيحة بموجب مقتضيات عقولهم، يقول لك: نعم هذا حديث لكن هذا لا يعقل، وهذا لا يصلح في هذا الزمان!. هذا كله ضربٌ من المخاطر العظيمة في شأن المحبة، بل في شأن الإيمان بنبوة الرسول ﷺ. العدول عن سيرته.. عدم الهيبة والتعظيم والإجلال عند ذكره أو ذكر حديثه. لماذا لا نعظم الرسول ﷺ؟ لماذا لا نثير هذه السيرة لتكون المحبة أعظم في القلوب؟ من أعظم الهجر والجفاء لمحبة النبي ﷺ: الابتداع، كل مبتدعٍ يتلبس ببدعةٍ يخالف فيها سنة النبي ﷺ فهو ضرب من الجفاء، كأن الرسول ﷺ يقول له افعل كذا، وهو يفعل غيره ونقيضه! وهذا أمرٌ عظيمٌ جدًا. من أهم الأمور في الجفاء: ترك

الصلاة عليه ﷺ. وكذلك: عدم معرفة قدر الصحابة وذمهم: كيف تدعي حبّ الرسول ﷺ، ثم تذمّ أصحابه الذين كانوا عن يمينه وعن يساره، الذين فدوه بأرواحهم وجعلوا صدورهم دروعًا تتلقى السهام؛ ليذودوا عن رسول الله عليه الصلاة والسلام؟ كيف يمكن لأحدٍ أن يدعي المحبة وهو يذمّ أو يتهم أو يشنع على أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين؟!. من الجفاء: عدم العناية بالسيرة النبوية، وعدم معرفة الخصائص والخصال: خصال النبي ﷺ وخصائصه عظيمة جدًّا، أكثرها لا يعرفها الناس، ولا يعرفون أحاديثه الثابتة، ولا المعجزات المادية، ومن المهم أن نذكرها. نسأل الله تعالى أن يعظم محبة رسوله في قلوبنا، وأن يجعل محبة رسول الله ﷺ أعظم عندنا من محبة أنفسنا، وأن يجعل محبة رسول الله ﷺ طمأنينة قلوبنا، و انشراح صدورنا، وأن يجعل محبته عونًا لنا على طاعة الله عزوجل.

الإخلاص

إن الإخلاص للهِ تعالى هو أساس كل عملٍ، وغايةُ كل مُرِيد، فعملٌ بلا إخلاص لا أجرَ له، وصلاةٌ بلا إخلاص لا ثواب لها، وصدقةٌ بلا إخلاص لا قيمة لها.

وما وصل أصحابُ النبي ﷺ إلى ما وصَلوا إليه إلا بإخلاصهم وصدقهم، ومِن هنا حاولت الإجابة على السؤال كيف تكون مخلصًا؟

قلوبُ المُخلِصينَ لها عيونٌ
ترى ما لا يراه الناظرون
وأجنحةٌ تطيرُ بغيرِ ريشٍ
إلى ملكوت ربِّ العالمين
فتسقيها شرابَ الصدق صِرْفًا
وتشرب مِن كؤوس العارفين

أولًا: حقيقة الإخلاص:

الإخلاص: إفراد الحق بالقصد.

وقال إبراهيم بن أدهمَ: الإخلاص صدقُ النية مع الله.

وقال سهل بن عبدالله: الإخلاص أن يكون سكونُ العبد وحركاته لله.

وقال أبو عثمان: نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق.

وقيل: الإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن.

وقيل: صرف العمل مُتقربًا به إلى الله وحدَه لا رياءً ولا سمعةً، ولا طلبًا للدنيا، ولا تصنُّعًا للخلق؛ و إنما يرجو به ثواب الله تعالى، ويخشى عقابه، ويطمَع في رضاه.

مَن المخلص؟

هو الذي يعمل ولا يحب أن يحمَدَه الناس.

وقال يعقوب المكفوف: المخلص: من يكتم حسناتِه كما يكتم سيئاتِه.

وقيل: المخلص: مَن يستوي عنده مادحُه وذامُّه.

ثانيًا: حكم الإخلاص:

الإخلاص: فرضٌ واجبٌ في حقِّ كل مسلم ومسلمة.

1- أمر الله عباده بالإخلاص في العبادة؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: 5]، بل أمر النبيَّ ﷺ ذاتَه بإخلاص العبادة لله، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر:

2- وأمر الله عباده بإخلاص الدعاء له؛ قال تعالى: ﴿وَ أَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: 29]، وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

ثالثًا: فضل الإخلاص:

1- الإخلاص يُنجيك من إضلال الشيطان وإغوائه:

قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: 82 - 83]، قرأ الكوفيون ونافعٌ والحسنُ والأعرجُ: (المخلَصين) بالفتح، وباقي السبعة والجمهورُ بالكسر: (المخلِصين).

2- الإخلاص يورثك نعيم الجنة:

قال تعالى: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾

3- الإخلاص يُطهِّر قلبَك مِن الحقد والغلِّ والخيانة:

روى أحمد و ابن ماجه - وصحَّحه الألباني - عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (ثلاثٌ لا يُغِلُّ عليهن قلبُ امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والمناصحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم؛ فإن دعوتهم تحيط مِن ورائهم) والمعنى: أن هذه الثلاث لو تمسَّك بها العبدُ طهُر قلبُه مِن الحقد والغل.

4- الإخلاص طريق النصر:

روى النسائي - بسند صحيح - عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إنما ينصر الله هذه الأمَّةَ بضعيفها؛ بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم)

فأخلِصِ العملَ لله تَنَلِ الرفعةَ في الدنيا والنعيم في الآخرة:

لَعَمْرُك إن المجدَ والفخروالعلا

ونَيْلَ الأماني و اكتسابَ الفضائلِ

لِمَنْ يُخلِصُ الأعمال لله وحدَهُ

ويُكثِرمِن ذكرٍله في المنازلِ

وفي المساجدِ والأسواق يذكره

وَيَشْغَلُهُمْ فِي ذِكْرِهِ فِي الْمَحَافِلِ

5- الإخلاص يفرج الهموم ويزيل الكروب:

وهذا واضحٌ من حديث الثلاثة الذين آوَوا إلى الغار؛ حيث نجَّاهم الله تعالى بإخلاصهم.

رابعًا: نماذج من حياة المخلصين

1- الإخلاص في صلاة التطوع:

فضل الصلاة:

في (صحيح مسلم) قال النبي ﷺ لثَوْبانَ: (عليك بكثرةِ السُّجود؛ فإنَّك لا تسجُد للّهِ سجدةً إلا رفَعَك الله بها درجةً، وحطَّ عنك بها خطيئةً).

وعند الطبراني في (الأوسط) - وحسَّنه الألباني في (صحيح الترغيب) (390) -: (الصلاة خير موضوعٍ، فمَن استطاع أن يستكثر فليستكثر).

الربيع بن خُثيم:

الذي قال له ابن مسعود: (يا أبا يزيد، لو رآك رسولُ الله ﷺ لأحبَّك)، ما رُئي متطوعًا في مسجد قومِه قط إلا مرة واحدة.

منصور بن المعتمر:

كان إذا صلى الفجرَ أظهر النشاط لأصحابه، ويملي عليهم الحديث، ولعله بات قائمًا على أطرافه، كلُّ ذلك ليُخفي عنهم العمل.

محمد بن أسلم:

يقول: (لو قدرت أن أتطوَّع حيث لا يراني ملكاي لفعلتُ؛ خوفًا من الرياء).

عبدالله بن المبارك:

يقول عنه محمد بن أعين: (كان ذات ليلة ونحن في غَزاةِ الروم، ذهب ليضع رأسه ليُريني أنه ينام، فقلت أنا برمحي في يدي قبضت عليه، ووضعت رأسي على الرمح كأني أنام كذلك، قال: فظنَّ أني قد نمت، فقام فأخذ في صلاته فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر، وأنا أرمُقُه، فلما طلع الفجر أيقظني وظن أني نائمٌ، وقال: يا

محمد، فقلت: إني لم أنَم، قال: فلما سمِعها مني ما رأيته بعد ذلك يكلمني ولا ينبسط إليَّ في شيء من غزاتِه كلِّها، كأنه لم يُعجِبه ذلك مني، لما فطِنتُ له من العمل، فلم أزل أعرفها فيه حتى مات، ولم أرَجلًا أسرَّ بالخير منه).

أيوب السختياني:

كان يقوم الليل كلَّه، فيُخفي ذلك، فإذا كان عند الصبح رفع صوته كأنه قام تلك الساعة.

عمر بن عبدالعزيز: كان له دراعةٌ من شَعروغُلٌّ، وكان له بيتٌ في جوف بيت يصلي فيه، لا يدخل فيه أحدٌ، فإذا كان في آخر الليل فتح ذلك السفط[4]، ولبِس الدراعة ووضع الغُلَّ في عنقه، فلا يزال يناجي ربَّه ويبكي حتى يطلع الفجر.

قال كعب الأحبار: (مَن تعبَّد لله ليلة حيث لا يراه أحدٌ يعرفه، خرج مِن ذنوبه كما يخرج من ليلته).

حسان بن أبي سنان: تقول عنه زوجه: (كان يجيء فيدخل في فراشي، ثم يخادعني كما تخادع المرأة صبيَّها، فإذا علِم أني قد نمت سَلَّ نفسه فخرج، ثم يقوم يصلي، قالت: فقلت له: يا أبا عبدالله، كم تُعذِّب نفسك، ارفُقْ بنفسك، فقال: ويحَكِ، اسكتي، يُوشِك أن أرقد رقدةً لا أقوم منها زمانًا).

2- الإخلاص في الصدقة:

في (الصحيحين): (سبعةٌ يُظِلُّهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...)، وذكر منهم: (ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شمالُه ما تُنفِق يمينُه)[5].

وثبت عند الطبراني والترمذي - وصحَّحه الألباني في (صحيح الجامع) - أن النبيﷺ قال: (صدقةُ السر تُطفِئ غضب الرب)[6].

زين العابدين بن علي بن الحسين: كان يحمل جرابَ الخُبز على ظهره بالليل ويتصدق به، ويقول: (إن صدقة السر تطفئ غضب الرب).
قال عمرو بن ثابت: لَمَّا مات علي بن الحسين فغسَّلوه جعَلوا ينظرون إلى آثار سواد بظهره، فقالوا: ما هذا؟، قالوا: (كان يحمل جراب الدقيق ليلًا على ظهره يعطيه فقراء المدينة).
وقال محمد بن إسحاق: (كان ناسٌ من المدينة يعيشون لا يدرون مِن أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يُؤتَون به في الليل).
قال شيبة بن نعامة: (كان علي بن الحسين يُبَخَّل، فلما مات وجدوه يقُوتُ مائة أهل بيت بالمدينة).
عبدالله بن المبارك: يقول عنه محمد بن عيسى: كان ابن المبارك كثيرَ الاختلاف إلى طرطوس، وكان ينزل الرقة في خان، فكان شابٌّ يختلف إليه، ويقوم بحوائجه، ويسمع منه الحديث، فقدم عبدالله مرةً فلم يَرَه، فخرج في النفير مستعجلًا، فلما رجع سأل عن الشاب، فقالوا: محبوسٌ على عشرة آلاف درهم، فاستدل على الغريم، ووزَن له عشرة آلاف، وحلَّفه ألا يخبر أحدًا ما عاش، فأُخرج الرجل، وسار ابن المبارك، فلحِقه الفتى على مرحلتين من الرقة، فقال له: يا فتى، أين كنت، لم أرَك؟ قال: يا أبا عبدالرحمن، كنت محبوسًا بدَيْن، قال: وكيف خلصتَ؟ قال: جاء رجلٌ فقضى ديني ولم أدرِ، قال: فاحمَدِ الله تعالى، ولم يعلم الرجل إلا بعد موت عبدالله بن المبارك رحمه الله.
3- الإخلاص في الصوم:
داود بن أبي هند:

صام داود بن أبي هند أربعين سَنةً لا يعلَمُ به أهله ولا أحدٌ، وكان خزَّازًا[7] يحمل معه غداءَه مِن عندهم، فيتصدق به في الطريق، ويرجع عشيًّا فيُفطر معهم، فيظن أهل السوق أنه قد أكل في البيت، ويظن أهلُه أنه قد أكل في السوقِ.

عمرو بن قيس الملائي: أقام عشرين سنةً صائمًا، ما يعلم به أهله، يأخذ غداءه ويغدو إلى الحانوت، فيتصدق بغدائه ويصوم، وأهله لا يدرون، وكان إذا حضرته الرِّقَّةُ، يحوِّل وجهه إلى الحائط، ويقول لجلسائه: ما أشدَّ الزكامَ![8]

إبراهيم بن أدهم:

يقول إبراهيم بن أدهم: لا تسأَلْ أخاك عن صيامه، فإن قال: أنا صائمٌ، فرِحَت نفسه بذلك، وإن قال: أنا غير صائم، حزنَتْ نفسه، وكلاهما من علامات الرياء، وفي ذلك فضيحةٌ للمسؤول، واطلاعٌ على عوراته من السائل.

4- الإخلاص في الذكر وقراءة القرآن:

قالت سُرِّيَّةُ[9] الربيع بن خثيم: كان عمل الربيع كله سرًّا، إن كان ليجيء الرجل وقد نشر المصحف، فيُغطيه بثوبه.

إبراهيم النخعي:

كان إذا قرأ في المصحف فدخل داخلٌ غطَّاه.

إمام أهل السنة أحمد بن حنبل:

يقول عنه تلميذه أبو بكر المَرُّوذي: (كنت مع أبي عبدالله نحوًا من أربعة أشهر بالعسكر، وكان لا يدع قيام الليل وقراءة القرآن بالنهار، فما علمت بختمة ختمها، وكان يُسِرُّ ذلك).

وقال الإمام أحمد: (أشتهي ما لا يكون...، أشتهي مكانًا لا يكون فيه أحدٌ من الناس).

شيخ الإسلام: كان إذا أصبح النهار يخرج إلى الصحراء، ويقول متمثلًا:

وأخرُجُ مِن بين البيوتِ لعلَّني أُحدِّثُ عنك القلبَ بالسرِّ خاليَا

5- الإخلاص في البكاء:

سفيان الثوري: هذا العالم العابد، له مع الفُضيل بن عِياض - طبيبِ القلوب - وقفةٌ يحكيها لنا الأصبهاني في (حلية الأولياء)[10]، فيقول:

التَقَى سفيان الثوري وفُضَيل بن عِياض فتذاكَرَا، فبكيا، فقال سفيان: إني لأرجو أن يكون مجلسُنا هذا أعظم مجلس جلسناه بركةً، قال فضيلٌ: ترجو، لكني أخاف أن يكون أعظم مجلس جلسناه علينا شؤمًا، أليس نظرتَ إلى أحسن ما عندك، فتزينتَ به لي، وتزينتُ لك به، فعبدتَني وعبدتُك، قال: فبكى سفيان حتى علا نحيبُه، ثم قال: أحياك الله كما أحييتَني.

وهذا أيوب السختياني: كان إذا وعظ فرَقَّ، فَرِقَ[11] من الرياء، فيمسَح وجهه ويقول: ما أشدَّ الزكامَ!

الحسن البصري:

يقول الحسن البصري: (إن كان الرجل لَيجلسُ المجلس، فتجيئه عبرتُه فيردُّها، فإذا خشي أن تسبقه قام).

أبو وائل: كان إذا صلى في بيته ينشج نشيجًا، ولو جُعلت له الدنيا على أن يفعله وأحدٌ يراه، ما فعله.

ويقول محمد بن واسع: لقد أدركت رجالًا، كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة، قد بلَّ ما تحت خده من دموعه، لا تشعر به امرأته، ولقد أدركت رجالًا يقوم أحدهم في الصف فتسيل دموعه على خدِّه، ولا يشعر به الذي إلى جنبه.

وكان يقول أيضًا: إن كان الرجل ليبكي عشرين سنةً وامرأتُه معه لا تعلم به.
سفيان بن عُيَيْنة: قال: أصابتني ذات يوم رقةٌ فبكيتُ، فقلت في نفسي: لو كان بعض أصحابنا لرقَّ معي، ثم غفوت، فأتاني آتٍ في منامي فرفسني، وقال: يا سفيان، خُذْ أجرَك ممَّن أحببتَ أن يراك.
ابن المبارك: يحكي عنه القاسم بن محمد قال: كنا نُسافِر مع ابن المبارك، فكثيرًا ما كان يخطر ببالي، فأقولُ في نفسي: بأي شيء فُضِّل هذا الرجلُ علينا حتى اشتَهَر في الناس هذه الشهرة؟! إن كان يصلي إنَّا لنُصلي، وإن كان يصوم إنَّا لنصوم، وإن كان يغزو فإنَّا لنغزو، وإن كان يحج إنَّا لنحج.
قال: فكنَّا في بعض مسيرنا في طريق الشام ليلةً نتعشى في بيتٍ، إذ طُفئ السراج، فقام بعضنا فأخذ السراج، وخرج يستصبح[12]، فمكث هُنَيْهَة ثم جاء بالسراج، فنظرت إلى وجه ابن المبارك، ولحيته قد ابتلت من الدموع، فقلت في نفسي: بهذه الخشية فُضِّل هذا الرجل علينا، ولعله حين فقد السراج فصار إلى ظُلمةٍ ذكر القيامة.
محمد بن أسلم الطوسي: يقول عنه خادمه أبو عبدالله: (كان محمد يدخل بيتًا ويُغلق بابه، ويُدخل معه كوزًا من ماء، فلم أدرِ ما يصنع حتى سمِعتُ ابنًا صغيرًا له يبكي بكاءه، فنهَتْه أمه، فقلت لها: ما هذا البكاء؟ فقالت: إن أبا الحسن يدخل هذا البيت، فيقرأُ القرآن ويبكي، فيسمعه الصبي فيحاكيه، فكان إذا أراد أن يخرج غسل وجهه، فلا يُرى عليه أثرُ البكاء.
وكان يصلُ قومًا ويعطيهم ويكسُوهم، فيبعث إليهم، ويقول للرسول: انظُرْ ألا يعلموا مَن بعثه إليهم، فيأتيهم هو بالليل، فيذهب به إليهم، ويُخفي نفسه، فربما بليت ثيابهم، ونفد ما عندهم، ولا يدرون من الذي أعطاهم.

لمَّا مات الطوسي قالوا لأحمد بن نصر: يا أبا عبدالله، صلى عليه ألف ألف من الناس، وقال بعضهم: ألف ألف ومائة ألف من الناس، يقول صالحهم وطالحهم: لم نعرف لهذا الرجل نظيرًا، فقال أحمد بن نصر: يا قوم، أصلِحوا سرائركم بينكم وبين الله تعالى، ألا ترون رجلًا دخل بيته بطوس، فأصلح سرَّه بينه وبين الله تعالى، ثم نقله الله إلينا، فأصلح الله على يديه ألف ألف ومائة ألف من الناس.

6- الإخلاص في الدعاء:

قال ابن المنكدر: إني لليلةً حِذاءَ هذا المنبر جوفَ الليل أدعو، إذا إنسانٌ عند أسطوانة مُقنِّعٌ رأسه[13]، فأسمَعُه يقول: أيْ ربِّ، إن القحط قد اشتدَّ على عبادك، وإني مُقسِمٌ عليك يا رب إلا سقيتَهم، قال: فما كان إلا ساعة، إذا بسحابة قد أقبَلت، ثم أرسَلَها الله سبحانه، وكان عزيزًا على ابن المنكدر أن يَخفَى عليه أحدٌ من أهل الخير، فقال: هذا بالمدينة ولا أعرفه؟! فلما سلَّم الإمام، تقنَّع وانصرف، فاتَّبعه، ولم يجلس للقاصِّ حتى أتى دار أنس، فدخل موضعًا، وأخرج مفتاحًا ففتح ثم دخل، قال: ورجعت، فلما سبَّحتُ[14] أتيته، فإذا أنا أسمع نجرًا في بيته، فسلَّمت ثم قلت: أدخل؟ قال: ادخل، فإذا هو ينجر أقداحًا يعملها، فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله؟ قال: فأعظَمَها مني، فلما رأيت ذلك، قلت: إني سمعت إقسامك البارحة على الله عز وجل، يا أخي، هل لك في نفقةٍ تغنيك عن هذا، وتُفرغك لما تريد من الآخرة؟ فقال: لا، ولكنْ غيرَ ذلك، لا تذكُرني لأحدٍ، ولا تذكر هذا عند أحد حتى أموت، ولا تأتني يا بن المنكدر؛ فإنك إن تأتني شَهَرتَني للناس، فقلت: أحبُّ أن ألقاك، قال: القَنِي في المسجد، وكان فارسيًّا، قال: فما ذكَرَ ذلك ابن المنكدر لأحد حتى مات الرجل، قال ابن وهب: بلغني أنه انتقل من

تلك الدار، فلم يرَه، ولم يدرِ أين ذهب، فقال أهل تلك الدار: الله بيننا وبين ابن المنكدر؛ أخرَجَ عنا الرجلَ الصالح.

الرياء

تعريف الرّياء لغةً الرّياء اسم مشتقّ من مصدر الرؤية، والرّياء هو القيام بالأعمال والإتيان بها في سبيل الحصول على إعجاب النّاس، والرؤيا تختلف عن السّمعة التي هي الإتيان بالأعمال ليسمع النّاس بها، وقد يُطلق عليها الرّياء، ويُعرف الرّياء بأنّه مخالفة الأعمال الظاهرة لما هو مخفيّ من النوايا الباطنة، بقصد الحصول على ثناء النّاس وحمدهم وإعجابهم، والأصل أن تكون نيّة الأعمال نيل رضى الله تعالى، ويُقال: فلان راءى النّاس؛ أي أنّه نافق وأظهر أمامهم أعمالاً تخالف الحقيقة التي عليها المنافق.

تعريف الرّياء اصطلاحاً القيام بأداء العبادات لله -تعالى- مع تعمّد إظهارها للنّاس ليحمدوه عليها ويُعجبوا بها، والقصد من الرّياء تعظيم النّاس أو الرغبة في إعجابهم به أورهبةً من النّاس وخوفاً منهم، وقرين الرّياء العُجْب؛ وهو أن ينظر الإنسان لنفسه بعين الإعجاب لصلاحه أو لعبادته.

حُكْم الرّياء بيّنت الشريعة الإسلاميّة أنّ الرّياء محرّم، وأنّ العمل المصاحب للرّياء مردود وغير مقبول، والرّياء كذلك نوع من أنواع الشّرك بالله تعالى، ومن أدلّة تحريم الرّياء:

قال الله تعالى: (قُل إِنَّما أَنا بَشَرٌ مِثلُكُم يوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُم إِلهٌ واحِدٌ فَمَن كانَ يَرجو لِقاءَ رَبِّهِ فَليَعمَل عَمَلًا صالِحًا وَلا يُشرِك بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)،

وقال الرّسول -ﷺ- في الحديث القدسيّ فيما يرويه عن الله عزّ وجلّ: (أنا أغنَى الشركاءِ عن الشركِ، مَن عمِل عملاً أشرك فيه معِي غيرِي، تركتُه وشركَه).

علامات الرّياء

لا بدّ للمسلم أن يبتعد عن الرّياء وأن يتخلّص منه، وللتخلّص من الرّياء لا بدّ من التعرّف على أبرز علاماته؛ ومنها:

رغبة الفرد في الظهور والشهرة وتعرّف عليه. الكِبر وعدم التواضع للنّاس. القيام بالأعمال من أجل النّاس أو خوفاً منهم. الاستعجال بالإفتاء في مسائل أحكام الشّريعة الإسلاميّة والتصدّر لذلك. الميل إلى مخالفة الآراء وإن كانت صواباً والبُعد عن الرأي المتّفق عليه. أنواع الرّياء

يحاول العبد أن يحسّن من نفسه أمام الناس، رغبةً في الحصول على الثّناء والإعجاب والحمد، ويسلك العبد عدّة طرق لتحقيق ذلك، منها:

الرّياء بالبدن؛ ويكون بإظهار التعب والإرهاق والمرض؛ حتى يظنّ النّاس بأنّ ذلك من كثرة العبادات والطّاعات، ويكون أيضاً بإظهار الحزن على الإسلام والمسلمين، وإظهار الخوف من الحياة الآخرة.

الرّياء بالملابس والهيئة العامة؛ بعدم الاهتمام بالشكل الخارجيّ كعدم الاهتمام بالملابس، وبالمشي في الطريق مع خفض الرأس، وعدم إزالة أثر السجود عن الوجه.

الرّياء بالأقوال؛ ومنه الرياء في النصح والوعظ والإرشاد، وتعمّد ذكر الله -تعالى- أمام الناس، وإظهار الحزن والأسف على ارتكاب النّاس للمعاصي والذّنوب والمنكرات، وإظهار العلم أمام النّاس.

الرّياء بالأعمال

القيام بالعبادات بنيّة مراءاة النّاس، ومنه: الإطالة في السجود والركوع، والجهاد في سبيل الله -تعالى- رياءً. الرّياء بالأصحاب والزّوار؛ وهو تعمّد زيارة العلماء والدّعاة والشيوخ ليُقال عنه إنه أخذ العلم عن كثير من الشّيوخ والعلماء ويتفاخر بهم.

علاج الرّياء حذّر الإسلام من الرّياء ووصفه بأنّه شرك بالله تعالى، والواجب على المسلم أن يبتعد عنه ويجتنبه في جميع الأعمال والعبادات والطّاعات التي يقوم بها، ومَن كان عنده شيء من الرّياء عليه أن يعالج نفسه بعدّة طرق؛ منها:

استشعار مراقبة الله -تعالى- لجميع ما يصدر من العبد من الأقوال والأفعال، ممّا يؤدي إلى زرع تعظيم الله -تعالى- والخوف منه في القلب، واستشعار مراقبة الله -تعالى- يُطلق عليه الإحسان؛ وهو القيام بالعبادات مع استشعار مراقبة الله -تعالى- ورؤيته للعبد، ومَن يستشعر مراقبة الله -تعالى- له لا يكترث برؤية أي أحد لأعماله. الاستعانة بالله -تعالى- على التخلّص من الرّياء، ومن صور الاستعانة بالله تعالى: الدّعاء وطلب التخلّص من الرّياء من الله تعالى. التعرّف على الآثار السلبيّة للرّياء من حيث إنّه يحبط الأعمال والعبادات، ويُوجب سخط وغضب الله تعالى. معرفة عقوبة الرّياء في الحياة الدنيا، مثل: كشف القصد السيئ والنوايا الخبيثة للنّاس. الحرص والعمل على إخفاء العبادات وعدم إظهارها وعدم القيام بها أمام النّاس، وعدم تحرّي مكان اجتماع النّاس لأداء العبادات والطّاعات، لتجنب حمد وثناء النّاس، والعبادات المقصود إخفاؤها هي العبادات التي يسنّ الإسرار بها؛ مثل: الصّدقة وقيام الليل. ملخص المقال:

شرع الله -تعالى- على عباده عدداً من العبادات؛ منها: الصّلاة والصّيام، والحجّ والعمرة، وجعل أساس الأعمال والعبادات الإخلاص فيها وصفاء النيّة لله تعالى، وعدم التظاهر والتفاخر فيها بين النّاس، والإخلاص في العبادات شرط لصحّتها ولقبولها عند الله تعالى، والرّياء صفة من صفات المنافقين، والواجب على المسلم التخلّق بالأخلاق الحسنة، وذكر الرّياء كصفة من صفات المنافقين في القرآن الكريم. نسأل الله النجاة من هذه الصفة المذمومة.

النفاق

ماهو النفاق في الإسلام المُنافق هو مَن يُخالِف قولَهُ فعلَه، وسِرَّهُ علانيّتَه، ومَشهده ومَغيبه،

أمّا النِفاق في الشرع: فهو إظهارُ الخير وإسرار الشّرِ، وأمّا أنواعهُ فهي: نفاقٌ اعتقاديٌّ، ونفاقٌ عمليٌّ، ونفاقٌ أكبر؛ وهو المُخرج من الملّة، أمّا النفاقُ الأصغرُ فهو الذي لا يُخرج صاحبَه من الملّة،

وتعريف النِّفاق في اللُّغة يدُلُّ على الإخفاء وعدم الإظهار، وفي الاصطلاح يكون بإظهار الإنسان ما يدلّ على الحقّ، وإخفاء ما به من الباطل، فالمعنى الاصطلاحي لا يَخرج عن المعنى اللُغويّ، وجاء عن ابن منظور أنَّ النِفاق من المصطلحات الشرعيّة، ولم تكُن معروفة بمعناها الاصطلاحيّ قبل الإسلام، وهو كذلك إظهار الإسلام وإخفاء الكُفر وستره.[أنواع النفاق و أقسامه أنواع النِفاق في الشرع نوعان، وهما:

القسم الأول: النِّفاق الأكبر أو النِفاق الاعتقاديّ: وهو أن يُظهر الإنسان بلسانه الإيمان بالله، وباقي أركان الإيمان، ويُخفي الكُفر أو ما يُناقض ذلك كُلّه أو بعضه، وهذا النوع هو الذي كان في زمن النبيّ -عليه الصلاةُ والسلام-، ونزل القُرآن بذمِّه وذمِّ أهله، وأخبر القُرآن أنّهم في الدَّرْك الأسفل من النّار،

ومن صور هذا النِفاق تكذيب النبيّ -عليه الصلاةُ والسلام-، أو الاعتقاد بعدم وجوب طاعته.

القسم الثاني: النِفاق الأصغر: ويُسمّى نِفاق العمل، وهو أن يُظهر الشخص الصلاح، ويُبطن ما يُخالف ذلك، أو يقوم بالمُحافظة على أمور الدين في العلَن ويتركها في السّرّ، وهذا النوع ليس مُخرجاً من الملّة، بل هو من كبائر الذُنوب والمعاصي، ولا يُخلّد صاحبه في النّار، فإن شاء غفر الله له، وإن شاء عذّبه، ولكنَّ هذا القسم إن تمكَّن من قلب صاحبه فقد يؤدي به إلى النفاق الأكبر، ومن صفات هذا النوع من النفاق؛ إخلاف الوَعد، وخيانة الأمانة، وعَمَل أعمال المُنافقين مع بقاء الإيمان في القلب،ويُسمّى من يتَّصف بهذا القسم بالمُرائي؛ لأنّه يَقصد بذلك أن يُرائي الناس بفعله، أو لِيعظموه، أو لِيكرموه من أجل صَلاحه.

وتوجد العديد من الفُروقات بين النِفاق الأصغر والنفاق الأكبر، ومن هذه الفُروقات ما يأتي:

النفاق الأكبر مُخرجٌ من الملَّة، أما الأصغر فلا يُخرِج صاحبه من الملَّة أو من الإسلام. النفاق الأكبر مُحبِطٌ لجميعِ الأعمال، ويكون الاختلاف فيه بين الظاهر والباطن في العقيدة، أمّا النفاق الأصغر فيكون الاختلاف فيه بين السِّرِّ و العلَن في الأعمال. النفاق الأكبر سببٌ للخلود في النَّار إذا لم يَتُب منه صاحبه قبل الموت، بالإضافة إلى أنَّه لا يَصدر عن مؤمن، وأمّا الأصغر فقد يصدر عمن هو مؤمنٌ بالله. فيديو قد يعجبك: صفات المنافقين صفات المنافقين نفاقاً أكبر

توجد العديد من الصفات التي يَتَّصف بها أهلُ النفاق الأكبر، وهي فيما يأتي:

تكذيب النبيّ -عليه الصلاةُ والسلام- في الباطن دون الظاهر، لِقوله -تعالى-: (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)،

سواءً كان هذا التكذيب بكلِّ ما جاء به أو ببعضه، وكذلك بُغْض النبيّ -عليه الصلاةُ والسلام-، وبُغْض ما جاء به، والفرحِ والسُرور بخسارته، وكراهية نُصرته ونُصرة دينه.

الاعتقاد بعدم وجوب تصديق أو طاعة النبيّ -عليه الصلاةُ والسلام-. ادّعاء الإيمان، ليُخادعوا به المؤمنين، لِقولهِ -تعالى-: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ* يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)،[بالإضافةِ إلى عدم مُبالاتهم بالصلاة، لِقولهِ -تعالى-: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا). الاستهزاء بالإيمان وأهله، وكذلك بآيات الله -تعالى-، لِقولهِ -تعالى-: (يَحذَرُ المُنافِقونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيهِم سورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِما في قُلوبِهِم قُلِ استَهزِئوا إِنَّ اللَّهَ مُخرِجٌ ما تَحذَرونَ* وَلَئِن سَأَلتَهُم لَيَقولُنَّ إِنَّما كُنّا نَخوضُ وَنَلعَبُ قُل أَبِاللَّهِ وَ آياتِهِ وَرَسولِهِ كُنتُم تَستَهزِئونَ)

مرض قُلوبهم، لكثرة الشُّبهات والشهوات فيه، وتكبُّرهم، لِقولهِ -تعالى-: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ)،

وكذلك صَدّهم المؤمنين عن الإنفاق والصدقة، بالإضافةِ إلى سَفَهِهم ورمي المؤمنين بالسَّفه، لِقوله -تعالى-: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ)،

وموالاتهم لأعداء الإسلام، وتربُّصهم بالمؤمنين، لِقولهِ -تعالى-: (الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ

قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا)

ذكرهم القليل لله -تعالى-، وهو ما يكون أمام المؤمنين ليراؤون به، وجُلوسهم مع أعداء دين الإسلام وموالاتهم. التذبذب والتردُّد بين المؤمنين والكافرين، لِقولهِ -تعالى-: (مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا)

الصدّ عن سبيل الله -تعالى-، لِقوله -سبحانه-: (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

الفرح بهزيمة المُسلمين و انكسارهم، وحُزنهم عند نصرهم، لِقولهِ -تعالى-: (إِن تُصِبكَ حَسَنَةٌ تَسُؤهُم وَإِن تُصِبكَ مُصيبَةٌ يَقولوا قَد أَخَذنا أَمرَنا مِن قَبلُ وَيَتَوَلَّوا وَهُم فَرِحونَ)،

و إنفاقهم من غير طِيب نفسٍ منهم، لِقولهِ -تعالى-: (وَلا يَأتونَ الصَّلاةَ إِلّا وَهُم كُسالى وَلا يُنفِقونَ إِلّا وَهُم كارِهونَ).

صفات المنافقين نفاقاً أصغر توجد العديد من الصفات الواردة في الكتاب والسُّنَّة عن المُنافقين نِفاقاً أصغر، وهي فيما يأتي:

الإخلاف بالوعد، سواء كان ناوياً الإخلاف عند الوعد، أو قَصَد الإخلاف بعد ذلك، بالإضافة إلى الخروج عن الحقِّ عمداً، وقلب الحقّ باطلاً والباطل حقاً، وهو ما يُسَمَّى "إذا خاصم فجر"، والتَّحدث بحديثٍ لمن يُصدّقه وهو له كاذبٌ، وكذلك الغدرعند العهد، وخيانته للأمانة، لِقول النبيّ -عليه الصلاةُ والسلام-: (أَرْبَعٌ مَن كُنَّ فيه كانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، ومَن كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ منهنَّ كَانَتْ فيه

خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حتَّى يَدَعَهَا: إذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وإذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذَا خَاصَمَ فَجَرَ).

الكذب في القول والعمل، والغدر ونقض العهد، والفُجور في المُخاصمة، والتَظاهره بالفقر والمَسكنة لكسب عطف الناس، والتظاهر بالمَودَّة والمحبَّة وإضمار العداوة.[٣٨] الكَسل عند إتيان الصلاة، لِقولهِ -تعالى-: (وَلا يَأتونَ الصَّلاةَ إِلّا وَهُم كُسالى).

التوبة

إن باب التوبة مفتوح لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها، وحينها (لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا)[الأنعام: ويغلق هذا الباب أيضا إذا بلغت الروح الحلقوم، قال تعالى: (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن...)[النساء:
والله تبارك وتعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ...، بل ويفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه، فسارع إلى الدخول في رحمة الله، واحذر من تأخير التوبة، فإن الإنسان لا يدري متى ينتهي به العمر، ولن يستطيع أحد أن يحول بينك وبين التوبة.

والمسلم إذا أراد أن يرجع إلى الله لا يحتاج لواسطة كما هو حال الناس في هذه الدنيا، فإذا توضأت وكبرت فإنك تقف بين يدي الله يسمع كلامك ويجيب سؤالك، فاستر على نفسك وتوجه إلى التواب الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

والتوبة النصوح ينبغي أن تتوفر فيها شروط بينها العلماء كما يلي:
أولا: أن يكون صاحبها مخلصا في توبته لا يريد بها إلا وجه الله، فليس تائبا من يترك المعاصي خوفا من رجال الشرطة أو خشية الفضيحة، أو يترك الخمر خوفا

على نفسه وحفاظا لصحته، أو يبتعد عن الزنا خوفا من طاعون العصر (الإيذر).

ثانيا: أن يكون صادقا في توبته، فلا يقل تبت بلسانه وقلبه متعلق بالمعصية؛ فتلك توبة الكذابين.

ثالثا: أن يترك المعصية في الحال.

رابعا: أن يعزم على أن لا يعود.

خامسا: أن يندم على وقوعه في المخالفة، وإذا كانت المعصية متعلقة بحقوق الآدميين فإنها تحتاج لشرط إضافي، وهو:

سادسا: رد الحقوق إلى أصحابها أو التحلل وطلب العفو منهم.

ومما يعين التائب على الثبات ما يلي:

1- الابتعاد عن شركاء الجرائم وأصدقاء الغفلة.
2- الاجتهاد في تغيير بيئة المعصية؛ لأن كل ما فيها يذكر بالمعاصي.
3- الاجتهاد في البحث عن رفاق يذكرونه بالله ويعينوه على الطاعات.
4- الإكثار من الحسنات الماحية (إن الحسنات يذهبن السيئات)[هود:

وابشر يا أخي، فإن الله سبحانه إذا علم منك الصدق يتوب عليك، بل ويبدل سيئاتك إلى حسنات قال تعالى: (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات)الفرقان

وكثرة الاستغفار مطلوبة ومفيدة جدا، وذاك هدى النبي ﷺ الذي قال عنه ابن عمر رضي الله عنه: (كن نعد للنبي ﷺ في المجلس الواحد استغفر الله و أتوب إليه أكثر من مائة مرة)، وقال عليه الصلاة والسلام لحذيفة (... و أين أنت من الاستغفار يا حذيفة؟ و إني لأستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة)، وقد كان السلف يستغفرون الله كثيرا، ويقصدون الأوقات الفاضلة مثل ثلث الليل الآخر، كما قال نبي الله يعقوب لأبنائه: (سوف أستغفر لكم ربي...)، قال ابن مسعود : ادخر استغفاره لهم إلى وقت السحر.

والمسلم يستغفر الله حتى بعد الطاعات؛ لأنه يعتقد أنه مقصر، ولجبر ما فيها من خلل ونقص، فبعد الصلاة ينبغي على المسلم أن يقول أستغفر الله ثلاثا، وبعد الحج ... وهكذا.

وقد كان سلف الأمة الأبرار إذا أرادوا السقيا استغفروا الله، وإذا طلبوا المال استغفروا الله، وإذا أردوا الولد استغفروا الله، أو طمعوا في نيل القوة في أبدانهم وبلدانهم استغفروا الله، وهذا لدقيق فهمهم لقوله تبارك وتعالى: (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا)

والتوبة لها شروطها كما سبق، ويجب على المسلم أن يتوب إلى الله من كل صغيرة وكبيرة، وعلى المسلم أن يعود لسانه كثرة الاستغفار، فلا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار.اللهم اجعلنا من التائبين المخلصين.

الخوف

الخوف من الله تعالى عبادة يتقرب بها العبد إلى الله، وهى من عبادات القلب، وليس لها عمل ظاهر على الجوارح، قال تعالى: (إِنَّمَا ذلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)، فموطن هذه العبادة قلب المؤمن كما فى عبادة الرجاء والتوكل وغيرها من العبادات القلبية،
وفي الآتي الحديث عن الخوف من الله تعالى. مفهوم الخوف من الله: عند الحديث عن الخوف من الله تعالى، يقصد به ما يأتي:
الخوف من الله تعالى: كيف لا يخاف العبد من الله تعالى والله تعالى بيده أعمار العباد وأرزاقهم، وصحتهم ومرضهم، وكل شؤونهم تحت مشيئته جل وعلا، وهذا الخوف يكون ممّن عرف الله وعرف عظمته جل وعلا، وعرف أسماءه الحسنى وصفاته العلى، فهذا مقام العلماء العارفين لربهم. الخوف من عذاب الله تعالى؛ وهذا درجته أقل من الأول حيث إنّ بعض الخلق يخافون عند ذكر العذاب وأنواعه، ويخافون من عذاب الله لهم في الدنيا والآخرة، وهذا الخوف هو أكبر محرك لهم وأكبر رادع لهم.
للخوف عدّة أنواع ويختلف حكم كلٍّ واحد منها حسب ما يأتي:
إعلان الخوف من الله تعالى: إذ طلب الله تعالى من عباده أن يخافوه فقال جل وعلا: (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)، وهذا الخوف الواجب على العبد فيه أن يخاف الله تعالى في السرّ فيدفعه ذلك إلى حُسن الطاعة والعبادة، وهذا خوفٌ محمود لأنّه يقود صاحبه

إلى النجاة وفعل الطاعات. قد يخاف غير الله تعالى كما يخاف من الله تعالى، وكأنّ هذا المخلوق قادر على أن ينفعه أو يضرّه مثل الله تعالى، وهذا خوفٌ مذموم، لأنّ العبد صرّف عبادة الخوف لغير الله تعالى. الخوف الطبيعي؛ يشترك فيه الناس، ولا يُذم صاحبه إلّا إذا خاف من شيء لا يستحق الخوف، أو أن يُقعده عن القيام بما أوجب الله عليه من أمور الدنيا والدّين، فهذا خوفٌ مذمومٌ وخُلق قبيح لا يليق بالمسلم. قد يخاف من مسائل تستحق الخوف، كمن يخرج من بيته خائفًا على نفسه من الموت، فلا بأس على المسلم أن يقع فيه، ومثاله: ما حصل مع سيدنا موسى عيله السلام قال تعالى : (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ)،

فهذا خوفٌ طبيعيّ لا يُعاب عليه صاحبه، لأنّه خوفٌ على النفس من الهلاك. فضل الخوف من الله إنّ الخوف من الله تعالى فضيلة تدل على ورعِ صاحبها وتقواه، وتُشير إلى أنّ صاحبها يُراعي الله تعالى في أقواله و أفعاله، ونُبيّن بعض فضائل الخوف من الله فيما يأتي:

الله جعل الخوف منه صفة للمؤمنين، قال الله تعالى: (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

أكثر نعيم الجنة قد ذُكر لمن خاف ربه، قال الله تعالى: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ).

كل الكائنات تخاف من الله تعالى وتسجد له جل وعلا، قال تعالى : (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ مِنْ دابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ* يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ).

وجعل الله تعالى ثواب الخائف من مقام الله تعالى الجنة، قال تعالى: (وَأَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى)

ثمرات الخوف من الله إنّ للخوف من الله تعالى ثمرات عدّة يجدها المسلم في الدنيا والاخرة، فالخوف من الله عاقبة الخير للمسلم، ومن ثمرات الخوف من الله تعالى

أولاً: يعد الخوف من الله تعالى في الدنيا من أسباب تمكين المسلم في الأرض قال تعالى: (وَقَالَ الّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنّ فِي مِلّتِنَا فَأَوْحَىَ إِلَيْهِمْ رَبّهُمْ لَنُهْلِكَنّ الظّالِمِينَ * وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ)

إنّ الخوف من الله تعالى سببٌ للقيام بالأعمال الصالحة والإخلاص فيها، فيبعد المسلم عن الرياء بسبب خوفه من الله، وإنّ الخوف من الله تعالى يزرع في النفس الشجاعة والقوة، لعلمه أنّ الخوف الحقيقي من الله تعالى وليس من العبد.

ثانياً: ثمرات الخوف من الله تعالى في الآخرة هناك عدّة ثمرات للخوف من الله في الآخرة، ونذكرها فيما يأتي: إنّ الخوف من الله في الدنيا من أسباب المغفرة في الآخرة، قال عليه الصلاة والسلام: (أَسْرَفَ رَجُلٌ على نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ فَقالَ: إذَا أَنَا مُتُّ فأحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ اذْرُونِي في الرِّيحِ في البَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدرَعَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبُنِي عَذَابًا ما عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا، قالَ فَفَعَلُوا ذلكَ بِهِ، فَقالَ لِلأَرْضِ: أَدِّي ما أَخَذْتِ، فَإِذَا هو قَائِمٌ، فَقالَ له: ما حَمَلَكَ علَى ما صَنَعْتَ؟ فَقالَ: خَشْيَتُكَ، يا رَبِّ، أَوْ قالَ مَخَافَتُكَ، فَغَفَرَله بِذلكَ).

خشية الله تعالى من المُنجيات التي ينجو بها العبد في الدنيا والاخرة، لقوله ﷺ: (ثلاث منجيات: خشية الله تعالى في السرو العلانية والعدل في الرضا والغضب والقصد في الفقر والغنى وثلاث مهلكات: هوى متبع وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه).

الرجاء

الرجاء في اللغة بمعنى الأمل، وهو ضد اليأس، وقد قال ابن الأثير في كتابه النهاية: "الرجاء بمعنى التوقع والأمل"، وأما في الاصطلاح فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده، وترقب حصوله، إذ إن الرجاء محمود لأنه باعث؛ أي يبعث على العمل، بعكس اليأس؛ فاليأس مذمومٌ؛ لأنه صارف عن العمل، قال تعالى: (وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ). فالرجاء في الله: هو الاستبشار بجود الله وفضله، والطمع بإحسانه وعطائه، وتعلّق القلب به، والشعور بالثقة والطمأنينة لحصول ما عند الله من الخير والنعيم في الدنيا والآخرة، والنظر إلى سعة رحمة الله به، مع الأخذ بالأسباب، وبذل الجهد، والتوكل على الله، وحسن الظنّ به، فهو عكس التمني الذي يكون مع الكسل وترك العمل، وعدم الأخذ بالأسباب، وعدم حسن الظن بالله، وعدم التوكل عليه، حيث قال تعالى: (لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ).

حيث يرجو المؤمن من الله المغفرة وعدم دخوله النار وتحريمها عليه، فيسعى بأخذ الأسباب التي تمنعه من دخوله النار، ويعمل ويرجو القبول من الله، وإذا أذنب تاب ورجا التوبة وقبولها من الله، وأحسن الظن به، وقد جاء عن ابن القيم -رحمه الله- أنه قال في كتابه مدارج السالكين: "أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصلح إلا مع العمل"، حيث دلّ على ذلك قوله تعالى: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا).

فضل الرجاء في الله فيما يلي بيان أبرز فضائل الرجاء في الله وأهمها:

إن الرجاء في الله عبادة من أعظم العبادات القلبية، إذ هي من أجلّ منازل السائرين وأعلاها وأشرفها، فالمؤمن يسير إلى ربه عزّ وجل على جناحي الرجاء والخوف، فبالخوف يُردع عن المعاصي ويمتنع عن ارتكابها، وبالرجاء يتحرّك بجوارجه بالطاعات، ويمتثل أوامر ربه، فعلى الرجاء والخوف والمحبة مدار السير إلى الله، والثبات على دينه، قال تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا).

ثناء الله على أهل الرجاء حيث إن الله عزّوجلّ مدح في كتابه أهل الرجاء و أثنى عليهم، وجعل الرجاء من صفات عباده المؤمنين، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ)،

وقال أيضاً: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا).

المواظبة على العمل الصالح والطاعات إن الرجاء يورث العبد المؤمن فعل الأعمال الصالحة والإكثار من الطاعات والخيرات، والدوام في المحافظة عليها، وطول المجاهدة، في سائر الأحوال والتقلبات، بل يولّد عنده التلذذ بفعل الطاعة وإن كانت شاقة وصعبة عليه، وهذا مما يؤدي إلى زيادة الفضل والثواب من الله تعالى. إظهار العبودية لله والإقبال عليه إن عبادة الرجاء تظهر عبودية المؤمن لله تعالى وحاجته و افتقاره إليه، فيؤدي إلى دوام الإقبال عليه، والتعلق به، والتنعّم بمناجاته، مما يزيد من محبة الله في قلب العبد، والشعور بالرضا، والشكر، وهذا مما يوجب مزيداً من التعرّف على الله، وعلى صفاته وأسمائه.

الشكر

يتعين على العبد أن يشكر الله تعالى على نعمه, والشكر كما قال ابن القيم في المدارج يكون بالقلب خضوعا واستكانة ، وباللسان ثناء واعترافا ، وبالجوارح طاعة و انقيادا ، ومما يعين على ذلك استشعار أهميته وما فيه من المثوبة وطلبه من الله تعالى, فقد ذكر ابن القيم أن الله أمر بالشكر ونهى عن ضده و أثنى على أهله ووصف به خواص خلقه وجعله غاية خلقه وأمره, ووعد أهله بأحسن جزائه, وجعله سببا للمزيد من فضله وحارسا وحافظا لنعمته, وأخبر أن أهله هم المنتفعون بآياته, واشتق لهم اسما من أسمائه، فإنه سبحانه هو الشكوروهو يوصل الشاكر إلى مشكوره بل يعيد الشاكر مشكورا وهو غاية الرب من عبده, وأهله هم القليل من عباده قال الله تعالى : واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون - النحل:

وقال : واشكروا لي ولا تكفرون - البقرة:

وقال عن خليله إبراهيم ﷺ : إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه {النحل:

وقال عن نوح عليه السلام : إنه كان عبدا شكورا - الاسراء: وقال تعالى : والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصاروالأفئدة لعلكم تشكرون - النحل:

وقال تعالى : واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون - العنبكوت:

وقال تعالى : وسيجزي الله الشاكرين - آل عمران:

وقال تعالى : وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد - إبراهيم:

وقال تعالى : إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور- لقمان:

ورضى الرب عن عبده به كقوله : وإن تشكروا يرضه لكم {الزمر:

وقلة أهله في العالمين تدل على أنهم هم خواصه كقوله : وقليل من عبادي الشكور - سبأ:

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ: أنه قام حتى تورمت قدماه فقيل له : تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال : أفلا أكون عبدا شكورا . وقال لمعاذ : والله يا معاذ إني لأحبك, فلا تنس أن تقول في دبر كل صلاة : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، وفي المسند والترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات : اللهم أعني ولا تعن علي ، و انصرني ولا تنصر علي ، وامكر لي ولا تمكر بي ، واهدني ويسر الهدى لي ، و انصرني على من بغى علي ، رب اجعلني لك شكارا لك ذكارا لك رهابا لك مطاوعا لك مخبتا إليك أواها منبيا, رب تقبل توبتي واغسل حوبتي وأجب دعوتي وثبت حجتي واهد قلبي وسدد لساني واسلل سخيمة صدري .

والشكر مبني على خمس قواعد : خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له ، واعترافه بنعمته ، وثناؤه عليه بها ، وأن لا يستعملها فيما يكره ، فهذه الخمس : هي أساس الشكر وبناؤه عليها فمتى عدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة ، وراجع كتاب المدارج ، وإحياء علوم الدين للمزيد من كلام السلف في الشكر. اللهم اجعلنا من الشاكرين

الوفاء

الوفاء ومأدراك مالوفاء !!!

الوفاء خلق من أخلاق الإسلام الر اقية، وصفة من صفات النفوس الأبيّة، خلق إذا انتشربين الناس ملأ حياتهم صفاء ونقاء، وظللهم بروح المودة والإخاء والمحبة والألفة.

إنه الوفاء!! وما أجمله من خلق! وما أرقها من خصلة! وما أسماها من صفة!

الوفاء خلق جميل، وكنز ثمين...

معنى الوفاء لغةً:

الوفاءُ ضد الغَدْريقال وَفَى بعهده وأَوْفَى إذا أتمه ولم ينقض حفظه.

معنى الوفاء اصطلاحًا:

الوفاء: حفظ للعهود والوعود، وأداء للأمانات، واعتراف بالجميل، وصيانة للمودة والمحبة

الوفاء خلق لا يقدره إلّا القليلون، ولقلّة وجود ذلك في النّاس قال تعالى: ﴿وَما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ (الأعراف/ 103)، وقد ضرب به المثل في العزّة فقالت العرب: «هو أعزّ من الوفاء».

أمر الله تعالى به فقال سبحانه: ﴿وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:

الوفاء من صفات الله عزوجل:

﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾ [التوبة: 111]. ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعده)

الوفاء من صفات المرسلين:

قال تعالى﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ [النجم: وقال ايضا﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ، أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ - أي النبي ﷺ - فَزَعَمْتَ: «أَنَّهُ أَمَرَكُمْ بِالصَّلاَةِ، وَالصِّدْقِ، وَالعَفَافِ، وَالوَفَاءِ بِالعَهْدِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ»، قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ.

الوفاء من سمات المؤمنين المتقين:

﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:

وقال ايضا﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون:

الوفاء مع الله:

أعظم الأدب هو الأدب مع الله، وأعظم الوفاء ما كان مع الله، والوفاء مع الله يكون بطاعته، وعبادته، وتوحيده...

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ، جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَةً؟ اقْضُوا اللَّهَ فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالوَفَاءِ».

فإنَّ الله قد أخَذَ على آدمَ وذريَّتِه أنْ يَعبُدوه ولا يُشرِكوا به شيئًا؛ قال الله جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف:

قال تعالى ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [يس:

فمن أطاع ربه والتزم بشرعه، وامتثل أمره واجتنب نهيه ووقف عند حدوده... كان من أهل الوفاء مع الله سبحانه الذي أوجده من العدم، ورباه بالنعم، وكرّمه وفضله، وأمره أن يعبده وحده دون سواه ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:

ومن الوفاء مع الله الوفاء بالنذر- وهو ما يلزم به العبد نفسه من طاعة الله من غير ما افترضه الله عليه -: خ عَنِ القَاسِمِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ».

فأين الوفاء مع الله؟ ممن ينتهك الحرمات، ويو اقع المنكرات؟

أين الوفاء مع الله؟ ممن فرط في طاعة الله، فضيع فر ائضه واعتدى على حدوده؟

أين الوفاء مع الله؟ ممن انشغل بدنياه عن عبادة خالقه ومولاه؟...

الوفاء لرسول الله ﷺ:

الرسول ﷺ الذي بذل كل وسع وتحمل كل عناء من أجل أن يبلغ للعالمين رسالته. ما من خير إلا ودل الأمة عليه، وما من شر إلا وحذر الأمة منه، بين لنا الطريق، و أنار لنا السبيل، وتركنا على المحجة البيضاء الناصعة الواضحة لا يزيغ عنها إلا هالك.

فأين الوفاء منا لرسول الله؟ أين نحن من سنتة، وهديه وشريعته؟...

فالوفاء مع الرسول -ﷺ- يكون باتباع سنته والتخلق بأخلاقه والاقتداء به والدفاع عن دينه وعقيدته.

ولقد ضرب الصحابة الكرام أروع الأمثلة في حسن الوفاء لرسول الله....

الوفاء مع الوالدين:

للوالدين فضل عظيم، وحق كبير على أبنائهم، إذ لا يخفى على أحد ما يبذله الوالدان من غال ونفيس، وما يتحملانه من نصب وتعب في سبيل نشأة أبنائهم وتربيتهم ورعايتهم...

فمن حقهم على الأبناء حسن الوفاء؛ بالطاعة والتواضع والإحسان

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا * رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ* وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان:

الوفاء بين الأزواج: (بين الزوج وزوجته):

الوفاء مع الزوجة:

وفاء الزوج لزوجته يكون باحترامها وتقديرها، والوفاء بما اشترطه على نفسه لها:
خ م: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « أَحَقُّ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الفُرُوجَ ».
وفاء الزوج لزوجته يكون بأداء حقوقها، والإحسان إليها، وإكرامها، والاعتراف بفضلها ومكانتها:
خ: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ (أي صديقاتها)، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ: «إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ».
م: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ -ﷺ- إِلاَّ عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا. قَالَتْ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ فَيَقُولُ «أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ

». قَالَتْ فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا فَقُلْتُ خَدِيجَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا».

الوفاء مع الزوج:

وفاء الزوجة لزوجها يكون بطاعته واحترامه وتقديره، والوقوف إلى جانبه في عسره ويسره، وعدم نكران فضله وجحود عطائه:

فالأيام دول، فكم من غني أصبح فقيراً؟ وكم من عزيز أصبح ذليلاً؟ وكم من قوي أصبح ضعيفاً؟! فالزوج قد تنزل به المحن والمصائب، فتتحول صحته إلى مرض، ويتحول غناه إلى فقر، وتتحول قوته إلى ضعف، وهنا يظهر معدن الزوجة الصالحة الوفية التي تقف إلى جوار زوجها في كل ضيق ومصيبة، تؤنسه وتواسيه، وتثبته، وتخفي عيوبه وتستر ذنوبه، ولا تنسى أيام الغنى والسعة، و أيام الصحة والقوة، وتردد دوماً قول الله جل وعلا: ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: 2

وتنظر إلى زوجها نظرة رحمة وأدب، ونظرة حنان وتواضع، وهي تقول له: أبشر أيها الزوج الحبيب! أنا لا أنسى أنك فعلت كذا وكذا وقدمت لي كذا وكذا ثم تذكره بقول ربها: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن:

إن مما يحطم أي زوج ويقصم ظهره إذا كان كريماً مع امرأته سخياً في كل شيء، في كل لون من ألوان الحياة، فإذا ما تغيرت حاله وتحول الغنى إلى فقر، والقوة إلى ضعف، والصحة إلى مرض فإذا بامرأته هي الأخرى قد تحولت مع هذا التحول الخطير فتنسى كل صور الإحسان! انظر إلى هذه الصورة التي تناقض

تماماً صورة الوفاء، فلا يشعر الزوج بشيء من الأمان، ويفقد الثقة في كل شيء؛ لأنه لم يجد هذا الوفاء وهذه الثقة في أقرب الناس إليه فيمن منحها كل ما يملك، من حب ووفاء وعطاء وسخاء ورجولة وبذل، فتتنكر له وتنسى كل شيء.
خ م عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ ». قِيلَ أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: « يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ ».

الوفاء مع الناس كافة:

ما أشد حاجة الناس إلى الوفاء، في زمن فشى فيه الجحود والنكران في قلوبِ كثيرٍ مِن البشَر، فلا الجميل عندَهم عاد يُذكَر، ولا المعروف لديهم صار يُحفَظ. أفٍّ مِن الدُّنيا حين يَئِنُّ الوفاء في صدورِ الشرفاء!! ويتوارى الضعفاءُ الجهلاء خلف أحراش النُّكران والجفاء، يَنظرون من طرَف خفيٍّ لعلَّهم يَحظَوْن بجميلٍ جديدٍ يُقدم إليهم، دون أن يُفكِّروا في ردِّ الجميل، وكأنَّهم ما خُلِقوا إلاَّ ليأخذوا، لا ليُعطوا. وما وُجِدوا إلا ليَستغلُّوا، لا ليَمنحوا. وما علموا أنَّ قيمةَ الحياةِ الحقيقيَّة تكمُن في البذل والعطاء من المال والعلم والوقت والجاه...
فلو نظرت إلى و اقع الأمة اليوم، ستجد كم من الناس مَن يتكلَّم، وكم من الناس مَن يَعِد، وكم من عهودٍ مسموعة ومرئيَّة ومنقولة! ولكن أين صدق الوعود؟! و أين الوفاء بالعهود؟!

قال أحد الشعراء:

ذَهَبَ الْوَفَاءُ ذَهَابَ أَمْسِ الذَّاهِبِ
فَالنَّاسُ بَيْنَ مُخَاتِلٍ وَمُوَارِبِ
يَغْشَوْن بينهم المودة والصفا
وقلوبهم محشوة بعقارب
وقال آخر:
مات الوفاء فلا رفد ولا طمع
في الناس لم يبق إلا اليأس والجزع
فاصبر على ثقة بالله وارض به
فالله أكرم من يرجى ويتبع
لا تركنن إلى من لا وفاء له
الذئب من طبعه إن يقتدر يثب

فليعلم العبد أنه سيسأل عن وفائه يوم القيامة، فقد قال عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 34] فماذا يكون جواب العبد إذا سئل عن وعوده وعهوده وعقوده التي أمره الله تعالى بالوفاء بها وأدائها، فقال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل: 91] وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1] ماذا يكون جوابه وقد أخلف وعده وضيع عهده وخان أمانته؟.

فليحذر العبد من إخلاف الوعد والعهد، وليعلم أن ذلك من خصال النفاق - نعوذ بالله من النفاق - ففي الصحيحين عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ».

فواجب على المسلم أن يفي بما التزم به مع الآخرين من عهود ووعود وعقود في بيع أو إجارة أو عمل، أوغير ذلك من العهود المعروفة، وسواء كانت هذه العقود والعهود والوعود مبرمة بين المسلم وأخيه المسلم، أو بين المسلم وغير المسلم... فالوفاء واجب مع الجميع.

وفاء مع الكفار:

في العام السادس الهجري، عقد المشركون مع المسلمين صلح الحديبية، وكان من شروط الصلح أنه إذا أسلم أحد من المشركين، وذهب إلى الرسول -ﷺ- رده إلى قومه. وبعد عقد الصلح مباشرة، جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو، وأعلن إسلامه، فلما رآه أبوه سهيل بن عمرو الذي كان يعقد الصلح مع النبي ﷺ قام إليه وعنفه، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قَدْ وَلَجَتِ الْقَضِيَّةُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكَ هَذَا. قَالَ: «صَدَقْتَ» وَصَاحَ أَبُو جَنْدَلٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَأُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ يَفْتِنُونَنِي فِي دِينِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي جَنْدَلٍ: «أبا جَنْدَلٍ اصْبِرْوَاحْتَسِبْ، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا، إِنَّا قَدْ صَالَحْنَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ وَجَرَى بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الْعَهْدُ، وَإِنَّا لا نَغْدِر». أخرجه الإمام أحمد والبيهقي.

مسلم عن حُذَيْفَة بْن الْيَمَانِ قَالَ: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلاَّ أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَ أَبِي - حُسَيْلٌ - قَالَ: فَأَخَذَنَا كُفَّارُقُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا؟ فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلاَّ الْمَدِينَةَ. فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلاَ نُقَاتِلُ

مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ فَقَالَ: « انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ ».

نموذج في حسن الوفاء:

أتى شابَّان إلى الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وكان في المجلس، وهما يقودان رجلاً من البادية فأوقفوه أمامه، قال عمر: ما هذا؟ قالا: يا أمير المؤمنين، هذا قتل أبانا، قال: أقتلت أباهم؟ قال: نعم قتلته، قال: كيف قتلتَه؟ قال: دخل بجمله في أرضي، فزجرته فلم ينزجر، فأرسلت عليه حجرًا وقع على رأسه فمات، قال عمر: النفس بالنفس، لا بد أن تُقتل كما قتلت أباهما.

قال الرجل: يا أمير المؤمنين، أسألك بالذي رفع السماء بلا عمد أن تتركني ليلة؛ لأذهب إلى زوجتي وأطفالي في البادية، فأُخبِرُهم بأنك سوف تقتلني ثم أعود إليك، والله ليس لهم عائلٌ إلا الله ثم أنا، قال عمر: مَن يكفلك أن تذهب إلى البادية ثم تعود إليَّ؟ فسكت الناس جميعًا؛ لأنهم لا يعرفون اسمه ولا داره ولا قبيلته، فكيف يكفلونه؟ فسكت الناس وعمر مُتأثر؛ لأنه وقع في حيرة، هل يقدم فيقتل هذا الرجل وأطفاله يموتون جوعًا هناك؟ أو يتركه فيذهب بلا كفالة فيضيع دم المقتول؟ وسكت الناس ونكَّس عمر رأسه والتفت إلى الشابَّين: أتعفوان عنه؟ قالا: لا، مَن قتل أبانا لا بد أن يُقتل يا أمير المؤمنين، قال عمر: مَن يكفل هذا أيها الناس؟ فقام أبو ذر الغفاريّ بشيبته، وقال: يا أمير المؤمنين، أنا أكفله، قال عمر: هو قَتْل، قال: ولو كان قاتلاً! قال: أتعرفه؟ قال: ما أعرفه، قال: كيف تكفله؟ قال: رأيت فيه سِمات المؤمنين فعلمت أنه لا يكذب، وسَيَفِي بعهده إن شاء الله،

قال عمر: يا أبا ذر، أتظن أنه لو تأخَّر بعد ثلاث أني تاركك؟ قال: الله المستعان يا أمير المؤمنين.

فذهب الرجل وأعطاه عمر ثلاث ليالٍ، يُهيِّئ فيها نفسه، ويُودع أطفاله وأهله، وينظر في أمرهم بعده ثم يأتي ليُقْتَص منه؛ لأنه قتل، وبعد ثلاث ليالٍ لم ينسَ عمر الموعد، وفي العصر نادى في المدينة: الصلاة جامعة، فجاء الشابَّان، واجتمع الناس، و أتى أبو ذر وجلس أمام عمر، قال عمر: أين الرجل؟ قال: ما أدري يا أمير المؤمنين! وتلفَّت أبو ذر إلى الشمس، وكأنها تمرُّ سريعة على غير عادتها.

وقبل الغروب بلحظات، إذا بالرجل يأتي، فكبَّر عمر وكبَّر المسلمون معه، فقال عمر: أيها الرجل أما إنك لو بقيت في باديتك ما شعرنا بك وما عرفنا مكانك. قال: يا أمير المؤمنين، والله ما عليَّ منك ولكن عليَّ من الذي يعلم السرَّ وأخفى، ها أنا يا أمير المؤمنين، تركت أطفالي كفراخ الطير لا ماء ولا شجر في البادية، وجئتُ لأُقتل، وخشيت أن يُقال لقد ذهب الوفاء بالعهد من الناس، فسأل عمر بن الخطاب أبا ذر: لماذا ضمنته؟ فقال أبو ذر: خشيت أن يُقال: لقد ذهب الخير من الناس، فوقف عمر وقال للشابَّين: ماذا تَرَيَان؟ قالا وهما يبكيان: عفونا عنه يا أمير المؤمنين لصدقه ووفائه بالعهد، وقالا: نخشى أن يُقال: لقد ذهب العفو من الناس، قال عمر: الله أكبر، ودموعه تسيل على لحيته.

إن الوفاء على الكريم فريضة

واللؤم مقرون بذي الإخلاف

وترى الكريم لمن يعاشر منصفا

وترى اللئيم مجانب الإنصاف

فوائد الوفاء:

• محبة الله: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَ اتَّقَى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:

• من أوفى بعهد الله من توحيده وإخلاص العبادة له، أوفى الله بعهده من توفيقه إلى الطّاعات وأسباب العبادات، وإثابتهم على ذلك. ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: 40]. قال ابن جرير: وعهده إياهم أنهم إذا فعلوا ذلك أدخلهم الجنة.

• خيار الناس من عرف بالوفاء؛ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (إن خيار عباد الله الموفون المطيبون).

• مضاعفة الأجر والثواب: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:

الفوز بالنعيم المقيم في الجنة: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ * وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد:

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان:

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم)

الصبر

الصَّبرُ في اللغة هو: حبس النفس، وكفّها عن الجَزِع، والسَّخَط، أمّا شرعاً فهو: الامتناع عمّا حرّمه الله، وأداء ما أوجبه من الفرائض، وعدم السخط، أو الجزِع، أو الشكوى ممّا قدَّرَه الله -سبحانه-

أي الرضا بمقدور الله، مع حُسن التأدُّب عند البلاء والمِحَن، دون الاعتراض على ما قُدِّر. ويُقصَد بالصبر في الاصطلاح الشرعيّ أيضاً: الثبات على ما ورد في القرآن الكريم، والسنّة النبويّة،

والحكمة الإلهية من الابتلاءات التي يمرّ بها العبد في حياته تتجلّى في أمور عديدة؛ حيث يميزُ بها المولى سبحانه صدق إيمان العباد؛ فيظهر صادقه من كاذبه، وينكشف غثّه من سمينه، وفي هذا يقول -سبحانه-: (مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ).

والابتلاءات والمحن تربيةٌ لنفوس المؤمنين في ميدان الثبات على الحقّ، قال -تعالى-: (وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ)،

ولا شكّ أنّ صبر المؤمن عند الابتلاء والمحن سببٌ لرفع درجاته ومقامه في الآخرة عند لقاء الله -تعالى-

ولذلك كان جديراً بالمؤمن عدم اليأس والقنوط من رحمة الله إن أصابته مِحنةٌ ما؛ إذْ اليأس يترك آثاراً سلبية كثيرة على صاحبه، ومنها: أنّ صفتَي الجزع والقنوط لا تُعدّان من صفات أهل الإيمان؛ فالمؤمن شاكرٌ لربّه راضٍ بقضائه، فرحمة الله وَسِعت كلّ شيءٍ، قال الله -تعالى-: (وَرَحمَتي وَسِعَت كُلَّ شَيءٍ).

ويُعَدّ اليأس والقنوط من صور حبّ الحياة الدنيا، و إيثارها على الحياة الآخرة، وعدم الاعتراف بفضل الله -سبحانه-، ونعمته، ممّا يُؤدّي إلى الكسل، والفتور عن العبادات والطاعات، والغفلة عنهما، وبالتالي الاستمرار في ارتكاب الذنوب والمعاصي.

أنواع الصَّبر في الإسلام يشتمل الصبر في الإسلام على عدّة أنواعٍ؛ فإمّا أن يكون الفرد صابراً على طاعة الله، أو صابراً على تَرك معصيته، أو صابراً على امتحان الله -تعالى-، و ابتلائه له، وفيما يأتي بيانٌ لكلّ نوعٍ:

صبرٌ على الطاعات كلّفَ الله عبادَه بالعديد من الطاعات، ومعلومٌ أنّ التكليف لا يخلو من المَشقّة، خاصّةً عند المداومة على الطاعة والمحافظة عليها، وبذلك يتغلّب المؤمن على تعبه، ويصبر عليه؛ التزاماً بأوامر الله -تعالى-، حيث يقول في كتابه العزيز: (فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ).

وممّا يعين العبد على الصبر في الطاعات أنْ يتفقّد حاله من الطاعة في مواطن ثلاثة؛ الأول قبل الطاعة؛ ويكون ذلك بإخلاص النيّة، والتخلُّص من الرياء، و أثناء الطاعة؛ ويكون بالخشوع فيها، وأدائها بشكلها الصحيح، والصبر عند الانتهاء منها؛ بعدم العجب، والتذكُّر بأنّها تمّت بفضل الله. صبرٌ على المعاصي نهى الله عباده عن الكثير من الأمور، وعَدَّ فِعلها من المعاصي، والصبر عنها يكون بحبس النفس عن ارتكابها، والحرص على اجتنابها؛ ابتغاء رضوان الله، وتكون كذلك على ثلاث مراحل: الأولى قبل المعصية؛ بأن ينوي العبد تركها، و أثناء تركها؛ بالامتناع عنها نهائيّاً؛ ابتغاء مرضاة الله، و انتهاءً بعدم العجب بتَركها. *صبرٌ على الابتلاءات أن يمنع الإنسان نفسه من الجزع عند وقوع المقدور؛ إذ قد يبتلي الله الإنسان بالمرض، أو الفقر، أو غيرها من الابتلاءات التي قد يعجز عن دفَعها

عن نفسه، فعلى العبد حينها أن يُعوّد نفسه على الصبروالرضا، وأن يبتعد عن مظاهر السخط، كاللطم، والصراخ، وشَقّ الجيوب، وغيرها. إذ إنّ الصبر من الأمورالواجب على المسلم التمسُّك بها، وفي مرتبةٍ أعلى من الصبريقع الرضا بما قسمه الله، والفرق بينهما أنّ مَن يرضى بالقضاء لا يجد في نفسه ألماً أو ضيقاً ممّا حصل له، ويحتلّ الشكر درجة أعلى منهما؛ وذلك بأن يشكر المؤمن ربّه على البلاء الذي أصابه؛ باعتبار أنّ فيه نعمةٌ، حتى وإن خفيت عليه، ومن أنواع هذه الابتلاءات:

الصبرعلى الظلم أمر الله عباده بالاستعانة بالصبر، وجعله سبباً للعون والنصر، وقد نصر الله بني إسرائيل على فرعون؛ بسبب صبرهم على مُصابهم، يقول -تعالى- (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا)،

الصبرعلى فَقْد الأحبة يترتّب على الصبرعلى فَقْد الأحبّة الأجروالثواب من الله -سبحانه-، والجزاء بالجنّة، قال الرسول -عليه الصلاة والسلام- فيما يرويه عن ربّه -عزّوجلّ-: (يقولُ اللَّهُ تَعالَى: ما لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِندِي جَزاءٌ، إذا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِن أهْلِ الدُّنْيا ثُمَّ احْتَسَبَهُ، إلَّا الجَنَّةُ)،

الصبرعلى المرض وردت العديد من الأحاديث التي تدلّ على عِظَمِ أجر الصبرعلى المرض، منها:

الوعد بالجنّة لمن مات في المرض الذي صبر عليه، وبالمغفرة وتكفير السيّئات، وذهاب الألم إن نجّاه الله منه، يقول -عليه الصلاة والسلام-: (إذا مرض العبدُ بعث اللهُ إليه ملَكينِ فقال: انظُروا ما يقول لعُوَّادِه؟ فإن هو إذا جاؤوه حمد اللهَ و أثنى عليه، رَفعا ذلك إلى اللهِ، وهو أعلمُ ، فيقول: لعبدي عليَّ إن توفَّيتُه أن أُدخِلَه الجنَّةَ وإن أنا شَفيتُه أن أُبدِلَه لحمًا خيرًا من لحمِه، ودمًا خيرًا من دمِه،

وأن أُكفِّرَ عنه سيِّئاتِه). اعتبار ألم المرض سبباً لرَفع الدرجات في الجنّة، وتكفير الخطايا، قال -عليه الصلاة والسلام-: (ما يُصِيبُ المُؤْمِنَ مِن شَوْكَةٍ فَما فَوْقَها إلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بها دَرَجَةً، أوْ حَطَّ عنْه بها خَطِيئَةً).

ورُوِي عن عبدالله بن مسعود أنّه قال: (دَخَلْتُ علَى النبيِّ ﷺ وهو يُوعَكُ، فَمَسِسْتُهُ بيَدِي فَقُلتُ: إنَّكَ لَتُوعَكُ وعْكًا شَدِيدًا، قَالَ: أجَلْ، كما يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنكُم قَالَ: لكَ أجْرَانِ؟ قَالَ: نَعَمْ، ما مِن مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أذًى، مَرَضٌ فَما سِوَاهُ، إلَّا حَطَّ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ، كما تَحُطُّ الشَّجَرَةُ ورَقَهَا).

كتابة الأعمال الصالحة التي مُنِع المريض منها بسبب المرض في ميزانه وكأنّه أدّاها، قال النبيّ -ﷺ-: (ليس مِن عمَلِ يَومٍ إلَّا وهو يُختَمُ عليه، فإذا مَرِضَ المؤْمِنُ قالتِ الملائكةُ: يا رَبَّنا، عبْدُك فُلانٌ قد حَبَسْتَه، فيقولُ الرَّبُّ عزَّوجلَّ: اختِموا له على مِثلِ عَمَلِه حتى يَبرأَ أو يَموتَ).

أفضل أوقات الصبر أمّا أفضل الأوقات التي يُطلَب من المؤمن فيها الصبر، فتكون عند حصول المصيبة وفي بدايتها؛ إذ يشتدّ على النفس أن تثبت، فإن صبرت حينها، فإنّه يسهل عليها أن تستمرّ على الصبر بعد ذلك. وقد ورد أنّ النبي -عليه الصلاة والسلام- مرّ بامرأةٍ تبكي عند قبرٍ، فأرشدها إلى أن تتّقيَ الله، وتصبر، فقالت له: "وما تبالي بمصيبتي"، دون أن تعرف أنّها تُحدّث النبيّ، فلمّا عرفت ذهبت إليه، وأخبرته أنّها لم تعرفه، فأجابها: (إنَّما الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى).

الصبر على تأخّر الزواج إنّ كلّ ما يصيب العبد من أمور الدنيا يكون مُقدّراً عليه، فقد سبق القضاء في كلِّ أمرٍ عند الله -تعالى-، وهو -سبحانه- لا يقضي بشيءٍ إلّا وله فيه حكمةٌ بالغةٌ، وقد قال -سبحانه- في القرآن الكريم بعد أن أرشد

المسلمين إلى الزواج المباح في الإسلام: (ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

فالمسلم الذي ابتُلي بعدم الزواج وتأخّره يلزمه أن يصبر على ذلك ويحتسب أمره عند الله -تعالى-، ويمضي مجتهداً في إعفاف نفسه، شاغلاً لها بالطاعات والعبادات، والتوبة الدائمة من كلّ الذنوب والمعاصي، والاستمرار على ذلك حتى يتجاوز ذلك الابتلاء الذي يرفعه الله به الدرجات ويُكفّر عنه به السيئات. ولا يعني الصبر على عدم الزواج وتأخّره القعود عن السعي في أسباب الزواج؛ بل يجدر الحرص على طلبه بالطرق المُباحة، والله -سبحانه- يمدّ بالعون حينها.

وعلى المرء أن يوقن أنّ الخيرة فيما يختاره الله؛ فربّما كان التّأخّر في الزواج لخير ادّخره الله -تعالى- له، كما أنّ استجابة الدعاء لا تكون دائماً في الحال، فقد يدفع الله بالدعاء الكثير من الشرور، وقد يدخّر الله الاستجابة، ومع ذلك فلا يأس من إجابة الله -تعالى- للدعاء؛ لأنّ الله يُحبّ العبد المُلحّ في دعائه، المتيقّن من إجابة ربه. ويجب الحرص على الدعاء في الأوقات التي تُرجى فيها الإجابة؛ كالثلث الأخير من الليل، وما بين الأذان والإقامة، وفي السجود، كما لا بدّ من إخلاص النية لله في الدعاء، وإظهار الافتقار والحاجة إليه.

ويبنغي على من تأخّر في الزواج الأخذ بالأسباب المشروعة الميسّرة له، ومنها: الدعاء واللجوء إلى الله تعالى، والإكثار من الاستغفار ومن الصلاة على النبي ﷺ. كما لا بدّ ممّن تأخّر في الزواج أن يحرص على تقوى الله -سبحانه- في قلبه، دون قلقٍ أو خوفٍ من عدم الزواج، فالله -سبحانه- كتب وقدّر لكلّ مخلوقٍ رزقه، فكلّ مخلوقٍ سينال رزقه لا محالةً، كما أنّ الله ييسّر الأسباب ويصرف السيء من الأمور، ولا بدّ أن تكون الأسباب التي يأتيها العبد مشروعةً.

ثمرات الصبر في الإسلام يعود الصبر على صاحبه بالعديد من الثمرات والآثار المُتعلِّقة بالدنيا، والآخرة، ومنها:

تخفيف أثر المصيبة، والتقليل من مَشقّتها على الإنسان. الفوز بالثواب الجزيل، والأجر العظيم في الآخرة، يقول -تعالى-: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ).

تحصيل الطمأنينة في القلب، والرضا عن الحال. نَيل الحفظ والمَعيّة من الله، بالتأييد والنصر إن قُرِن بالتقوى، يقول -تعالى-: (وَاصبِروا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصّابِرينَ).

طريقٌ إلى نيل مغفرة الله -تعالى- للذنوب، قال -تعالى-: (إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ).

وقايةٌ للمسلم من الوقوع في كَيد أحدٍ له، قال -تعالى-: (وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا).

عونٌ للعبد، وعدّة له في الاستعانة بالله -سبحانه-، قال -تعالى-: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ).

رَبط الفلاح به، كما في قوله -تعالى-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).[٣٥] وقد ورد فضل الصبر في أحاديث الرسول -ﷺ-، يُذكَر منها قوله: (واعلَمْ أنَّ النصرَ مع الصبرِ)،

وقد وصف الرسول -عليه السلام- الصبر بقوله: (الصلاةُ نورٌ، والصدقةُ برهانٌ، والصبرُ ضياءٌ)

مُعيناتٌ على الصبر الأمور التي تُعين النفس على التحلّي بخُلق الصبر كثيرة، وفيما يأتي بيان لبعضها

الإيمان بالله -تعالى-، وأنّ الأمر بيده؛ يُعطي ويمنع بمشيئته، والإيمان بالقضاء والقدر، واليقين بألّا مَفرّ من المُصاب بعد وقوعه، وأنّ السخط واليأس لا يفيد صاحبه، ولا يُعيد شيئاً ممّا فات، قال الله -تعالى-: (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ).

مطالعة سيرة الأنبياء والصحابة والصالحين الذين صبروا على الابتلاءات والمحن العظيمة، وتوطين النفس على الاقتداء بهم.

الاستعانة بالذكر، وتلاوة القرآن، يقول -تعالى-: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ).

معرفة حقيقة الحياة الدنيا، وأنّها ليست الحياة الأبديّة الخالدة، وذلك ما بيّنه الله -تعالى- في القرآن الكريم؛فقد خُلِق الإنسان في تعبٍ ومَشقّةٍ، كما أنّ حال الدنيا يتغيّر، ولا تبقى على حالٍ واحدٍ، قال -تعالى-: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ).

الاستعانة بالله واللجوء إليه. التأنّي، وعدم العجلة في نَيل ثمرات الصبر. عدم اليأس أو القنوط من رحمة الله -سبحانه-، وفَرجه، والثقة بما أعدّه لعباده.

العلم بقُبح المعاصي ودناءتها، وأنّ الله أراد للعبد الصيانة، والترفُّع عن ارتكابها، والعلم بما يترتّب على الذنوب والمعاصي، وسوء عاقبتها و أثرها في العبد.

الحياء من فعل المعصية أمام الله، والاستشعار بأنّه مُراقِبٌ لعباده جميعاً، بأفعالهم و أقوالهم جميعها.

مراعاة النعمة، وحفظها، وصيانتها؛ إذ إنّ الذنوب تُزيل النعم عن العبد العاصي، إلّا إن تاب إلى ربّه، قال -تعالى-: (إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حَتّى يُغَيِّروا ما بِأَنفُسِهِم).

نيل مَحبّة الله؛ إذ تُعَدّ من أهمّ الأمور التي تُعين العبد على التحلّي بالصبر، وكلّما ازدادت محبّة الله في القلب كلّما خضع لطاعة الله وعبادته، مع الحرص على

إجلال الله، وتعظيم مكانته في القلب، وبذلك يتحقّق الحياء من الله، والخشية والخوف منه.

الحرص على تثبيت الإيمان، وتقويته في القلب؛ إذ إنّ الصبر على عدم ارتكاب المعاصي مقرونٌ بمدى قوة الإيمان؛ فبقوّة الإيمان تتحقّق قوة الصبر والتحمّل، وبضعفه يضعف الصبر في النفس.

العلم بما أعدّه الله -سبحانه- للعبد الصابر من الثواب والجزاء الحسن، وتكفير السيّئات، والذنوب، والمعاصي.

العلم بأنّ العبودية لله -تعالى- لا بُدّ فيها من الرضا بما قدّره وقضاه على عباده، وأنّ الابتلاء قُدِّر على العبد؛ ليُعلَم مدى صبره وتحمُّله، وليس لإهلاكه، أو القضاء عليه.

التوكل

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي – ﷺ – قال: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا» رواه الإمام أحمد والترمذي. واشتمل على ألفاظ شرعية تتعلق بالرزق والتوكل على الله تعالى، وربط بين الرزق والتوكل على الله، ونجد ما يشهد على ذلك من الكتاب العزيز فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾

فأما صدق التوكل على الله هنا الثقة بالله والاعتماد عليه، ومن يثق بالله فيما نابه وفوض إليه أمره بعد اتخاذ الأسباب ومنها السعي لكسب الرزق، كفاه ما أهمه، في جميع أموره، لأن الله هو القادر على كل شيء، الغني عن كل شيء، إن الله يبلغ ما يريده، ولا يفوته مراد، ولا يعجزه مطلوب

وهذا الحديث إلى جانب الآية المذكورة أصل في التوكل وهو أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق، وقد قرأ النبي – ﷺ – هذه الآية على أبي ذر، وقال له: لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم يعني: لو حققوا التقوى والتوكل: لاكتفوا بذلك في مصالح دينهم ودنياهم. أما الحديث عن حقيقة التوكل فقد فصل فيها ابن رجب الحنبلي وعدد مراتب العمل الذي هو السبب أو الوسيلة التي يأخذها الإنسان في مجال الكسب، و أنه غير متعارض مع التوكل على الله حق التوكل. اقرأ أيضا: سنة الأخذ بالأسباب في السنة النبوية الفرق بين التوكُّل والتواكُل في حسن

التوكل عزة المؤمن حقيقة التوكل: هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وكلة الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه

قال سعيد بن جبير: التوكل جماع الإيمان. وقال وهب بن منبه: الغاية القصوى التوكل. قال الحسن: إن توكل العبد على ربه أن يعلم أن الله هو ثقته. ما هي العلاقة بين التوكل والأخذ بالأسباب؟ فإذا كان التوكل عمل القلب كما تقدم بيان حدوده، وهو جزء من ثمرات الإيمان بالله، فإنه قد يتظاهر للبعض أن التوكل المطلوب شرعا والأخذ به يناقض السعي والعمل بالأسباب، فقد يرى بعض الناس أن بتوكله يجب أن يكل الأمر لله تعالى ويترك العمل، ولبيان حقيقة التوكل والأخذ بالأسباب نمتثل بكلام ابن رجب، إذ يقول: "اعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه المقدورات بها، وجرت سنته في خلقه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له، والتوكل بالقلب عليه إيمان به، كما قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾

وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾، وقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وقال سهل التستري: من طعن في الحركة – يعني في السعي والكسب – فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل، فقد طعن في الإيمان، فالتوكل حال النبي – ﷺ -، والكسب سنته، فمن عمل على حاله، فلا يتركن سنته"

وسئل أحمد بن حنبل عن التوكل، فقال: هو قطع الاستشراف باليأس من الناس. فقيل له: هل من حجة على هذا؟ قال: نعم، إن إبراهيم لما رمي به في النار

في المنجنيق عرض له جبريل فقال: هل لك من حاجة؟ قال: أما إليك فلا. قال: فسل من لك إليه حاجة. فقال: أحب الأمرين إلي أحبهما إليه. [رواه البيهقي] والأعمال التي يقوم بها العبد ثلاثة أقسام: أحدها: الطاعات التي أمر الله عباده بها، وجعلها سببا، للنجاة من النار ودخول الجنة، فهذا لابد من فعله مع التوكل على الله فيه، والاستعانة به عليه، فإنه لا حول ولا قوة إلا به، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فمن قصر في شيء مما وجب عليه من ذلك، استحق العقوبة في الدنيا والآخرة شرعا وقدرا. الثاني: ما أجرى الله العادة به في الدنيا، وأمر عباده بتعاطيه، كالأكل عند الجوع، والشرب عند العطش، والاستظلال من الحر، والتدفؤ من البرد ونحو ذلك، فهذا أيضا واجب على المرء تعاطي أسبابه، ومن قصر فيه حتى تضرر بتركه مع القدرة على استعماله، فهو مفرط يستحق العقوبة. قال ابن رجب: لكن الله سبحانه قد يقوي بعض عباده من ذلك على ما لا يقوى عليه غيره، فإذا عمل بمقتضى قوته التي اختص بها عن غيره فلا حرج عليه، ولهذا كان النبي – ﷺ – يواصل في صيامه وينهى عن ذلك أصحابه ويقول لهم: «إني لست كهيئتكم، إني أطعم وأسقى». والأظهر أنه ﷺ أراد بذلك أن الله يقوته ويغذيه بما يورده على قلبه من الفتوح القدسية، والمنح الإلهية، والمعارف الربانية التي تغنيه عن الطعام والشراب برهة من الدهر. وقد كان كثير من السلف لهم من القوة على ترك الطعام والشراب ما ليس لغيرهم، ولا يتضررون بذلك. فمن كان له قوة على مثل هذه الأمور، فعمل بمقتضى قوته ولم يضعفه عن طاعة الله، فلا حرج عليه، ومن كلف نفسه ذلك حتى أضعفها عن بعض الواجبات، فإنه ينكر عليه ذلك. الثالث: ما أجرى الله العادة به في الدنيا في الأعم الأغلب، وقد يخرق العادة في ذلك لمن شاء من عباده، وهو أنواع: منها ما يخرقه

كثيرا، ويغني عنه كثيرا من خلقه كالأدوية بالنسبة إلى كثير من البلدان وسكان البوادي ونحوها. وقد اختلف العلماء: هل الأفضل لمن أصابه المرض التداوي أم تركه لمن حقق التوكل على الله؟ وفيه قولان مشهوران، وظاهر كلام أحمد أن التوكل لمن قوي عليه أفضل، لما صح عن النبي – ﷺ – أنه قال: «يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب ثم قال: هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون» . ومن رجح التداوي قال: إنه حال النبي – ﷺ – الذي كان يداوم عليه، وهو لا يفعل إلا الأفضل، وحمل الحديث على الرقى المكروهة التي يخشى منها الشرك بدليل أنه قرنها بالكي والطيرة وكلاهما مكروه. ومنها ما يخرقه لقليل من العامة كحصول الرزق لمن ترك السعي في طلبه، فمن رزقه الله صدق يقين وتوكل، وعلم من الله أن يخرق له العوائد، ولا يحوجه إلى الأسباب المعتادة في طلب الرزق، ونحوه جاز له ترك الأسباب، ولم ينكر عليه ذلك، وحديث عمر هذا الذي نتكلم عليه يدل على ذلك، ويدل على أن الناس إنما يؤتون من قلة تحقيق التوكل، ووقوفهم مع الأسباب الظاهرة بقلوبهم ومساكنتهم لها، فلذلك يتعبون أنفسهم في الأسباب، ويجتهدون فيها غاية الاجتهاد، ولا يأتيهم إلا ما قدر لهم، فلو حققوا التوكل على الله بقلوبهم، لساق إليهم أرزاقهم مع أدنى سبب، كما يسوق إلى الطير أرزاقها بمجرد الغدو والرواح، وهو نوع من الطلب والسعي، لكنه سعي يسير. ونجد شواهد هذا الموضوع في سؤالات المروزي للإمام أحمد رحمه تعالى: قال المروزي: قيل لأبي عبد الله: أي شيء صدق التوكل على الله؟ قال: أن يتوكل على الله، ولا يكون في قلبه أحد من الآدميين يطمع أن يجيبه بشيء، فإذا كان كذا، كان الله يرزقه، وكان متوكلا. قال: وذكرت لأبي عبد الله التوكل، فأجازه لمن استعمل فيه الصدق. قال وسألت أبا

عبد الله عن رجل جلس في بيته، ويقول: أجلس وأصبر ولا أطلع على ذلك أحدا، وهو يقدر أن يحترف، قال: لو خرج فاحترف كان أحب إلي، وإذا جلس خفت أن يخرجه إلى أن يكون يتوقع أن يرسل إليه بشيء. قلت: فإذا كان يبعث إليه بشيء فلا يأخذ؟ قال: هذا جيد. ويقول ابن القيم في "زاد المعاد": "فلا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله تعالى، وإن تعطيلها يقدح في نفس التوكل، وإن تركها عجز ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولا بد من هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلاً للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلاً ولا توكله عجزاً". ومن هذا البيان يفهم حق التوكل أنه ينصرف إلى الجمع بين الثقة بالله تعالى والأخذ بالأسباب دون الاعتماد الكلي عليها، والإيمان بمقتضى التوكل أن المعطي والمانع هو الله تعالى، فلا يتكل المسلم على السبب وينسى الله مسبب الأسباب ومجري الأمور على السنن، كما لا يعرض عن الأخذ بالسبب بدعوى التوكل. كما ينبغي أن يُعلم أنه لا يتحتم أن يترتب على التوكل على الله وإعداد العدة والأخذ بالأسباب حصول النتيجة المرجوة دائماً، وذلك لأن النتيجة تتعلق بأمر الله عز وجل ومشيئته وحكمته.

الرحمة

الرحمة صفةٌ من صفات الحقّ تبارك وتعالى، التي وصف بها نفسه كثيراً في القرآن العظيم في نحو مئتي آية، فضلاً عن تصدر كل سورة بصفتي الرحمن الرحيم، وذلك في البسملة التي هي ايةٌ من كلِّ سورة عدا سورة براءة، وذلك للدلالة على مبلغ رحمته العظيمة، وشمولها العام بعباده ومخلوقاته. قال تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ}

وقال تعالى على لسان ملائكته الكرام: {رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَ اتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ *}

وقال تعالى تعليماً للنبي ﷺ أنْ يقول للمشركين إنْ هم كذبوه: {رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ *}

ولقد قرر الله تعالى في كتابه الكريم أنّ الرحمةَ لا تزول عنه أبداً، كما قال سبحانه: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}

وقد ظهرت اثارُرحمته في الخليقة كلها، فما مِنْ أحدٍ مسلمٍ أوكافرٍ إلا وعليه من آثاررحمته في هذه الدنيا، ففيها يتعايشون، ويؤاخون، ويوادُّون، وفيها يتقلَّبون، لكنّها للمؤمنين خاصةً في الآخرة، لاحظّ للكافرين فيها.

ومن مظاهررحمته بخلقه

من أجلُّ مظاهر رحمة الله تعالى أن بعث لهم رسله تترى، ثم بعث خاتم أنبيائه، وسيد رسله، وصفوته من خلقه محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه؛

الذي امتنَّ به على الأمة، وكشف به الظلمة، وأزاح به الغمة، وجعله رحمة للعالمين أجمعين، كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ *}

وكما قال تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ)

وقد حدَّث النبي ﷺ عن رحمة الله تعالى، ومبلغ سعتها وكنهها، فقال: «إنّ اللهَ لما قَضَى الخلقَ كتب عنده فوق عرشه: إنّ رحمتي سبقتْ غَضَبِي».

وقال رسول الله ﷺ: «جعلَ اللهُ الرحمةَ مئةَ جزءٍ، فأمسكَ عنده تسعة وتسعين، و أنزلَ في الأرضِ جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تتراحمُ الخلائقُ، حتى ترفع الدَّابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه». ومن حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قُدِمَ على رسول الله ﷺ بسبي، فإذا امرأةٌ من السبي تسعى قد تحلّب -اجتمع حليب ثديها فيه- ثديُها، إذا وجدت صبياً في السبي أخذته، وألصقته ببطنها، وأرضعته، فقال رسول الله ﷺ: «أترونَ هذه المرأةَ طارحةً ولدَها في النار؟» قلنا: لا والله وهي تقدرعلى أن لا تطرحه، فقال رسول الله ﷺ: «اللهُ أرحمُ بعبادهِ من هذه بولدِها».

حض المؤمنين على التحلي بالرحمة

ندب الله تعالى عباده إلى التحلي بالرحمة، وحثّهم عليها في بعض مواطنها؛ لكبير أهميتها في تلك المواطن، لينالوا أجرَها، وعظيم ثوابها، وذلك كالرحمة بالوالدين اللَّذين عظمَ الله شأنهما، وقرن شكرهما بشكره، وطاعتهما بطاعته، فكانت الرحمةُ عند الكبر محتَّمة، حيث قال تعالى: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ

الرَّحْمَةِ وقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا *} [الإسراء: 24]، وقد قال الله جل ذكره في شأن أصحاب محمد ﷺ: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: 29]. كما أثبتها بلازمها لهم، ولمن اتصف بصفاتهم بقوله سبحانه: {مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} [المائدة:

إذ الذلة التي يتحلّون بها فيما بينهم بسبب التراحم بينهم، وهذا دليل على أنَّ الرحمة من أجلّ صفات المؤمنين، حيث كان حديث القرآن عن الرحمة لديهم في معرض الامتنان والثناء والمدح البليغ، ممّا يدل على عظيم مكانة المتراحمين من المسلمين عند الله تعالى، وقد دلَّ على ذلك ما أعده الله تعالى لهم من الأجر والثواب الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله: {ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ *أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ *} أي: أصحاب اليمين الذين يُعْطَوْنَ كتبهم بأيمانهم، والذين قال الله تعالى فيهم: {وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ *فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ *وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ *وَظِلٍّ مَمْدُودٍ *وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ *وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ *لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ *وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ *} [الو اقعة

وقد كان رسول الله ﷺ القدوةَ الحسنةَ في تحقيق هذا المقصد، وهو الرحمة بالعالمين، فكانت رحمته بالمؤمنين، وبالأهل، والعيال، وبالضعفاء، والكافرين، والحيوان، وكتب السيرة مليئةٌ بالمو اقف والأحاديث الدالة على ذلك، فحري بنا نحن أتباعَه ﷺ أن نهتدي بهديه ونستن بسنته-وهو الرحمة المهداة -، فنأخذ قبساً من رحمته ونتصف بها مع أنفسنا ومع الخلق عموماً.

التواضع

إن التواضع من أخلاق الإسلام المباركة؛ من أجل ذلك أحببتُ أن أذكِّر نفسي وأحبَّائي طلاب العلم الكرام بمنزلة التواضع في الإسلام، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

معنى التواضع:

التواضع: هو رضا الإنسان بمنزلة دون ما يستحقه فضله ومنزلته؛ (الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني،

الفرق بين التواضع والتذلُّل:

- التذلل: إظهار العجز عن مقاومة من يتذلل له.
- التواضع: إظهار قدرة من يتواضع له، سواء كان ذا قدرة على المتواضع

منزلة التواضع:

التواضع خلق حميد، وجوهر لطيف، يستهوي القلوب، ويستثير الإعجاب والتقدير، وهو من أخص خصال المؤمنين المتقين، ومن كريم سجايا العاملين الصادقين، ومن شيم الصالحين المخبتين.

التواضع هدوء وسكينة ووقار و اتزان، التواضع بشاشة وجه، ولطافة خلق، وحسن معاملة، بتمام التواضع وصفائه يتميز الخبيث من الطيب، والأبيض من الأسود، والصادق من الكاذب، وما تواضع أحد لله تعالى، إلا رفعه الله سبحانه. المتواضع يبدأ من لقيه بالسلام، ويجيب دعوة من دعاه، كريم الطبع، جميل العشرة، طلق الوجه، رقيق القلب، متواضع من غير ذلة، جواد من غير إسراف:

التواضع وصية رب العالمين:

حثَّنا الله تعالى على التواضع في كتابه العزيز، وسوف نذكر بعض هذه الآيات:

(1) قال الله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

• قال الإمام القرطبي رحمه الله: ألن جانبك لمن آمن بك وتواضع لهم، وأصله أن الطائر إذا ضمَّ فرخه إلى نفسه بسط جناحه، ثم قبضه على الفرخ، فجعل ذلك وصفًا لتقريب الإنسان أتباعه؛ (تفسير القرطبي،

(2) قال سبحانه: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾

• قال الإمام القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ هذا نهي عن الخيلاء، وأمر بالتواضع؛

(3) قال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

• قال الإمام القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: يرأفون بالمؤمنين، ويرحمونهم، ويلينون لهم.

• قال الإمام ابن كثير رحمه الله: قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: هذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليه؛

(4) قال جل شأنه: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ)

• قال قتادة بن دعامة رحمه الله: ﴿المخبتين﴾: المتواضعين؛

قال الإمام القرطبي رحمه الله: المخبت: المتواضع الخاشع من المؤمنين؛

(5) قال سبحانه: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)

• قال الإمام ابن كثير رحمه الله: يخبر تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول، جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين، الذين لا يريدون علوًّا في الأرض؛ أي: ترفُّعًا على خلق الله وتعاظمًا عليهم وتجبُّرًا بهم، ولا فسادًا فيهم؛

(6) قال الله عزوجل: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾

* قال الإمام القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾: أي: لا تمدحوها ولا تثنوا عليها، فإنه أبعد من الرياء و أقرب إلى الخشوع؛

(7) قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾

• قال الإمام ابن كثير رحمه الله: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾: أي: بسكينة ووقار من غير جبرية ولا استكبار؛

نبينا ﷺ يحثنا على التواضع:

حثنا نبينا ﷺ على التواضع في كثير من أحاديثه، وسوف نذكر بعضًا منها:

(1) روى مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد)

قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله: قوله: (إن الله أوحى إلي أن تواضعوا)؛ يعني: أن يتواضع كل واحد للآخر، ولا يترفَّع عليه؛ بل يجعله مثله أو يكرمه أكثر، وكان من عادة السلف (رحمهم الله) أن الإنسان منهم يجعل من هو أصغر منه مثل ابنه، ومن هو أكبر مثل أبيه، ومن هو مثله مثل أخيه، فينظر إلى من هو أكبر منه نظرة إكرام وإجلال، وإلى من هو دونه نظرة إشفاق ورحمة، وإلى من هو مثله نظرة مساواة، فلا يبغي أحد على أحد، وهذا من الأمور التي يجب على الإنسان أن يتَّصف بها؛ أي: بالتواضع لله عزوجل، ولإخوانه من المسلمين؛

(2) روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله؛

• قال الإمام عبدالرؤوف المناوي رحمه الله في شرحه للحديث: وما تواضع عبد من المؤمنين رقًّا وعبودية لله في الائتمار بأمره، والانتهاء عن نهيه، ومشاهدته لحقارة نفسه، ونفي العجب عنها، إلا رفعه الله في الدنيا بأن يثبت له في القلوب بتواضعه منزلة عند الناس ويجل مكانه، وكذا في الآخرة على سرير خلد لا يفنى ومنبر ملك لا يبلى، ومن تواضع لله في تحمل مؤن خلقه كفاه الله مؤنة ما يرفعه إلى هذا المقام، ومن تواضع في قبول الحق ممن دونه، قبل الله منه طاعاته، ونفعه بقليل حسناته وزاد في رفعة درجاته وحفظه بمعقبات رحمته من بين يديه ومن خلف

(3) روى البخاري عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت، ولو أهدي إلي ذراع أو كراع لقبلت؛

• (الكراع): ما دون الكعب من الدابة، وهو قليل اللحم.

• قال الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله في الحديث دليل على حسن خلقه ﷺ وتواضعه وجبره لقلوب الناس، وعلى قبول الهدية وإجابة من يدعو الرجل إلى منزله، ولو علم أن الذي يدعوه إليه شيء قليل؛

(4) روى الترمذي عن معاذ بن أنس الجهني، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (من ترك اللباس تواضُعًا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها)، ومعنى قوله: حلل الإيمان: يعني ما يعطى أهل الإيمان من حلل (أي: ثياب) الجنة؛ (حديث حسن

• قوله: (من ترك اللباس)؛ أي: لبس الثياب الحسنة المرتفعة القيمة.

• قوله: (تواضعًا لله)؛ أي: لا ليقال إنه متواضع أو زاهد ونحوه؛

• قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث: هذا يعني أن الإنسان إذا كان بين أناس متوسطي الحال لا يستطيعون اللباس الرفيع، فتواضع وصار يلبس مثلهم، لئلا تنكسر قلوبهم، ولئلا يفخر عليهم، فإنه ينال هذا الأجر العظيم أما إذا كان بين أناس قد أنعم عليهم، ويلبسون الثياب الرفيعة لكنها غير محرمة، فإن الأفضل أن يلبس مثلهم؛ لأن الله تعالى جميل يحب الجمال.

الكبر

الكبر حالة تدفع الإنسان إلى الإعجاب بنفسه حتى يرى نفسه أعلى من غيره، ويتمثل الكبر بأعلى صوره من خلال رفض الخضوع لله -تعالى-

وللكبر وجهين أحدهما محمود والآخر مذموم، فالمحمود منهما أن يسعى الإنسان أن يصير كبيراً ذا مكانة عالية في أمر محمود، أمّا المذموم فهو أن يظهر من نفسه ما ليس فيه بالحقيقة.

وقال الإمام الغزالي -رحمه الله-: الكبر ينقسم إلى قسمين؛ ظاهر وباطن، فإذا كان في الباطن دون أن يظهر على الجوارح يُقال له كِبر، أمّا إن ظهر على الجوارح فهو التكبّر، والأصل في الكبر وجود طرف آخر يرى المتكبّر نفسه أفضل وأعلى منه، وهذا هو الفرق بين الكبر والعجب؛ فالعجب ليس بالضرورة أن يكون هناك طرف مقابل لمن يرى العجب في نفسه.

من دوافع التكبّر

يأتي التكبّر من وجود دافع له في نفس المتكبّر حتّى يرى في نفسه صفة غير موجودة عند الآخر، أو أنّها ناقصة لدى الآخر ومكتملة عنده، وهذه بعض من الدو افع والأسباب على النحو الآتي:

إعلان العلم؛ فقد يرى أنّ العلم مستفيض عنده وهم في المقابل لا يملكون علماً، مما يدفعه لأن يرى مكانته عند الله أعظم من مكانتهم، فيخاف عليهم أكثر مما

يخاف على نفسه من شدّة يقينه بمنزلته عند الله. العمل والعبادة؛ فيعتقد أنّ سيرته طيّبة بين الخلق وسمعته حسنة، كأنّه بعبادة لله -تعالى- يقدّم منّة للخلق، ومنه أن يرى الناس إلى مصير الهلاك، فقد قال رسول الله -ﷺ-: (إذا قال الرجلُ هلكَ الناسُ فهوَ أهلَكُهُمْ). الحسب والنسب؛ فيرى نفسه أن يتجذّر من الأصل الفلاني الذي لا يتجذّر منه الآخر، وبالتالي فهو أعلى منه و أفضل منه، ولو كان للآخر أموراً أفضل منه، فلا فضل لأحد على أحد عند الله بلون أو نسب أو غيره. الجمال؛ وهو أكثر ما يحصل عند فئة النساء، فترى نفسها أجمل من غيرها فهي أعلى منها. الكبر بالمال؛ فالغني يتكبّر على الفقير بما يأكل ويشرب ويلبس، ويستحقره بما يملك والآخر لا يملك، وغالباً ما يجري هذا النوع بين أصحاب الأموال من الرؤساء والأمراء. العشيرة والأنصار والمؤيدين؛ فيرى نفسه أعظم من غيره لأنه من العشيرة كذا، ولأن فلان يناصره. ذمّ الإسلام للكبر ذمّ الإسلام الكبر ونهى عنه في العديد من مواضع نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، منها ما يأتي:

قال -تعالى-: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ*وَ اقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ). روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -ﷺ- فقال: (ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَومَ القِيامَةِ ولا يُزَكِّيهِمْ، قالَ أبو مُعاوِيَةَ: ولا يَنْظُرُ إليهِم، ولَهُمْ عَذابٌ ألِيمٌ: شيخٌ زانٍ، ومَلِكٌ كَذّابٌ،

ولكي يعرف الواحدُ منا خطورةَ هذا المرض - نسألُ اللهَ تعالى أن يعيذنا من الكبرِ وأن يرزقنا التواضعَ - .

أولُ مَنْ تكبرهو إبليسُ اللعينُ :

قالَ تعالى : " وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍوَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ "

وقال تعالى : " قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍوَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ "

فالكبرُ خلُقٌ من أخلاقِ إبليس ، فمن أراد الكِبر فليعلم أنهُ يتخلقُ بأخلاقِ الشياطين ، و أنهُ لم يتخلق بأخلاقِ الملائكةِ المكرمين الذين أطاعوا ربهم فوقعوا ساجدين .

وقد رد شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى على قياسِ إبليس الفاسد من أوجهٍ .

قَالَ : فَصْلٌ حُجَّةُ إبْلِيسَ فِي قَوْلِهِ : " أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍوَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ " هِيَ بَاطِلَةٌ لِأَنَّهُ عَارَضَ النَّصَّ بِالْقِيَاسِ . وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : أَوَّلُ مَنْ قَاسَ إبْلِيسُ وَمَا عُبِدَتْ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ إلَّا بِالْمَقَايِيسِ . وَيَظْهَرُ فَسَادُهَا بِالْعَقْلِ مِنْ وُجُوهٍ خَمْسَةٍ .

أَحَدُهَا : أَنَّهُ ادَّعَى أَنَّ النَّارَخَيْرٌ مِنْ الطِّينِ وَهَذَا قَدْ يُمْنَعُ فَإِنَّ الطِّينَ فِيهِ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ وَالِاسْتِقْرَارُ وَالثَّبَاتُ وَالْإِمْسَاكُ وَنَحْوُ ذَلِكَ وَفِي النَّارِ الْخِفَّةُ وَالْحِدَّةُ وَالطَّيْشُ وَالطِّينُ فِيهِ الْمَاءُ وَالتُّرَابُ .

الثَّانِي : أَنَّهُ وَإِنْ كَانَتْ النَّارُخَيْرًا مِنْ الطِّينِ فَلَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمَخْلُوقُ مِنْ الْأَفْضَلِ أَفْضَلَ فَإِنَّ الْفَرْعَ قَدْ يُخْتَصُّ بِمَا لَا يَكُونُ فِي أَصْلِهِ وَهَذَا التُّرَابُ يُخْلَقُ مِنْهُ مِنْ الْحَيَوَانِ وَالْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَالِاحْتِجَاجُ عَلَى فَضْلِ الْإِنْسَانِ عَلَى

غَيْرِهِ بِفَضْلِ أَصْلِهِ عَلَى أَصْلِهِ حَجَّةٌ فَاسِدَةٌ احْتَجَّ بِهَا إِبْلِيسُ وَهِيَ حُجَّةُ الَّذِينَ يَفْخَرُونَ بِأَنْسَابِهِمْ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " مَنْ قَصَّرَبِهِ عَمَلُهُ لَمْ يَبْلُغْ بِهِ نَسَبُهُ " .

* الثَّالِثُ " أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ مَخْلُوقًا مِنْ طِينٍ فَقَدْ حَصَلَ لَهُ بِنَفْخِ الرُّوحِ الْمُقَدَّسَةِ فِيهِ مَا شُرِّفَ بِهِ فَلِهَذَا قَالَ : " فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ " فَعُلِّقَ السُّجُودُ بِأَنْ يَنْفُخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ فَالْمُوجِبُ لِلتَّفْضِيلِ هَذَا الْمَعْنَى الشَّرِيفُ الَّذِي لَيْسَ لإبليس مِثْلُهُ .

الرَّابِعُ : أَنَّهُ مَخْلُوقٌ بِيَدَيْ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ تَعَالَى : " مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ " وَهُوَ كَالْأَثَرِ الْمَرْوِيِّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلًا وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فِي تَفْضِيلِهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ حَيْثُ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ : " " يَا رَبِّ قَدْ خَلَقْت لِبَنِي آدَمَ الدُّنْيَا يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَيَلْبَسُونَ وَيَنْكِحُونَ ؛ فَاجْعَلْ لَنَا الْآخِرَةَ كَمَا جَعَلْت لَهُمْ الدُّنْيَا فَقَالَ : لَا أَفْعَلُ . ثُمَّ أَعَادُوا . فَقَالَ : لَا أَفْعَلُ ثُمَّ أَعَادُوا فَقَالَ : وَعِزَّتِي لَا أَجْعَلُ صَالِحَ مَنْ خَلَقْت بِيَدَيَّ كَمَنْ قُلْت لَهُ : كُنْ فَكَانَ " .

الْخَامِسُ : أَنَّهُ لَوْ فُرِضَ أَنَّهُ أَفْضَلَ فَقَدْ يُقَالُ : إِكْرَامُ الْأَفْضَلِ لِلْمَفْضُولِ لَيْسَ بِمُسْتَنْكَرٍ"

العجب

إن العُجب من الآفات الخطيرة التي تصيب كثيراً من الناس، فتصرفهم عن شكر الخالق إلى شكر أنفسهم، وعن الثناء على الله بما يستحق إلى الثناء على أنفسهم بما لا يستحقون، وعن التواضع للخالق والانكسار بين يديه إلى التكبر والغرور والإدلال بالأعمال، وعن احترام الناس ومعرفة منازلهم إلى احتقارهم وجحد حقوقهم.

• والعجب هو الزهو بالنفس، واستعظام الأعمال والركون إليها، وإضافتها إلى النفس مع نسيان إضافتها إلى المُنعم سبحانه وتعالى.

• مساوئ العُجب: من مساوئ العجب أنه يحبط الأعمال الصالحة، ويخفي المحاسن، ويكسب المذام.

قال الماوردي: "وأما الإعجاب فيخفي المحاسن، ويظهر المساوئ، ويكسب المذام، ويصد عن الفضائل.. وليس إلى ما يكسبه الكبر من المقت حد، ولا إلى ما ينتهي إليه العجب من الجهل غاية، حتى إنه ليطفئ من المحاسن ما انتشر، ويسلب من الفضائل ما اشتهر، وناهيك بسيئة تحبط كل حسنة، وبمذمة تهدم كل فضيلة، مع ما يثيره من حنق، ويكسبه من حقد".

حكم العجب:

العجب محرم؛ لأنه نوع من الشرك..

قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله: "وكثيراً ما يقرن الرياء بالعجب، فالرياء من باب الإشراك بالخلق، والعجب من باب الإشراك بالنفس، وهذا حال المستكبر؛ فالمرائي لا يحقق قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، والمعجب لا يحقق قوله: {وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، فمن حقق قوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ } خرج عن الرياء، ومن حقق قوله: {وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} خرج عن الإعجاب".

وقال أبو حامد الغزالي رحمه الله: "اعلم أن العجب مذموم في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال الله تعالى: {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا} [سورة التوبة: 25]،

ذكر ذلك في معرض الإنكار.

وقال عز وجل: {وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا} [سورة الحشر: 2]، فرد على الكفار في إعجابهم بحصونهم وشوكتهم.

وقال تعالى: {وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}

وهذا أيضاً يرجع إلى العجب بالعمل، وقد يعجب الإنسان بالعمل وهو مخطئ فيه، كما يعجب بعمل هو مصيب فيه.

ومن السنة النبوية كذلك قول النبي ﷺ: «بينما رجل يمشي في حلةٍ تعجبه نفسه، مرجل جمته، إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة»

• وقال ﷺ: «ثلاث مهلكات: شحٌّ مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه» [أخرجه البيهقي وحسنه الألباني].

قال القرطبي: "إعجاب المرء بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال، مع نسيان نعمة الله، فإن احتقر غيره مع ذلك فهو الكبر المذموم".
وقوله: «إذ خسف الله به» يدل على سرعة وقوع ذلك به، وقوله: «فهو يتجلجل إلى يوم القيامة» وفي رواية مسلم: «فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة».
قال ابن فارس: "التجلجل: أي يسوخ في الأرض مع اضطراب شديد، ويندفع من شق إلى شق، فالمعنى يتجلجل في الأرض أي ينزل فيها مضطرباً متدافعاً".

من اقوال السلف:

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "الهلاك في اثنين: القنوط والعجب".
قال أبو حامد: "و إنما جمع بينهما؛ لأن السعادة لا تنال إلا بالسعي والطلب والجد والتشمير، والقانط لا يسعى ولا يطلب، والمعجب يعتقد أنه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى".
وقال مطرف: "لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً أحب إليّ من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً".
وكان بشر بن منصور من الذين إذا رءُوا ذُكِرَ الله تعالى والدار الآخرة، لمواظبته على العبادة، فأطال الصلاة يوماً، ورجل خلفه ينتظر، ففطن له بشر، فلما انصرف عن الصلاة قال له: "لا يعجبنك ما رأيت مني؛ فإن إبليس لعنه الله قد عبد الله مع الملائكة مدة طويلة، ثم صار إلى ما صار إليه".
وقيل لعائشة رضي الله عنها: "متى يكون الرجل مسيئاً؟"، قالت: "إذا ظن أنه محسن".

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "الإعجاب ضدّ الصواب، و آفة الألباب".
وقيل: النعمة التي لا يحسد صاحبها عليها: التواضع، والبلاء الذي لا يرحم صاحبه منه: العجب.

العجب والكفر:

وربما طغت آفة العجب على المرء حتى وصل به الأمر إلى الكفروالخروج من ملة الإسلام كما هو الحال مع إبليس اللعين حيث أعجب بأصله وعبادته، ودفعه ذلك إلى الكبروعصيان أمر الرب تعالى بالسجود لآدم عليه السلام.
وقال الأحنف بن قيس: "عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر؟!".

علاجة العجب بالكبر والادلال

قال ابن قدامة: "اعلم أن العجب يدعو إلى الكبر، لأنه أحد أسبابه، فيتولد من العجب الكبر، ومن الكبر الآفات الكثيرة وهذا مع الخلق".
فأما مع الخالق فإن العجب بالطاعات نتيجة استعظامها فكأنه يمنّ على الله تعالى بفعلها، وينسى نعمته عليه بتوفيقه لها، ويعمى عن آفاتها المفسدة لها، و إنما يتفقد آفات الأعمال من خاف ردها، دون من رضيها وأعجب بها.
وقال أبو حامد الغزالي: "والإدلال وراء العجب، فلا مدلّ إلا وهو معجب، وربّ معجب لا يدلّ، إذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة، دون توقع جزاء عليه، والإدلال لا يتم إلا مع توقع الجزاء، فإذا توقع إجابة دعوته، واستنكرردها

بباطنه، وتعجب منه كان مدلاً بعلمه، لأنه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق، ويتعجب من ردّ دعاء نفسه لذلك، فهذا هو العجب والإدلال وهو من مقدمات الكبروأسبابه".

مظاهر العجب:

مظاهر العجب كثيرة منها:

- رد الحق واحتقار الناس.
- تصعير الخد.
- عدم استشارة العقلاء والفضلاء.
- الاختيال في المشي.
- استعظام الطاعة واستكثارها.
- التفاخر بالعلم والمباهاة به.
- الغمزواللمز.
- التفاخر بالحسب والنسب وجمال الخِلقة.
- تعمد مخالفة الناس ترفعاً.
- التقليل من شأن العلماء الأتقياء.
- مدح النفس.
- نسيان الذنوب واستقلالها.
- توقع الجزاء الحسن والمغفرة وإجابة الدعاء دائماً.
- الإصرارعلى الخطأ.

• الفتورعن الطاعة لظنه أنه قد وصل إلى حد الكمال.
• احتقار العصاة والفساق.
• التصدرقبل التأهل.
• قلة الإصغاء إلى أهل العلم.

أسباب العجب:

• الجهل، والغريب أن بعض الناس يعجب بعمله ومعرفته لمسائل الخلاف و أقوال العلماء، ولو علم أن إعجابه بعلمه يدل على جهله لما كان من المعجبين بأنفسهم، قال أبو حامد: "وعلّة العجب: الجهل المحض، فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط".
• قلة الورع والتقوى.
• ضعف المر اقبة لله عزوجل.
• قلّة الناصح.
• سوء النية وخبث المطية.
• إطراء الناس للشخص وكثرة ثنائهم عليه مما يعين عليه الشيطان.
• الافتتان بالدنيا، و اتباع الهوى، والنفس الأمارة بالسوء.
• قلة الفكر؛ لأنه لو تفكر لعلم أن كل نعمة عنده هي من الله.
• قلة الشكر لله عزوجل.
• قلة الذكر لله عزوجل.
• عدم تدبر القرآن والسنة النبوية.
• الأمن من مكر الله عزوجل والركون إلى عفوه ومغفرته.

علاج العجب:

ذكر أبو حامد الغزالي أن علاج العجب يكون بسبعة أمور:

• الأول: أن يعجب ببدنه: في جماله وهيئته وصحته وقوته، وتناسب شكله وحسن صورته وحسن صوته، فيلتفت إلى جمال نفسه، وينسى أنه نعمة من الله تعالى وهو معرض للزوال في كل حال...

وعلاجه: هو التفكر في أقذار بطنه في أول أمره، وفي آخره، وفي الوجوه الجميلة والأجسام الناعمة كيف أنها تمزقت في التراب و أنتنت القبور، حتى استقذرتها الطباع.

• الثاني: العجب بالبطش والقوة: كما حكي عن قوم عاد أنهم قالوا {مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً}

وعلاجه: أن يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل، ويتفكر أنه بأدنى مرض يصيب دماغه يوسوس ويجن بحيث يُضحك منه، فلا يأمن أن يسلب عقله إن أعجب به، ولم يقم بشكره، وليعلم أنه ما أوتي من العلم إلا قليلا وأن ما جهله أكثر مما عرفه.

• الثالث: العجب بالنسب الشريف: حتى يظن بعضهم أنه ينجو بشرف نسبه ونجابة آبائه و أنه مغفور له ويتخيل بعضهم أن جميع الخلق له موالٍ وعبيد!!

وعلاجه: أن يعلم أنه مهما خالف آباءه في أفعالهم وأخلاقهم وظنّ أنه ملحق بهم فقد جهل، وإن اقتدى بآبائه فما كان من أخلاقهم العجب، بل الخوف والازدراء على النفس ومذمتها، ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب، فليتشرف بما شرفوا به ولقد ساواهم في النسب وشاركهم في القبائل

من لم يؤمن بالله واليوم الآخر، وكانوا عند الله شرًّا من الكلاب وأخسَّ من الخنازير، ولذلك يبين الله تعالى أن الشرف بالتقوى لا بالنسب، فقال: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}

• الرابع: العجب بكثرة العدد: من الأولاد والخدم والعشيرة والأقارب والأنصار والأتباع، كما قال الكفار: {وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا}

وعلاجه: أن يتفكر في ضعفه وضعفهم، وأن كلهم عبيد عجزة، لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعا، ثم كيف يعجب بهم وأنهم سيتفرقون عنه إذا مات، فيدفن في قبره ذليلاً مهيناً وحده لا يرافقه أهلٌ ولا ولد ولا قريبٌ ولا حميمٌ ولا عشيرٌ.

• الخامس: العجب بنسب السلاطين الظلمة وأعوانهم دون نسب الدين والعلم، وهذا غاية الجهل.

وعلاجه: أن يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله، وأنهم الممقوتون عند الله تعالى، ولو نظر إلى صورهم في النار و أنتانهم و أقذارهم لاستنكف منهم، ولتبرأ من الانتساب إليهم..

• السادس: العجب بالمال: كما قال تعالى إخباراً عن صاحب الجنتين {أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرا}

وعلاجه: أن يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظيم غوائله، وينظر إلى فضيلة الفقراء وسبقهم إلى الجنة يوم القيامة، وإلى أن المال غادٍ ورائح ولا أصل له، وإلى أن في اليهود من يزيد عليه في المال، وإلى قوله ﷺ: «بينما رجل يتبختر في حلةٍ له، قد أعجبته نفسه إذ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة»

• السابع: العجب بالرأي الخطأ: قال تعالى: {أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا} [سورة فاطر: 8]، وقال تعالى: {وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}

وجميع أهل البدع والضلال إنما أصروا عليها لعجبهم بآرائهم.

وعلاجه: أن يكون متَّهماً لرأيه أبداً لا يغترُّ به إلا أن يشهد له قاطع من كتاب أو سنة أو دليل عقلي صحيح جامع لشروط الأدلة، فإن خاض في الأهواء والبدع والتعصب في العقائد هلك من حيث لا يشعر.

نسأل الله أن يعيذنا و إياكم من العجب والكبر إنه سميع مجيب، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الحسد

لقد جعل الله المحبة الخالصة بين المسلمين هي أوثق عرى المحبة في الله ، وجمع المتحابين تحت ظلال عرشه ، ووثق الإسلام بذلك بوجوب المحافظة على مال المسلم وعرضه ونفسه ، بأن لا يصيبه أذى ولا يُمس بسوء .

ولكن تبحر بعض النفوس في مياه آسنة تتشفى ممن أنعم الله عليهم ورزقهم من خيره بالحقد والحسد فيثمر ثمراً خبيثاً غيبةً ونميمةً واستهزاء وغيرها . ولا يخلو مجتمع من تلك النفوس الدنيئة .

لذلك كان لزاماً علينا معشر الدعاة أن نطرح مثل هذه المواضيع التي انتشرت في المجتمع الإسلامي بل في الأوساط الشبابية وحلق التحفيظ فقد يحسد الشاب أخاه على حسن صوته أو لحفظه الجيد أو لعبادته .

وسيكون عرض هذا الموضوع على طريقة السؤال والجواب لأنها أسرع للفهم والحفظ .

تعريف الحسد :

هو تمني زوال النعمة عن المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها.

أنواعه :

1- كراهه للنعمة على المحسود مطلقاً وهذا هو الحسد المذموم .

2- أن يكره فضل ذلك الشخص عليه فيحب أن يكون مثله أو أفضل منه وهذا الغبطة .

مراتب الحسد :

1- يتمني زوال النعمة عن الغير.
2- يتمنى زوال النعمة ويحب ذلك وإن كانت لا تنتقل إليه .
3- أن يتمنى زوال النعمة عن الغير بغضاً لذلك الشخص لسبب شرعي كأن يكون ظالماً .
4- ألا يتمنى زوال النعمة عن المحسود ولكن يتمنى لنفسه مثلها ، وإن لم يحصل له مثلها تمنى زوالها عن المحسود حتى يتساويا ولا يفضله صاحبه .
5- أن يحب ويتمنى لنفسه مثلها فإن لم يحصل له مثلها فلا يحب زوالها عن مثله وهذا لا بأس به.

حكم الحسد :

حرام.
(عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث) رواه مسلم .
الأسباب التي تؤدي إلى الحسد :
يمكن تقسيم الأسباب إلى أسباب من الحاسد أو من المحسود أو قد يشترك فيها الإثنان .
1- العدواة والبغضاء والحقد (هذا السبب من الحاسد) .

2- التعززوالترفع (هذا السبب من الحاسد) .
3- حب الرئاسة وطلب الجاه لنفسه (هذا السبب من الحاسد) .
4- ظهورالفضل والنعمة على المحسود .
5- حب الدنيا (هذا السبب من الحاسد) .
6- الكبر(هذا السبب من المحسود).
7- شدة البغي وكثرة التطاول على العباد (هذا السبب من المحسود) .
8- المجاورة والمخالطة (هذا السبب يشترك فيه الحاسد والمحسود) .

بعض آثار الحاسد وأضراره على الفرد والمجتمع

1- حلق الدين (دبّ إليكم داء الأمم قبلكم البغضاء والحسد هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر) .
2- إنتفاء الإيمان الكامل (لا يجتمع في جوف عبد غبارفي سبيل الله وفيح جهنم ولا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد) .
3- رفع الخيرو انتشارالبغضاء في المجتمع (لا يزال الناس بخيرما لم يتحاسدوا).
4- اسخاط الله وجني الأوزار(الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النارالحطب) .
5- مقت الناس للحاسد وعداوتهم له (شرالناس من يبغض الناس ويبغضونه).
6- الحاسد يتكلم في المحسود بما لا يحل له من كذب وغيبة و إفشاء سر.

الموقف الذي يجب أن يقفه المحسود من الحاسد

1- الرجوع إلى الله وتجديد التوبة مع الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه .
2- التوكل على الله .

3- الاستعاذه بالله وقراءة الأذكار والأوراد الشرعية .

4- دعاء الله بأن يقيك من الحساد .

5- العدل مع الحاسد وعدم الإساءة إليه بالمثل .

6- الإحسان إلى الحاسد .

7- الرقية .

8- عدم إخبار الحاسد بنعمة الله عليك .

لو قال قائل أنا أبتليت بالحسد ! فكيف أزيل الحسد من قلبي ؟

1- التقوى والصبر.

2- القيام بحقوق المحسود .

3- عدم البغض .

4- العلم بأن الحسد ضرر على الحاسد في الدنيا والآخرة .

5- الثناء على المحسود وبرّه .

6- إفشاء السلام .

7- قمع أسباب الحسد من كبر وعزة نفس .

8- الإخلاص .

9- قراءة القرآن .

10- تذكر الحساب والعقاب .

11- الدعاء والصدقه .

تأمل في الأدلة التالية واستنتج منها مظاهر قبح الحسد ؟

1- قال تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) .

مظهر قبح الحسد أنه أول ذنب عصي الله به في السماء .

2- قال تعالى (و اتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين) .

مظهر قبح الحسد أنه أول ذنب عصي الله به في الأرض .

3- قال تعالى (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) .

مظهر قبح الحسد أنه من صفات الكفار من اليهود والنصارى .

4- قال ﷺ (لا يجتمع في جوف عبد غبار في سبيل الله وفيح جهنم ، ولا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد) .

مظهر قبح الحسد أنه يضاد الإيمان بالله تعالى .

5- قال ﷺ (دبّ إليكم داء الأمم من قبلكم الحسد والبغضاء).

مظهر قبح الحسد أنه داء وقع فيه جميع الأمم من قبلنا .

الغضب

الغضب شعلة من النار، والإنسان ينزع فيه عند الغضب عرق إلى الشيطان الرجيم، حيث قال: {خلقتني من ناروخلقته من طين}

فإن شأن الطين السكون والوقار، وشأن النار التلظي والاشتعال، والحركة والاضطراب. يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم للرجل الذي قال له: أوصني، قال: "لا تغضب"، فردد عليه مراراً، قال: "لا تغضب". وفي حديث آخر أن ابن عمر رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ماذا يبعدني من غضب الله عزوجل؟ قال: "لا تغضب"

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب". وعن عكرمة في قوله تعالى: وسيدا وحصورا)

قال: السيد الذي يملك نفسه عند الغضب ولا يغلبه غضبه. وكان يقال: اتقوا الغضب، فإنه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل. والغضب عدو العقل. الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام، فمتى غضب الإنسان ثارت نار الغضب ثوراناً يغلي به دم القلب، وينتشر به العروق، ويرتفع إلى أعالي البدن، كما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر، ولذلك يحمر الوجه والعين والبشرة وكل ذلك يحكي لون ما وراءه من حمرة الدم، كما تحكي الزجاجة لون ما فيها، و إنما ينبسط الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه. فإن كان الغضب صدر ممن فوقه، وكان معه يأس من الانتقام، تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى

جوف القلب، فصار حزناً، ولذلك يصفر اللون، وإن كان من نظير يشك فيه، تردد الدم بين انقباض و انبساط، فيحمر ويصفر ويضطرب، فالانتقام هو قوت لقوة الغضب. أنواع الناس عند الغضب من المعلوم أن الناس في الغضب على درجات ثلاث: إفراط، وتفريط، واعتدال. فلا خير في الإفراط؛ لأنه يخرج العقل والدين عن سياستهما، فلا يبقى للإنسان مع ذلك نظر ولا فكر ولا اختيار. ولا خير في التفريط في إهمال الغضب، لأنه يجعل الإنسان لا حمية له ولا غيرة، ومن فقد الغضب بالكلية، عجز عن رياضة نفسه، إذ الرياضة إنما تتم بتسلط الغضب على الشهوة، فيغضب على نفسه عند الميل إلى الشهوات الخسيسة، أما الاعتدال فهو المطلوب بين الطريقين. أثر الغضب من المعلوم أنه متى قويت نار الغضب والتهبت، أعمت صاحبها، وأصمته عن كل موعظة، لأن الغضب يرتفع إلى الدماغ، فيغطي على معادن الفكر، وربما تعدى إلى معادن الحس، فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه، وتسود الدنيا في وجهه، ويكون دماغه على مثال كهف أضرمت فيه نار، فاسود جوه، وحمي مستقره، وامتلأ بالدخان، وكان فيه سراج ضعيف فانطفأ، فلا يثبت فيه قدم، ولا تسمع فيه كلمة، ولا ترى فيه صورة، ولا يقدر على إطفاء النار، فكذلك يفعل بالقلب والدماغ، وربما زاد الغضب فقتل صاحبه. ومن آثار الغضب في الظاهر، تغير اللون، وشدة الرعدة في الأطراف، وخروج الأفعال عن الترتيب، واستحالة الخلقة، وتعاطي فعل المجانين، ولو رأى الغضبان صورته في حال غضبه وقبحها لأنف نفسه من تلك الحال، لأن قبح الباطن أعظم. علاج الغضب الأول: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالى: {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنْ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}

روى البخاري ومسلم: استبَّ رجلان عند النبي ﷺ، وأحدُهما يسبُّ صاحبَه مُغضباً قد احمَرَّوجهُه، فقال النبي ﷺ: "إني لأعلمُ كلمةً، لو قالها لذهبَ عنه ما يجد، لو قال: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم. الثاني: أن يتفكرفي الأخبارالواردة في فضل كظم الغيظ، والعفو، والحلم، والاحتمال، كما جاء في البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن رجلاً استأذن على عمر رضي الله عنه، فأذن له، فقال له: يا ابن الخطاب، والله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمررضي الله عنه، حتى هم أن يوقع به فقال الحربن قيس: يا أمير المؤمنين إن الله عزوجل قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم : {خذ العفو وأمربالمعروف وأعرض عن الجاهلين} [الأعراف: 199]

وإن هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها عمررضي الله عنه حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله عزوجل. الثالث: أن يخوف نفسه من عقاب الله تعالى، وهو أن يقول: قدرة الله علي أعظم من قدرتي على هذا الإنسان، فلو أمضيت فيه غضبي، لم آمن أن يمضي الله عزوجل غضبه علي يوم القيامة فأنا أحوج ما أكون إلى العفو. وقد قال الله تعالى في بعض الكتب: يا ابن آدم! اذكرني عند الغضب، أذكرك حين أغضب، ولا أمحقك فيمن أمحق. الرابع: أن يحذرنفسه عاقبة العداوة، والانتقام، وتشميرالعدوفي هدم أعراضه، والشماتة بمصائبه، فإن الإنسان لا يخلوعن المصائب، فيخوف نفسه ذلك في الدنيا إن لم يخف من الآخرة وهذا هو تسليط شهوة على غضب ولا ثواب عليه، لأنه تقديم لبعض الحظوظ على بعض، إلا أن يكون محذوره أن يتغيرعليه أمريعينه على الآخرة، فيثاب على ذلك. الخامس: أن يتفكرفي قبح صورته عند الغضب المذموم، وأنه يشبه حينئذ الوحش الضاري، وأنه يكون مجانباً لأخلاق الأسوياء والأنبياء

والعلماء في عادتهم، حتى تميل نفسه إلى الاقتداء بهم. السادس: أن يعلم أن غضبه إنما كان من شيء جرى على وفق مراد الله تعالى، لا على وفق مراده، فكيف يقدم مراده على مراد الله تعالى. يقول الله تعالى في معرض المدح: {والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين}

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء". وقال صلى الله عليه وآله وسلم لأشج بن قيس: "إن فيك خلقين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة". وروى أحمد عن النبي ﷺ قال: "ما كظم عبدٌ لله إلا مُلِئَ جوفُه إيماناً". وشتم رجل عدي بن حاتم وهو ساكت، فلما فرغ من مقالته قال: إن كان بقي عندك شيء فقل قبل أن يأتي شباب الحي، فإنهم إن سمعوك تقول هذا لسيدهم لم يرضوا. ودخل عمر بن عبد العزيز المسجد ليلة في الظلمة، فمر برجل نائم فعثر به، فرفع رأسه وقال: أمجنونٌ أنت؟ فقال عمر: لا، فهم به الحرس، فقال عمر: مه، إنما سألني أمجنون؟ فقلت: لا

هذه هي قمة التحمل

باب أعمال اللسان

تلاوة القرآن

فضائل القرآن كثيرة جدًّا، لا تعد ولا تحصى؛ فالقرآن الكريم عند المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على محمد ﷺ، هداية ورحمة للناس جميعًا، وهو كتاب الله الخالد، وحجته البالغة، وهو باق إلى أن تَفنى الحياة على الأرض.
وقراءة القرآن فضلها عظيم، بها يحصل المسلم الحسنات، وينال الأجر العظيم، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»، ولحافظ القرآن أجر عظيم عند الله؛ فإن القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة، ويعلي منزلته ودرجته في الجنة؛ فيكون مع الملائكة السفرة الكرام البررة. ومن فضائل تعلم القرآن وتعليمه: أن جعل الله مَن تعلم القرآن وعلمه غيره خير الناس و أفضلهم.

فضل القرآن الكريم

يؤمن المسلمون أن القرآن الكريم هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على محمد ﷺ، هداية ورحمة للناس جميعًا، وفيه سعادتهم وفلاحهم، وهو كتاب الله الخالد وحجته البالغة، وهو باق إلى أن تفنى الحياة على الأرض، وفيه أنزل الله شريعته وحُكمه التام الكامل؛ ليتخذه الناس شرعة ومنهاج حياة، وهو معجزة محمد ﷺ التي عجز الجن والإنس جميعًا عن أن يأتوا بمثلها بعد أن تحداهم الله بذلك؛ فقال الله تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ

لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}، والقرآن الكريم له منزلة عظيمة جدًّا عند الله، حتى أنه تبارك وتعالى أقسم به فقال: {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ}

فضل قراءة القرآن الكريم

يستحب للمسلم أن يداوم على تلاوة القرآن الكريم، وأن يكثر منها، وهو بذلك يتبع سنة جليلة من سنن الإسلام، وقد بين الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم فضل تلاوة القرآن، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ} [سورة فاطر، آية: 29]
وقال الرسول الكريم ﷺ: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده».

وكذلك من فضل قراءة القرآن: تحصيل الحسنات، ونيل الأجر العظيم، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف».

ومنه أيضًا: علو شأن قارئ القرآن، ووصوله إلى المكانة العالية والدرجة الرفيعة التي لا تُعطَى لغيره، يقول النبي ﷺ: «يُقال لصاحب القرآن: اقرأ، وارْقَ، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها».

طلب العلم

يعدّ العلم السبيل الذي يُتوصّل به إلى مرادات الله -تعالى- في كتابه الكريم، وسنّة رسوله -ﷺ-، وما يتفرّع منهما من الفروع والأصول التي لا سبيل إلى الوصول إليها إلّا بالعلم وبذل الجهد والاجتهاد، ولا بدّ في طلب العلم من الاقتداء بما كان عليه علماء الأمة و أئمتها. والعمل يتطلّب العلم، وقد قال -تعالى-: (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)، فالعمل بغير علم لا قيمة له، ولربما جاء الهلاك بسبب العمل في هذه الحالة، كما يُتوصّل إلى قبول العمل من عدمه بالعلم ونوره وما يمنحه لصاحبه من البصيرة.

طلب العلم فريضة أوجب الإسلام على كلّ مسلم طلب العلم، لأنّ القيام بالفرائض التي فرضها الإسلام يتطلّب العلم بها، فلا عمل بلا علم، ويشمل ذلك جميع الفرائض من الصّلاة، والزّكاة، والحجّ، وغيرها، ويستمرّ طلب العلم إلى يوم القيامة، ذلك أنّ القيام بهذه الفرائض مستمرّ إلى يوم القيامة، والعلم مرتبط بها،

وقد أخبر رسول الله أنّ طريق العلم هو طريق الجنّة، لأنّ العلم أساس لقبول العمل.

عن أبي الدرداء -رضيَ اللهُ عنه- أنّ رسول الله -ﷺ- قال: (من سلك طريقًا يطلبُ فيه علمًا، سلك اللهُ به طريقًا من طرقِ الجنةِ، وإنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتَها رضًا لطالبِ العِلمِ، وإنَّ العالِمَ ليستغفرُله من في السماواتِ ومن في الأرضِ، والحيتانُ في جوفِ الماءِ، وإنَّ فضلَ العالمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ

الكواكبِ، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ، وإنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثُوا دينارًا ولا درهمًا، وانما ورَّثُوا العِلمَ فمن أخذَه أخذ بحظٍّ وافرٍ)

تطور الأمة

تقوم الأمم على العلم، وتُبنى عليه، وتنهض بسببه، فقد كانت نهضة المسلمين وسيادتهم قائمة على تقدّمهم بالعلم، وإذا تخلّت أيّ أمّةٍ عن العلم وتراجعوا فيه سيكون ذلك سبباً لتراجعهم وخضوعهم تحت غيرهم من الأمم.

الوصول إلى رضا الله وتحصيل الأجروالثواب قال -تعالى-: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)،[٧] وقال: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)،

فالعلم طريق الجنّة، وسبيل الوصول إلى رضا الله، وهو ميراث الأنبياء، قال رسول الله -ﷺ-: (مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ).

العلم طريق من طرق الدعوة إلى الله ينبغي على المسلم أن يصوّب هدفه ونيّته من العلم من خلال تعليم النّاس وتفقيهم بدين الله، ودعوتهم إلى الخيروالحق، والسير بهم نحو صراط الله المستقيم، والعمل بما ورد في الآيات القرآنيّة التي تنصّ على ذلك، وهذه هي وظيفة المعلم الأساسيّة: إرشاد النّاس وإنذارهم وتحذيرهم من الجهل والمعصية، أمّا المتعلّم فوظيفته الاستجابة لهذه التحذيرات والعمل بها.

قال أحمد شوقي:

العلم يبني بيوتاً لا عماد لها**

والجهل يهدم بيت العزِّوالكرمِ

إن أردنا التعبيرعن العلم فهو أساس تقدم المجتمعات، وسر تطور الحياة، وهو المقياس الذي يُقاس به نموّ الشعوب، ولأهمية العلم وضرورته قال تعالى في محكم كتابه: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ*خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ*اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ*الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ*عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)،

لما يحمله في طيّاته من خيرللفرد والمجتمع، ومن يذق حلاوة العلم لا يستطيع أن يشبع منه، فكلما زاد الإنسان في علمه، زادت رغبته في تعلم المزيد والمزيد، طلبًا للجنة والرزق والتقدم والسمو والرفعة والخروج من الظلمات إلى النورفي الدنيا والآخرة.

بالعلم ننمو وتنمو حياتنا للعلم فضائلٌ كثيرة لا يمكن لعقل إنساني أن يلم بها، فهو أساس القضاء على الأمراض ومنع انتشار الأوبئة، والحد من الوفيات، وبه تمّ اختراع المواصلات التي سهّلت على الإنسان الوصول إلى أية بقعةٍ في الأرض، وبالعلم اختُرعت الآلات، وشُيّدت المصانع على اختلاف ما تنتجه من أدوات هدفها تسهيل الحياة، كما أنّ ما نراه من مبانٍ شاهقة وشوارع معبّدة لم تكن لتوجد لولا العلم وفضل العلماء، أمّا ما نسمعه ونراه من أخبار، وما نرسله من رسائل نصيّة وصوتيّة تصل قبل رمشة العين بفضل العلم أيضاً. كان العلم سبيل الإنسان للخروج خارج هذا الكوكب واكتشاف ما حوله من مجرّات وظواهر كونية، للاستفادة مما يمكن الاستفادة منه أيضاً، وبالعلم تعرفنا على

طبيعة الكون الذي نعيش فيه، واستطعنا التنبؤ بأمور الطقس وأحواله، والاحتراز من الزلازل والبراكين والأعاصير، وإنقاذ آلاف النباتات لتصبح أكثر صحةً، وأطول عمراً.

لأجل هذا جعل الله لطالب العلم طريقاً ميسراً وسالكاً ليسمو بنفسه ومجتمعه، فقد قال رسول الله ﷺ: (مَن سلَك طريقًا يَلتمس فيه علمًا، سهَّل الله به طريقًا إلى الجنَّة).

للعلم فضلٌ كبيرٌ في إعلاء درجات الإنسان عند الله، وفي سمو قدره وارتفاع قيمته، بالإضافة إلى ما يحققه المتعلّم من نفع لمجتمعه ووطنه، فلنحرص جميعاً على اكتساب العلوم ونشرها بإخلاص، وتقدير العلماء وإجلالهم.

بالعلم نتقرب إلى الله قال الله تعالى في كتابه الكريم: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)،

وفي ذلك بيان لأهمية العلم وفضله على الفرد، فهل هناك غاية أسمى وأجل من التقرب إلى الله؟ فالعالم إن كان علمه تحسبًا لله ولاكتشاف أرضه وكونه فهو بذلك يكون الأشد خوفًا من الله وتقربًا إليه. إن العلم هو غذاء الروح الإنسانية، وبه تسمو نفوسنا إلى المراد الأعلى والغاية الكبرى، إذ لا يمكن لدولة أن تتقدم بلا علم، ولا يمكن لإنسان أن يعلو ويصل دون علم، فهو الوسيلة السامية في حياتنا للوصول إلى الجنة في الآخرة، والوصول إلى أحلامنا وطموحاتنا وتقدما في الحياة الدنيا

الدعاء

الدعاء قمة التضرع إلى الله. وقد يذكر بعد ذكر أو عمل صالح. ويتضمن الدعاء أسرارًا تشمل الافتقار والاضطرار والإسرار، كما يحرص المسلم على الدعاء في وقت الاستجابة وفي الأماكن المستجابة، ونيل الطلبات وقضاء الحاجات. ولذلك فإن بعض المسلمين يتصدقون ويصومون لتعزيز فعالية دعائهم، كما يلجؤون إلى الظروف المناسبة للدعاء المستجاب. يجعل الدعاء الإنسان أكثر تقربًا إلى الله ويعزز الشعور بأن المولى، سبحانه، قريب منه.

الدعاء المستجاب

للدعاء المستجاب ظروف بتوفر بحدوثها وإن كانت لا تشترط جميعها، ومن ذلك: الإخلاص في الدعاء وحضور القلب وبدء الدعاء بالثناء على الله والصلاة على النبي، ﷺ، وأن يبدأ الإنسان بالحمد لله ويختم بالحمد له. بالإضافة إلى ذلك، يجب أن يستجيب الإنسان لدعوة الله، ويتابع في دعائه بالثقة الكاملة في الله، وأخيرا يجب تجنب الذنوب والمعاصي؛ لأن الدعاء المستجاب لا يكون في وجود الذنوب والمعاصي.

وردت العديد من نصوص القرآن الكريم، والسنّة النبويّة التي تُبيّن فضل الدعاء، وأهمّيته، ومنها ما يأتي:

قول الله -تعالى-: (ادعوا رَبَّكُم تَضَرُّعًا وَخُفيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُعتَدينَ).

قول الله -تعالى-: (قُلِ ادعُوا اللَّهَ أَوِ ادعُوا الرَّحمنَ أَيًّا ما تَدعوا فَلَهُ الأَسماءُ الحُسنى).

قول الله -تعالى- على لسان نبيّه نوح: (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ)،[١٧] كما أنّ نبيّ الله موسى -عليه السلام- دعا على فرعون، وكلّ مظلوم يدعو الله -تعالى-؛ لأنّ الدعاء هو مَلاذ المظلومين، ومَلجأ المُستضعَفين؛ لقوله -ﷺ-: (واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فإنَّه ليسَ بيْنَهُ وبيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ).

قول النبيّ -ﷺ-: (إنَّ ربَّكم حَيِيٌّ كريمٌ يستَحي مِن عبدِهِ إذا رفعَ يدَيهِ إليهِ بدعوَةٍ أن يرُدَّهُما صِفرًا ليسَ فيهما شيءٌ).

قول النبيّ -ﷺ-: (إِذَا مَاتَ الإنْسَانُ انْقَطَعَ عنْه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له)؛[٢٠] فقد بيّن الحديث أنّ الدعاء نَفْعه عظيم يشمل الأحياء، والأموات، و أنّه نَهج الأنبياء، والأصفياء.

عبادة الدعاء

يُعَدّ الدعاء أساس العبادة، وروحها؛ لأنّ الداعي لا يتوجّه إلى ربّه بالدعاء إلّا لِعلمه اليقين بأنّ النّفع وجلب الخير وكشف الضّر بيد الله وحده، وهذا دليل على الإخلاص، والتوحيد؛ وهما من أفضل العبادات؛ فقد قال -ﷺ-: (الدُّعاءَ هوَ العِبادَةُ، ثمَّ قرأَ: وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ).[٢١]

حكم الدعاء

ويُستحَبّ للمسلم الإكثار من الدعاء؛ لأنّه في حَدّ ذاته عبادة يشعر المسلم من خلالها بلذّة الصِّلة، والتعلُّق بالله -تعالى-، والقُرب منه،[٢٢] والدعاء هو: توجُّه العبد إلى ربّه بطلب حاجته، وهو مندوب في كلّ وقت، فلم يجعل الله -سبحانه وتعالى- له وقتاً مُحدَّداً، أو حَدّاً مُعيَّناً.

وهو ينقسم إلى: دعاء ثناء، ودعاء مسألة؛ أمّا دعاء الثناء، فهو: دعاء الله -تعالى- بأسمائه، وصفاته؛ لتحقيق ما يحبّه الداعي، أو دَفع ما يكرهه، أمّا دعاء المسألة، فهو: طلب المَنافع من الله -تعالى-، وطلب دَفع الأضرار عن الداعي، وفي كلا النوعَين يُعَدّ عبادة.

آداب الدعاء

ذكر العلماء مجموعة من الآداب التي يُستَحَبّ للمسلم أن يتحلّى بها في دعائه، ومنها ما يأتي:

التماس أوقات الإجابة، وهي كثيرة، ومنها: يوم عرفة، وشهر رمضان، وليلة القَدر، ويوم الجمعة، وفي الثُّلث الأخير من الليل، وما بين الأذان والإقامة، وفي حال السجود.

الابتهال والخشوع، والتضرُّع بين يدَي الله -تعالى-.

البُعد عن استعجال إجابة الدعاء؛ بمعنى أن يقول الداعي: "لقد دعوتُ ولم يستجب لي"؛ لأنّ الاستعجال يُنافي الأدب مع الله -تعالى-.

اجتناب الدعاء بإثم، أو قطيعة رَحِم، أو الدعاء على الأولاد، أو الزوجة، أو المال؛ لأنّ هذا الدعاء إذا وافق ساعة استجابة، فمن شأنه أن يُوقِع صاحبه في الحسرة، والندامة.

الإخلاص في التوجُّه إلى الله -تعالى- بالدعاء.

الإقبال على الله -تعالى- حين الدعاء، وحضور القلب.

استقبال القبلة، والأكمل أن يكون الداعي على طهارة.

الإلحاح في الدعاء؛ من خلال تكراره.

ابتداء الدعاء بحَمد الله -تعالى-، والصلاة على رسوله محمد -ﷺ-.

الاستقامة على طاعة الله -تعالى-، والابتعاد عن معصيته، والابتعاد عن أكل مال الحرام؛ لأنّ من أسباب استجابة الدعاء

الثقة بالله

من أعظم آداب الدعاء

ومن آداب الدعاء الثقة بالله والإيمان بقدرته التي لا يعجزها شيء. فالشخص الذي يدعو إلى الله يجب أن يكون على علم بأن من يدعوه هو الذي بيده كل شيء. يجب عليه أن يثق بالله وأن يتوجه إليه بكل تواضع وخشوع، وأن يعتقد أن الله موجود ويستجيب لدعائه. فالدعاء بقوة وصدق وثقة بالله وبتصديق رسوله يجعل من الدعاء وسيلة قوية ومؤثرة في حياة الإنسان ويزيد من احتمالية قبول الدعاء من الله، عزوجل. لذلك يجب على الإنسان أن يتوجه بكل تصديق وثقة

بالله عند دعائه، وأن يترك لله الأمر بأكمله، فإن الله هو خير الواهبين وهو الذي يسمع ويجيب الدعاء.

الذكر

أفضل الأعمال الصالحة التي ينبغي للعبد أن يعتني بها الإكثار من ذكر الله تعالى في كل حال تأسياً بنبينا ﷺ الذي كان يذكر الله على كل أحيانه. وامتثالاً لقوله تعالى {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } والإكثار من الذكر هو صفة أولي الألباب كما قال تعالى {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ } وهو وسيلة الفلاح فقال تعالى {وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }

والإكثار من الذكر هو وصية النبي ﷺ لأمته قال معاذ بن جبل رضي الله عنه إِنَّ آخِرَ كَلِمَةٍ فَارَقْتُ عَلَيْهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ أَوْ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» رواه البخاري في خلق أفعال العباد. وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: «لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله» رواه الترمذي.

فذكر الله تعالى عمل لا كلفة فيه ولا مشقة ومع ذلك ففيه الأجر الكبير والثواب العظيم.

ولعظم ثوابه وكثرة أجوره فضّله النبي ﷺ على الجهاد في سبيل الله بالسيف وعلى إنفاق الأموال في وجوه الخير فقال ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأرضاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والوَرِق يعني

الفضة، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «ذكر الله» وقال معاذ بن جبل: «ما عمل امرؤ بعمل أنجى له من عذاب الله عزوجل من ذكر الله» رواه ابن ماجه.

فأكثروا من ذكر الله بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وبقراءة القرآن وبأذكار الصباح والمساء وأذكار النوم وأذكار الاستيقاظ من النوم وأدبار الصلوات المكتوبة، وأكثروا من الاستغفار، وألّحوا بالدعاء لا سيماء في أوقات الإجابة كالثلث الأخير من الليل وبين الأذان والإقامة وفي السجود، وحال الصيام وحال السفر.

إن الذكر للعبد شرف عظيم. وأي شرف فوق أن يذكرك الله تبارك وتعالى فقد قال ﷺ يقول الله عزوجل : «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَ أَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» متفق عليه.

والذاكرون الله كثيراً هم السابقون يوم القيامة فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ، فَقَالَ: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ» قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ» رواه مسلم.

فأشغلوا ألسنتكم بقول لا إله إلا الله فقد قال ﷺ "إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ" متفق عليه. ومن قالها في يوم مائة مرة "كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ

لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ" رواه مسلم.

وأكثروا من قول سبحان الله وبحمده في الصباح والمساء لقوله ﷺ " مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْزَادَ عَلَيْهِ " رواه مسلم.

وأكثروا من قول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لقوله ﷺ " كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ " متفق عليه.

وإذا تنافس الناس في الدنيا وزهرتها فتنافسوا في الباقيات الصالحات وامتثالاً لقوله ﷺ «استكثروا من الباقيات الصالحات ". قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: " التكبير، والتهليل، والتحميد، والتسبيح، ولا حول ولا قوة إلا بالله» "

الإستغفار

الاستغفار هو طلب المغفرة من العزيز الغفار
وطلب الإقالة من العثرات من غافر الذنب وقابل التوب
قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى الغَفّار والغَفور، وهما من أبنية المبالغة، ومعناهما الساتر لذنوب عباده وعُيوبهم المُتجاوِز عن خطاياهم وذنوبهم. وأصل الغَفْر التغطية. يقال: غفر الله لك غفراً وغفراناً ومغفرة. والمغفرة إلباس الله تعالى العفو للمُذنبين. انتهى.
قال ذو النون المصري: الاستغفار جامع لِمَعانٍ:
أولهما: الندم على ما مضى
الثاني: العزم على الترك
والثالث: أداء ما ضيعت من فرض الله
الرابع: رد المظالم في الأموال والأعراض والمصالحة عليها
الخامس: إذابة كل لحم ودم نبت على الحرام
السادس: إذاقة ألم الطاعة كما وجدت حلاوة المعصية.
وبالاستغفار تُختتم العبادات ليُقر العبد بتقصيره فيُغفر له ذنبه
قال سبحانه في الحج: (ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)
وفي الأسحار عند الفراغ من قيام الليل: (كَانُوا قَلِيلا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)

و أثنى الله على المستغفرين بأوقات السحر فقال: (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ)
ويكون الاستغفار عند جموح النفس لمواقعة الذّنب (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)
وقال - سبحانه و تعالى -: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا)
والاستغفار جاء على ألسنة أنبياء الله ورسله
فعلى لسان نبينا محمد -ﷺ-: (فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ)
وقال على لسان نبيّه هود -عليه الصلاة والسلام-: (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ).
وجاء على لسان صالح -عليه الصلاة والسلام-: (يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ).
وعلى لسان شعيب - عليه الصلاة والسلام - (وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ).
وبه تُفتّح مغاليق الأمور:
قال -سبحانه وتعالى- على لسان نبيّه محمد -ﷺ-: (وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ).
وبالاستغفار تُستمد الأرزاق، ويُستكثر من المال والولد، وتُستمطر الرّحمات.

قال جل جلاله على لسان نوح - عليه الصلاة والسلام -: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا).

وبالاستغفار يُودّع الميت.

ولذا فقد كان النبي -ﷺ- إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت؛ فإنه الآن يسأل. رواه أبو داود.

وبالاستغفار تتحاتّ الخطايا والذنوب:

قال رسول الله -ﷺ-: من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم و أتوب إليه ثلاثا غُفرت ذنوبه وإن كان فارّاً من الزحف. رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يُخرجاه.

قال ابن عيينة: غضب الله داء لا دواء له.

وعقّب عليه الإمام الذهبي بقوله: دواؤه كثرة الاستغفار بالأسحار والتوبة النصوح.

وقد كان الذي غُفِر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر -عليه الصلاة والسلام- يقول: والله إني لأستغفر الله و أتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة. رواه البخاري.

وقال -عليه الصلاة والسلام-: إنه ليُغان على قلبي و إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة. رواه مسلم

قال الإمام النووي: والمراد هنا ما يتغشى القلب. قال القاضى: قيل المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه فإذا فَتَرَ عنه أو غفل عدّ ذلك ذنبا واستغفر منه.

ورى مكحول عن أبي هريرة قال: ما رأيت أكثر استغفاراً من رسول الله ﷺ. وقال مكحول: ما رأيت أكثر استغفارا من أبي هريرة. وكان مكحول كثير الاستغفار.

فَحَرِيٌّ بنا ونحن نودّع عاماً ونستقبل آخر جديد أن نودّع هذا بالاستغفار ونستقبل ذاك بالاستغفار.

نستقبله باستغفار الصادقي

قال القرطبي: قال علماؤنا: الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عقد الإصرار ويثبت معناه في الجنان لا التلفظ باللسان. فأما من قال بلسانه: استغفر الله، وقلبه مُصِرٌّ على معصيته فاستغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار، وصغيرته لاحقةٌ بالكبائر. وروي عن الحسن البصري أنه قال: استغفارنا يحتاج إلى استغفار.

قال بكر عبد الله المزني: أنتم تكثرون من الذنوب فاستكثروا من الاستغفار، فإن الرجل إذا وجد في صحيفته بين كل سطرين استغفار سرّه مكان ذلك.

قال سفيان الثوري لجعفر بن محمد بن علي بن الحسين: لا أقوم حتى تحدثني.

قال له جعفر: أنا أحدثك، وما كثرة الحديث لك بخير

يا سفيان إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقائها ودوامها فأكثر من الحمد والشكر عليها، فإن الله - عز وجل - قال في كتابه: (لئن شكرتم لأزيدنكم).

وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار، فإن الله - تعالى - قال في كتابه: (استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا).

يا سفيان إذا حَزَبَك أمرٌ من سلطان أو غيره فأكثر من: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ فإنها مفتاح الفرج، وكنز من كنوز الجنة.

فعقد سفيان بيده وقال ثلاث ونصف ثلاث. قال جعفر: عقلها والله أبو عبد الله، ولينفعنه الله بها.

وفي وصية علي بن الحسن المسلمي: وأكثر ذكر الموت، وأكثر الاستغفار مما قد سلف من ذنوبك، وسل الله السلامة لما بقي من عمرك.

إخواني:

أخواتي:

طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً. كما قال رسول الله ﷺ.

أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم و أتوب إليه.

أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم و أتوب إليه.

أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم و أتوب إليه

الغيبة

الغيبة مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ ضَعْفِ الدِّيَانَةِ ، وَقِلَّةِ الوَرَعِ ، وَمُوبِقَةٌ مِنْ مُوبِقَاتِ الآثَامِ ، وَحَالِقَةٌ مِنْ حَالِقَاتِ الدِّينِ ، تَنْهَشُ فِي الأَعْرَاضِ وَالحُرُمَاتِ ، خَصْلَةٌ مِنْ خِصَالِ السُّوءِ ذَمِيمَةٌ ، وَكَبِيرَةٌ قَاتِمَةٌ دَمِيمَةٌ ، تَغْشَى النَّاسَ فِي تَجَمُّعَاتِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ وَمُنْتَدَيَاتِهِمْ ، لَا يَكَادُ يَسْلَمُ مِنْهَا أَحَدٌ ، لَا عُلَمَاءُ وَلَا عَامَّةٌ ، وَلَا رِجَالٌ وَلَا نِسَاءٌ ، وَلَا صِغَارٌ وَلَا كِبَارٌ، جُرْمُهَا خَطِيرٌ، وَعِلَاجُهَا عَسِيرٌ، وَدَاؤُهَا يَهْدِمُ المُجْتَمَعَاتِ ، وَيُقَوِّضُ الأَبْنِيَةَ ، وَيَقْطَعُ العُرَى ، وَيُمَزِّقُ الأَوَاصِرَ ، وَيُوغِرُ الصُّدُورَ، وَيَشْحَنُ النُّفُوسَ ، وَيُفْسِدُ المَوَدَّةَ ، وَيَنْشُرُ الضَّغَائِنَ ، وَيُوَلِّدُ الأَحْقَادَ .

دَاءٌ يَهْتِكُ الأَسْتَارَ، وَيَنْتَقِصُ الأَخْيَارَ، وَيُلَفِّقُ الأَخْبَارَ، يَشْتَرِكُ فِي جُرْمِهَا الضَّيْفُ وَالمُضِيفُ وَالقَائِلُ وَالسَّامِعُ ، إِنَّهَا ضِيَافَةُ الفُسَّاقِ ، وَجُهْدُ الكُسَالَى وَالمُحْبَطِينَ ، وَمَرْتَعُ اللِّئَامِ ، أَصْحَابُهَا أَكَلَةُ لُحُومِ البَشَرِ وَجِيَفِهِمْ ،

أَتَدْرُونَ مَا أَرْبَى الرِّبَا إِنَّهُ اسْتِطَالَةُ المَرْءِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ ، حَدَّهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَبَيَّنَهَا بَيَانًا شَافِيًا فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «الغِيبَةُ : ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» أَتَنْتَقِصُ أَخَاكَ فِي خَلْقِهِ وَخُلُقِهِ ، وَدِينِهِ وَدُنْيَاهُ ، وَبَدَنِهِ وَلِبَاسِهِ ، وَوَلَدِهِ وَوَالِدِهِ ، وَزَوْجِهِ وَأَهْلِهِ ، وَخَادِمِهِ وَهَيْئَتِهِ ، وَعَمَلِهِ وَتَعَامُلِهِ ، وَحَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ ،

الغِيبَةُ بِالقَوْلِ تَقَعُ ، وَبِالفِعْلِ تَقَعُ ، وَبِالوَصْفِ تَقَعُ ، وَبِالحَرَكَاتِ تَقَعُ ، وَبِالإِشَارَاتِ تَقَعُ ، وَبِالرُّمُوزِ تَقَعُ ، تَصْدُرُ عَنِ اليَدِ وَاللِّسَانِ ، وَعَنِ العَيْنِ وَالبَنَانِ ، وَعَنِ الغَمْزِ وَالهَمْزِ وَاللَّمْزِ ، لَا تَقْتَصِرُ فِي طَرِيقَةٍ ، وَلَا تَنْحَصِرُ فِي هَيْئَةٍ ، تَلُوكُهَا بَوَاعِثُ النُّفُوسِ، وَتَسُوسُهَا مَآرِبُ الرُّؤُوسِ ، يُخْرِجُهَا المُغْتَابُ حِيناً فِي قَالَبِ التَّدَيُّنِ وَالصَّلَاحِ ،

وَالعَفَافِ وَالوَرَعِ ، فَتَرَاهُ يَقُولُ : فُلَانٌ غَفَرَ اللهُ لَنَا وَلَهُ ، فَيهِ كَذَا وَكَذَا ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُعَافِيَهُ ، وَيُخْرِجُهَا تَارَةً فِي صِيغَةِ التَّعَجُّبِ فَيَقُولُ : أَعُوذُ بِاللهِ ، كَيْفَ يَفْعَلُ فُلَانٌ كَذَا ، وَكَيْفَ يَفْعَلُ فُلَانٌ كَذَا ،

وَيُلْبِسُهَا تَارَةً أُخْرَى ، ثَوْبَ التَّحَسُّرِ وَالمَحَبَّةِ وَالشَّفَقَةِ ، فَيَقُولُ : لَقَدْ آلَمَنِي حَالُ فُلَانٍ ، وَضَايَقَنِي أَمْرُ فُلَانٍ ، لِمَا فَعَلَ كَذَا وَكَذَا ، عَافَانَا اللهُ وَإِيَّاهُ ، وَيَسُوقُهَا المُغْتَابُ تَارَةً تَعْرِيضاً بِالكَلَامِ ، فَإِذَا سُئِلَ كَيْفَ حَالُ فُلَانٍ؟ قَالَ : أَصْلَحَنَا اللهُ وَإِيَّاهُ ، وَعَافَانَا اللهُ وَإِيَّاهُ ، وَهَدَانَا اللهُ وَإِيَّاهُ ، وَيُورِدُهَا المُبْتَلَى حِيناً بِأَسْلُوبِ الإِنْكَارِ، وَقَصْدُهُ التَّنْكِيرُ وَالتَّشْهِيرُ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ .

الغِيبَةُ حَفِظَكُمْ اللهُ مِنْهَا : لَيْسَ لِطَرَائِقِهَا حَدٌّ وَلَا لِأَبْوَابِهَا سَدٌّ ، وَحِينَمَا سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ : أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ » أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ.

وَيَقُولُ الحَسَنُ رَحِمَهُ اللهُ : " ذِكْرُ الغَيْرِ: ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ : الغِيبَةُ وَالبُهْتَانُ وَالإِفْكُ ، فَالغِيبَةُ : أَنْ تَقُولَ مَا فِيهِ ، وَالبُهْتَانُ : أَنْ تَقُولَ مَا لَيْسَ فِيهِ ، وَالإِفْكُ : أَنْ تَقُولَ مَا بَلَغَكَ عَنْهُ".

يَخُوضُ المُتَخَوِّضُونَ فِي شَبَكَاتِ المَعْلُومَاتِ وَالإِنْتَرْنِتْ ، وَخُصُوصاً فِي تُوِيتَرْ، فِي نَشْرِ المَعَايِبِ وَالمَثَالِبِ ، وَمَنْ دَخَلَ تُويتَرْ أَدْرَكَ خُطُورَةَ الأَمْرِ ، وَعِظَمَ بَلَاءِ مَنْ سَاخَ فِي وَحْلِهَا ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ، فَكَمْ مِنْ مُسْلِمٍ تَهَاوَنَ فِي أَمْرِهَا ، جَرَّدَ لِسَانَهُ مِقْرَاضًا لِلأَعْرَاضِ ، وَمَحَشًّا لِلْحُرُمَاتِ ، فَهَذَا طَوِيلٌ ، وَذَاكَ قَصِيرٌ، وَهَذَا أَحْمَقٌ، وَذَاكَ فَاسِقٌ ، وَهَذَا مُنَافِقٌ ، وَذَاكَ مُدَاهِنٌ ، فَيَا لَلْأَسَى ، تَوَرَّعَ عَنْ الظُّلْمِ وَالفَوَاحِشِ ، وَصَلَّى وَصَامَ ، وَتَصَدَّقَ عَلَى الأَرَامِلِ وَالأَيْتَامِ ، وَلِسَانُهُ يَفْرِي لُحُومَ

الأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رِضِيَ اللهُ عَنْهُ : (وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ قَالَ مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)

مَجَالِسُ الغِيبَةِ ، هِيَ مَجَالِسُ الفِتْنَةِ وَالشَّرِّ وَالبَلَاءِ ، هِيَ مَحَارِقُ الحَسَنَاتِ ، تُؤكَلُ فِي هَذِهِ المَجَالِسُ ، لُحُومُ المُؤْمِنِينَ ، وَتُنتَهَكُ فِيهاَ أَعْرَاضُ الغَافِلِينَ ، مَوَائِدُ هَلَاكٍ ، وَمَسَالِكُ تِيهٍ وَخُسْرَانٍ ، وَمَجَالِسُ وَقِيعَةٍ وَأَذَى ، يَقُولُ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللهُ : " الغِيبَةُ أَشَدُّ عِنْدَ اللهِ مِنْ الزِّنَا وَشُرْبِ الخَمْرِ ، لِأَنَّ الزِّنَا وَشُرْبَ الخَمْرِ ، ذَنْبٌ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ، فَإِنْ تُبْتَ تَابَ اللهُ عَلَيْكَ ، وَأَمَّا الغِيبَةُ لَا يُغفَرُ لَكَ حَتَّى يَغْفِرَ لَكَ صَاحِبُكَ". فَمَنْ وَقَاهُ اللهُ شَرَّ مَا بَيْنَ لِحْيَيْهِ وَشَرَّ مَا بَيْنِ رِجْلَيْهِ دَخَلَ الجَنَّةَ .

حِينَمَا عُرِجَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ، مَرَّ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ ، يَخْمِشُونَ بِهاَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ ، فَقَالَ : « يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ الذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ » أَخْرَجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَهُوَ صَحِيحُ الإِسْنَادِ.

وَفِي الصَّحِيحِ ، عَنْ عَائِشَةَ رِضِيَ اللهُ عَنْهَا ، قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ : حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا ، تَعْنِي: أَنَّهَا قَصِيرَةٌ ، فَقَالَ : « لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحْرِ لَمَزَجَتْهُ » أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ ،

فَيَا أَيُّهَا المُغْتَابُ : كَمْ مِنْ أَشْعَثٍ أَغْبَرٍ خَيْرٌ مِنْكَ عِنْدَ اللهِ ، وَخَيْرٌ مِنْكَ فِي نَفْسِهِ ، وَخَيْرٌ مِنْكَ فِي أَهْلِهِ ، لِأَنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنِ اللهِ : صَاحِبُ القَلْبِ القَاسِي ، وَلَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ ، فَاشْتَغِلْ بِعُيُوبِ نَفْسِكَ ، وَذُدْ عَنْ إِخْوَانِكَ ، فَمَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَمَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ ، تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ ، فَضَحَهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ ،

وَإِذَا فَشَتْ الغِيبَةُ فِي المُجْتَمَعَاتِ ، خَبَتْ الأُخُوَّةُ فِي اللهِ ، وَذَهَبَتْ مَعَهَا مَحَاسِنُ الخُلُقِ وَالدِّينِ ،

أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ]

فَالغِيبَةُ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ ، وَكَبَائِرُ الذُّنُوبِ ، لَا تُكَفِّرُهَا الحَسَنَاتُ مِنْ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ وَسَائِرِ القُرُبَاتِ ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ الإِقْلَاعِ وَالنَّدَمِ ، وَالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ ، وَاسْتِحْلَالِ مَنْ وُقِعَ فِي عِرْضِهِ.

وَالغِيبَةُ يَتَضَاعَفُ خَطَرُهَا ، إِذَا تَضَاعَفَ أَثَرُهَا ، فَكُلَّمَا كَانَ العَبْدُ أَعْظَمَ إِيمَانًا وَأَظْهَرَ صَلَاحًا ، كُلَّمَا كَانَ اغْتِيَابُهُ أَشَدَّ ، فَغِيبَةُ وُلَاةِ الأُمُورِ وَأَهْلِ العِلْمِ وَالفَضْلِ ، أَشَدُّ مِنْ غِيبَةِ غَيْرِهِمْ ، لِأَنَّ لَهَا أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي شَقِّ الصَّفِّ ، وَ انْتِقَاصِ القَدْرِ، وَنَزْعِ الثِّقَةِ ، وَاضْطِرَابِ الأُمُورِ.

النميمة

النميمة: هي السعي للإيقاع في الفتنة والوحشة، كمن ينقل كلاماً بين صديقين، أو زوجين للإفساد بينهما، سواء كان ما نقله حقاً وصدقاً، أم باطلاً وكذباً، وسواء قصد الإفساد أم لا، فالعبرة بما يؤول إليه الأمر، فإن أدى نقل كلامه إلى فساد ذات البين فهي النميمة، وهي محرمة بالكتاب والسنة والإجماع، فأما الكتاب فقد قال تعالى: (همازمشاءٍ بنميم) [القلم: 11].

أما السنة فقد مر النبي ﷺ بقبرين فقال: "إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من البول" متفق عليه، وروى أبو داود والترمذي و ابن حبان في صحيحه عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى قال: إصلاح ذات البين، فإن إفساد ذات البين هي الحالقة".

وأما الإجماع فقد قال ابن حجر الهيتمي في كتابه الزواجر: قال الحافظ المنذري أجمعت الأمة على تحريم النميمة، وأنها من أعظم الذنوب عند الله . عز وجل . انتهى.

وليحذر المسلم هذا الداء العضال، وليجعل بينه وبينه جُنَّة تقيه لفح جهنم وحرها يوم القيامة، وليسع في الإصلاح ما استطاع. والله أعلم.

أضرار النميمة

تؤثر النّميمة سلباً على الأفراد والمجتمع، وتأتي بأضرارٍ كبيرةٍ على صاحبها في الدنيا والآخرة، ومن هذه الأضرار:[٦] طريق تؤدّي بصاحبه إلى النّار. تُشعل نار

الكراهة والبغضاء بين المتحابين من النّاس، فتحصل المشاكل فيما بينهم ثمّ يتخاصمون. دلالة النّفاق، والضعف، والخوف، واسوداد القلب، والمكيدة. تُفرّق المتحابين، والأخوة، والمتآلفين، والمتوادّين من أفراد المجتمع؛ فيُصبح المجتمع متفرقاً مليئاً بالمشاحنات والكراهية والبغضاء. تجلب السمعة السيّئة لفاعلها بين الخلق. تُؤثر في الأرزاق وقد تُؤدي إلى قطعها. تُشغل القلوب بما ليس لها. يضع صاحبها نفسه موضعاً للاتهام في أمانته، وتجعله ذليلاً حقيراً بين الخلق. تحلق الدين؛ أي تُزيله وتفسده، فقد قال رسول الله -ﷺ-: (ألا أخبرُكم بأفضلِ من درجةِ الصيامِ والصلاةِ والصدقةِ؟ قالوا: بلى، قال: إصلاحُ ذاتِ البينِ، وفسادُ ذاتِ البينِ هي الحالِقةُ).

سبباً في منع نزول المطر. سبباً مُوجباً لعذاب القبر، ودخول النّار. تفسد على صاحبها دينه ودنياه. علاج النميمة يُمكن للمسلم أن يتخلّص من النميمة عن طريق عدّة أمور، ومنها ما ياتي:

معرفة خطورتها، وما ينتج عنها من الآثار. استشعار عظمة ما يقوم به النمّام، وأنّه يرتكب بذلك كبيرةً من الكبائر. حفظ اللّسان، وترك تتبع عورات النّاس. معرفة ما يُؤدي بكلامه من الإفساد بين النّاس، وإيقاع المشاكل والبغضاء بينهم بفعله. الإكثار من الأفعال التي تكون سبباً في القرب من الله، والانشغال بها عن المخلوقين، والتخلّص من أوقات الفراغ بالقيام بهذه الطاعات. معرفة نتيجة البعد عن النّميمة من دخول الجنّة، والنّجاة من النّار. تجنّب الاستماع لكلام النمّام، ومقاطعته إن لم يتوقف عن فعله. التربية الصّالحة على القيم والأخلاق. التعامل مع النمّام بأسلوب الإحراج؛ من خلال الطلب منه أن يذكر محاسن من يتكلم عنه. علم العبد أنّ الدنيا دار فناء والآخرة دار بقاء، فيرضى بما قسمه الله

له. الصّبر على الغضب، وكظم الغيظ. الاقتداء برسول الله، والصحابة، والتابعين، والصالحين من بعده. معرفة العبد أنّ الذي ينمّ عليه سيكون خصيمه يوم القيامة.

الكذب

إن الله تعالى ذكر الكذب في محكم كتابه في نحو مائتي آية، كلها إما على سبيل الذم، وإما على سبيل تبيان سوء عاقبة الفاعل.

والكذب هو الإخبار بالشيء بخلاف ما هو عليه على وجه العلم والتعمد. وهو كبيرة تجر صاحبها -والعياذ بالله- إلى النار، كما في الحديث المتفق عليه : " إن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا ." ويؤدي إلى اللعن والطرد من رحمة الله قال تعالى: (قتل الخراصون) أي لعن الكذابون، وقال (إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) وهو من خصال أهل النفاق، كما جاء في صحيح مسلم : " آية المنافق ثلاث وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان ."

وبالجملة فإن الكذب محرم.. وهو على عدة أقسام: منه الكذب على الله ورسوله، وهذا متعاطيه مقعده محجوزله في النار، كما في الحديث المتواتر: " من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار." ومنه الكذب على الناس كي يضحكهم أو يجلب أنظارهم إليه ونحو ذلك، ومنه أن يقول: رأيت في منامي كذا وهو كاذب، وهذا قال عنه النبي ﷺ كما في البخاري : " من تحلم بحلم لم يره، كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل ." والحديث عن الكذب يطول، ولم يرخص في شيء منه إلا في مواطن ثلاث: في الحرب، وإصلاح ذات البين، وحديث الرجل إلى امرأته، وحديث المرأة إلى زوجها، كما في زيادة مسلم في حديث أم كلثوم حيث روى عنها

أنها قالت: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث: تعني: الحرب والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امر أته وحديث المرأة زوجها.

والكذب ينقسم الى ثلاثة أقسام

أولا: الكذب في الأقوال:

وهو أن يخبر بخلاف الصدق، وبخلاف الو اقع، وهذا أيضا أشكال متعددة، تتفاوت في الإثم بحسب كل شكل منها، فأعظمها و أكبرها إثما الكذب على الله ورسوله ﷺ. قال الله تعالى: (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا)

ومن ذلك التحليل والتحريم، بحسب الأهواء، لا بحسب الشرع المنزل من عند الله، ولهذا عنف الله الكفار حين ادعوا أن ما شرعوه من عند أنفسهم هو الشرع الذي أوحى به الله: (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب)

وقال تعالى: (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم.

والنبي ﷺ حذر من الكذب عليه، فقال: "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"

ثم يأتي بعد ذلك الكذب على المؤمنين، ومنه شهادة الزور التي عدها النبي ﷺ من أكبر الكبائر، وكم وجد في عصرنا هذا من باع دينه وضميره وشهد شهادة زور، فأضاع حقوق الناس أو رماهم بما ليس فيهم، طمعا في دنيا أو رغبة في انتقام أو تشف.

ومنه الكذب في المزاح ليضحك الناس، وقد جاء في الحديث: "ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له، ويل له".

لا يكون المؤمن كذابا

ولا يتصور في المؤمن أن يكون كذابا؛ إذ لا يجتمع إيمان وكذب، ولهذا لما سئل النبي ﷺ: "أيكون المؤمن كذابا؟ قال: لا". مع أنه ﷺ قد قرر أنه قد يكون بخيلا أو جبانا، لكن لا يكون كذابا.

فإن الكذب في الحديث من علامات النفاق: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان".

والكذب ليس من شيم الأكابر، بل هو من شيم الأصاغر، الذين هانوا على أنفسهم فهان عليهم الكذب، ولو كانوا كبارا في أعين أنفسهم لنأوا بها عن الكذب.

قال الشاعر:

لا يكذب المرء إلا من مهانته   أو فعله السوء أو من قلة الأدب

لبعض جيفة كلب خير رائحة   من كذبة المرء في جد وفي لعب

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: "لأن يضعني الصدق -وقلما يضع- أحب إلي من أن يرفعني الكذب- وقلما يفعل-".

ثانيا: الكذب في الأفعال:

فقد يفعل الإنسان فعلا يوهم به حدوث شيء لم يحدث، أو يعبر به عن وجود شيء غير موجود، وربما يكون الكذب في الأفعال أشد خطرا أو أقوى تأثيرا من الكذب في الأقوال، ومن أمثلة ذلك، ما حكاه الله لنا من أقوال و أفعال إخوة يوسف عليه السلام، إذ جاءوا أباهم عشاء يبكون بكاء كاذبا.. وجاءوا على قميص يوسف بدم كذب، فجمعوا بين كذب القول وكذب الفعل.

ثالثا: الكذب في النيات:

وهو أن يقصد بنيته غيروجه الله تعالى، ويدل عليه حديث الثلاثة الذين تسعر بهم النار: "الشهيد والمنفق والعالم". حين يدعي كل منهم أنه فعل ذلك لوجه الله، فيقال لكل منهم: كذبت ولكن قاتلت ليقال جريء فقد قيل. وللآخر: كذبت ولكن تصدقت ليقال جواد. وللثالث: كذبت ولكن تعلمت ليقال عالم.

فالكذب هو رأس كل خطيئة، وهو عار على صاحبه.

الصدق

الصدق حسب تعريفه عند فقهاء الدين الإسلامي هو قول الحق ومطابقة الكلام للواقع، وقد أمر الله -تعالى- بالصدق، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ١١٩﴾

الصدق ضدُّ الكذب، صَدَقَ يَصْدُقُ صَدْقًا وصِدْقًا وتَصْداقًا، وصَدَّقه: قَبِل قولَه، وصدَقَه الحديث: أَنبأَه بالصِّدْق، ويقال: صَدَقْتُ القوم. أي: قلت لهم صِدْقًا وتصادقا في الحديث وفي المودة.

الصدق منجاة وهو أول دروب الخير وصف المؤمنين والانبياء والصالحين، وقد امتدح الله سبحانه وتعالى الصدق وذكره في أوصاف أهل الجنة وأمر الناس به كما جاء في العديد من الأحاديث الشريفة التي تحث على الصدق، لأن فيه من الخير الكثير. وأخبر عنه الرسول عليه الصلاة والسلام بأنه طريق للبر. ومن المعروف أن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام عُرف بأنه «الصادق الامين». فالتحلي بالصدق هو التزام باخلاق نبي الأمة عليه الصلاة والسلام.

والصدق هو أهم خلق قد يتحلى به المسلم وذلك لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ١١٩﴾

الصدق حسب تعريفه عند فقهاء الدين الإسلامي هو قول الحق ومطابقة الكلام للواقع، وقد أمر الله -تعالى- بالصدق، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ١١٩﴾

الصدق ضدُّ الكذب، صَدَقَ يَصْدُقُ صَدْقًا وصِدْقًا وتَصْداقًا، وصَدَّقه: قَبِل قولَه، وصدَقَه الحديث: أَنبأَه بالصِّدْق، ويقال: صَدَقْتُ القوم. أي: قلت لهم صِدْقًا وتصادقا في الحديث وفي المودة.

الصدق منجاة وهو أول دروب الخير وصف المؤمنين والانبياء والصالحين، وقد امتدح الله سبحانه وتعالى الصدق وذكره في أوصاف أهل الجنة وأمر الناس به كما جاء في العديد من الأحاديث الشريفة التي تحث على الصدق، لأن فيه من الخير الكثير. وأخبر عنه الرسول عليه الصلاة والسلام بأنه طريق للبر. ومن المعروف أن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام عُرف بأنه «الصادق الامين». فالتحلي بالصدق هو التزام باخلاق نبي الأمة عليه الصلاة والسلام.

والصدق هو أهم خلق قد يتحلى به المسلم وذلك لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ١١٩﴾

الدين الإسلامي يفرض على المسلم أن يكون صادقًا مع الله وصادقًا مع الناس وصادقًا مع نفسه.

الصدق مع الله: وذلك بإخلاص الأعمال كلها لله، فلا يكون فيها رياءٌ ولا سمعةٌ، فمن عمل عملا لم يخلص فيه النية لله لم يتقبل الله منه عمله، والمسلم يخلص في جميع الطاعات بإعطائها حقها وأدائها على الوجه المطلوب منه.

الصدق مع الناس: فلا يكذب المسلم في حديثه مع الآخرين، وأيضا موافقة الظاهر مع الباطن في الأقوال والأفعال، فإذا لم يكن كذلك كان من علامات النفاق. وقد رُوي أن النبي قال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» (البخاري).

الصدق مع النفس: فالمسلم الصادق لا يخدع نفسه، ويعترف بعيوبه وأخطائه ويصححها، فهو يعلم أن الصدق طريق النجاة، قال ﷺ: «دع ما يُرِيبُك إلى ما لا يُرِيبُك، فإن الكذب ريبة والصدق طمأنينة» (أحمد والترمذي والنسائي).

صدق الحديث: فالمسلم يقول ما يعتقد، وإلا كان في إيمانه شيء من النفاق، ومن صدق الحديث ألا يحدث الإنسان بكل ما سمع، وبحسب المرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع.

صدق المعاملة: ولها صور عديدة، منها، صدق البيع والشراء، عن أبي خالد حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «البيّعان بالخيار ما لم يتفرقا؛ فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما» متفق عليه.

باب أعمال البدن

الطهارة

الطهارة على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الطهارة من الذنوب والمعاصي، وكان النبي ﷺ يسأل الله تعالى أن يطهره من الذنوب والمعاصي، ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن أبي أوفي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول: اللهم لك الحمد ملء السماء وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد، اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد، اللهم طهرني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ. وهذه الطهارة هي الأصل لما بعدها فمن لم يطهر قلبه لا يطهر ثوبه وبدنه غالبا لعدم تحفظه وتحرزه.

النوع الثاني: الطهارة من الخبث وهو النجاسة الحسية؛ كالبول والغائط والدم والخمر المائع وغير ذلك من أنواع النجاسات الحسية، وهذه لا يطهرها إلا الماء الطهور عند جماهير أهل العلم، وذلك بأن تغسل به حتى يزال لونها وطعمها وريحها؛ إلا نجاسة الكلب والخنزير وما تولد منهما فلا بد من غسلها سبع مرات إحداهن بالتراب، على خلاف بين أهل العلم في بعض تفاصيل ذلك.

النوع الثالث: الطهارة من الحدث وهو على قسمين:

القسم الأول: حدث أكبر وهو ما أوجب الغسل كخروج المني وتغييب الحشفة وهي طرف الذكر أو مقدارها من مقطوعها في فرج قبلا كان أو دبرا ولو لم ينزل المني، ويجب الغسل على المغيب، والمغيب فيه، ومن ذلك وجوب الغسل على المرأة إذا انقطع حيضها أو نفاسها.

القسم الثاني: حدث أصغر وهو ما أوجب الوضوء وهو خروج شيء من أحد السبيلين سواء كان بولا أو مذيا أو غائطا أو حصاة أو غير ذلك المهم أن يخرج شيء من أحد السبيلين.

ومن ذلك: مس الفرج ببطن الكف سواء كان فرج نفسه أو فرج غيره، ومن ذلك: زوال العقل بنوم أو إغماء أو سكر أو غير ذلك، ومن ذلك: مس المرأة الأجنبية المشتهاة أي التي بلغت سنا تشتهى فيه عند أصحاب الطباع السليمة، وهذا على رأي بعض أهل العلم، ومن ذلك: أكل لحم الجزور وهو رأي لبعض أهل العلم أيضا، وللمزيد من الفائدة عن نو اقض الوضوء المتفق عليها والمختلف فيها تراجع الفتو

والغسل من الجنابة يحصل بالنية وتعميم البدن بالماء. والوضوء يحصل بالنية وغسل الوجه واليدين إلى المرفقين ثم مسح الرأس ثم غسل الرجلين إلى الكعبين.

ومن شروط الطهارة:

1- الإسلام فلا تصح طهارة الكافر إلا الزوجة الكتابية يلزمها زوجها بالغسل بعد الحيض أو النفاس أن تغتسل ليطأها، فالكافر لو لزمه ما يوجب الغسل في الكفر واغتسل في كفره ثم أسلم لزمه إعادة غسله.

2- التمييز فلا يصح الوضوء ولا الغسل من غير مميز إلا الصبي الذي يحرم عنه وليه، فإنه يوضئه قبل الطواف به، وكذا الزوجة المجنونة تغسل بعد طهرها من الحيض قبل وطئ زوجها لها.

الصلاة

الصَّلَاةُ فِي الإِسْلَام هي الركن الثاني من أركان الإسلام، وفي الحديث: «عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "بُني الإسلام على خمسْ: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، و إقام الصلاة، و إيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً"». وقوله أيضاً: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله»، وهي الفرع الأول من فروع الدين عند الشيعة والصلاة واجبة على كل مسلم، بالغ، عاقل، ذكر كان أو أنثى، وقد فرضت الصلاة في مكة قبل هجرة النبي محمد إلى المدينة المنورة في السنة الثانية قبل الهجرة، وذلك أثناء الإسراء والمعراج.
في الإسلام تؤدى الصلاة خمس مرات يومياً فرضا على كل مسلم بالغ عاقل خالي من الأعذار سواء كان ذكرًا أو أنثى. بالإضافة لصلوات تؤدى في مناسبات مختلفة مثل: صلاة العيدين وصلاة الجنازة وصلاة الاستسقاء وصلاة الكسوف. والصلاة هي وسيلة مناجاة العبد لربه، وهي صلة بين العبد وربّه.

منزلة الصلاة

أعطى الإسلام الصلاة منزلة كبيرة فهي أول ما أوجبه الله من العبادات، كما أنها أول عبادة يحاسب عليها المسلم يوم القيامة وقد فرضت ليلة المعراج. قال أنس بن مالك: فرضت الصلاة على النبي ليلة أسرى به خمسين صلاة، ثم نقصت حتى

جعلت خمساً، ثم نودى يا محمد إنه لا يبدل القول لدي، وإن لك بهذه الخمس خمسين. وقال عبد الله بن قرط منقولاً قال رسول الله ﷺ: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله.»

وعَنْ حُرَيْثِ بْنِ قَبِيصَةَ قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيسًا صَالِحًا قَالَ: فَجَلَسْتُ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ: إِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي جَلِيسًا صَالِحًا فَحَدِّثْنِي بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ: الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنْ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ.» وفي حديث عن الإمام جعفر الصادق: «... إن شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة» وقد ذكرت الصلاة في القرآن في أكثر من موضع منها ما جاء في سورة المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢﴾

و أيضاً في سورة الكوثر: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ ٢﴾

و أيضاً في سورة الأعلى: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ١٥﴾

و أيضاً سورة طه: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ١٤﴾

أهمية الصلاة

الصلاة عمود الدين ولا يقبل أي عذر لتاركها طالما كان قادرا على أدائها. ولا تسقط عن أي رجل بالغ عاقل، بينما تسقط عن المرأة في حالة الحيض والنفاس، ولا تؤمر بقضائها بعد أن تطهر.

ومن عقوبة تارك الصلاة أنه محلُ خلاف بين العلماء بعض الفقهاء، حتى قال كثيرٌ من الفقهاء أنه يستتاب تارك الصلاة فإن تاب كان حسناً وإن لم يتب فإنه يحبسُ حتى يتوب ويصلي كما هو مذهب السادة الحنفية، بل قال بعضهم بأنه يُقتل حداً لا كفراً، أي يقتله القاضي بعد الاستتابة وتبيين أهمية الصلاة وفرضيتها له

وقد استدل الفقهاء لذلك بأدلة كثيرة يمكن الرجوع إليها في كتب الفقه.

أدلة الصلاة من السنة النبوية

من عظيم منزلة الصلاة في الإسلام أنها فرضت في أعظم رحلة عرفتها البشرية ألا وهى رحلة الإسراء والمعراج. الصلاة هي الفرق بين المسلم والكافر:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «فرضت الصلاة على النبي ﷺ ليلة أسري به خمسين صلاة ثم نقصت حتى جُعِلَت خمساً ثم نودي يا محمد إنه لا يبدل القول لدي وأن لك بهذه الخمس خمسين» (رواه البخاري ومسلم).

عن بريدة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوماً فقال: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وهامان وفرعون وأبي بن خلف» (أخرجه ابن حبان في صحيحه).

عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: "كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: "سلني" فقلت: "أسألك مر افقتك في الجنة قال: "أو غير ذلك؟ قلت: هو ذاك. قال: "فأعني على نفسك بكثرة السجود" (رواه مسلم).

روى النسائي عن أنس أن النبي ﷺ قال: «حُبب إليّ من الدنيا: النساء والطيب، وجُعل قرة عيني في الصلاة»

أخرج أبو داود في سننه عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة يحاسب بصلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر»(أخرجه الترمذي في سننه وصححه الألبانى في صحيح سنن الترمذي حديث رقم 413).

وعن أنس بن مالك، رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أول ما يحاسب به العبد صلاته، يقول الله تبارك وتعالى للملائكة: انظروا إلى صلاة عبدي، فإن وجدوها كاملة كتبت له كاملة، وإن وجدوها انتقص منها شيء قال: انظروا هل تجدون لعبدي تطوعًا، فتكمل صلاته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على قدر ذلك» (أخرجه الدارمى في سننه).

حكم تارك الصلاة

تارك الصلاة إذا كان قد تركها جاحدا لوجوبها مع علمه بأن الله أمر بإقامتها فهذا كافر مرتد بإجماع الأمة. ومن تركها جهلا منه بوجوبها كحديث العهد بالإسلام لم يحكم بكفره، ولكن يُعَلّم ويؤمر بها. قال ابن عبد البر: أجمع المسلمون على أن جاحد فرض الصلاة كافر يقتل إن لم يتب من كفره ذلك، واختلفوا في المقر بها وبفرضها التارك عمدا لعملها، وهو على القيام بها قادر، ونُقل عن الصحابة أنهم كانوا يرون كفره.

الزكاة

الزكاة (الجمع: زَكَوَات) في اللغة بمعنى: النماء والزيادة والبركة والمدح والثناء والصلاح وصفوة الشيء، والطهارة حسية أو معنوية، وبمعنى: زكاة المال. وتطلق الزكاة على ما ينفقه المتصدق من مال، وتستعمل في ديانات التوحيد بهذا المعنى الذي يقصد منه العبادة التي هي بمعنى: التصدق بالمال. والزَّكاةُ في الإسلام: المال اللازم إنفاقه في مصارفه الثمانية وفق شروط مخصوصة، وهي حق معلوم من المال، مقدر بقدر معلوم، يجب على المسلم بشروط مخصوصة، في أشياء مخصوصة هي: الأموال الزكوية، وزكاة الفطر. فهي في الشرع الإسلامي نوع من العبادات بمعنى: إنفاق المال على جهة الفرض، حيث تعد أحد أركان الإسلام الخمسة، وتطلق الصدقة على الإنفاق المفروض وغيره.

وأما في الديانات الأخرى فيوجد ما يفيد معنى إنفاق المال، أو دفع قدر من المال إلى ذوي الاحتياجات، على اختلاف في تفاصيل الأحكام، وكذلك الاختلاف في مصطلحات التسمية، ففي المسيحية مثلا توجد كلمة صدقة. ويتفق الدين الإسلامي مع المسيحية واليهودية في المفهوم العام للصدقة، من حيث أنها عبادة وقربة يتقرب بها الإنسان إلى الله، وأنها باب من أبواب الخير، وأن على الأغنياء بذل قسط من مالهم للفقراء والمحتاجين وسد حاجاتهم، مع اختلافهم في تفاصيل الأحكام. والزَّكاةُ في الشرع الإسلامي: «حِصّةٌ من المال ونحوه يوجب الشرعُ بذلها للفقراءِ ونحوهم بشروط خاصة». أو هي: «اسم لمال مخصوص،

يجب دفعه للمستحقين، بشروط مخصوصة». سميت زكاة؛ لأنها شرعت في الأموال الزكوية لتطهير المال، وفي زكاة الفطر لتطهير النفس، كما أن دفع الزكاة سبب لزيادة المال ونمائه، وسبب لزيادة الثواب في الآخرة بمضاعفته للمتصدق. وتسمى الزكاة صدقة، إلا أن الصدقة تشمل: الفرض والنفل، بخلاف الزكاة فإنها تختص بالفرض.

و إيتاء الزكاة في الإسلام عبادة متعلقة بالمال، تعد ثالث أركان الإسلام الخمسة، وهي مفروضة بإجماع المسلمين، وفرضها بأدلة من الكتاب والسنة، وإجماع المسلمين، فمن القرآن ﴿و آتوا الزكاة﴾، ﴿وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ٤٣﴾ [البقرة:43]، والأحاديث المستفيضة، مثل حديث: بُني الإسلام على خمس وذكر منها: إيتاء الزكاة. و اقترنت الزكاة بالصلاة في القرآن في اثنين وثمانين آية، وهذا يدل على أن التعاقب بينهما في غاية الوكادة والنهاية كما في المناقب البزازية. وفرضت في مكة على سبيل الإجمال، وبينت أحكامها في المدينة في السنة الثانية للهجرة. وتجب الزكاة في مال، أو بدن، على الأغنياء بقدر معلوم تدفع في مصارف الزكاة الثمانية.

والزكاة في الفقه الإسلامي تتضمن دراسة زكاة المال، وزكاة الفطر، والأموال الزكوية ومقاديرها وأحكامها، وتجب في النعم والذهب والفضة وفي أجناس من الزروع والثمار، وفي عروض التجارة والركاز والمعدن. والزكاة فريضة شرعية ذات نظام متكامل، يهدف لتحقيق مصالح العباد والبلاد والتكافل الاجتماعي، وسد حاجة المحتاجين، وإغناء الفقير. والزكاة هي الصدقة المفروضة، بقدر معلوم في

المال، وهي إلزامية، وليست مساهمة خيرية، ولا تعتبر ضريبة، بل تختلف عنها، ولا خلاف في مقاديرها، وأحكامها إلا في مسائل فرعية قليلة، ويدفعها المزكي، أو من ينوبه للمستحقين، وإذا طلبها السلطان؛ لزم دفعها إليه، وتصرف في مصارف الزكاة. ولا تصرف للجمعيات الخيرية، ولا لبناء المساجد، وغير ذلك من الأعمال الخيرية. ومنع الزكاة سبب لتلف المال وضياعه والعقوبة في الآخرة، ومانعها مع اعتقاد وجوبها يأخذها السلطان منه، وإن كان بذلك خارجا عن قبضة الإمام؛ قاتله بحق الإسلام، ولا يخرجه ذلك عن الإسلام.

تعريف الزكاة

الزَّكاةُ في اللغة لها عدة معان منها: البَرَكة والنَّماءُ والزيادة، يقال: زكا الزرع أي: نما، وزكت البقعة أي: بوركت، والزكاء: ما أخرجه الله من الثمر، وأرض زكية: طيبة سمينة، حكاه أبو حنيفة. قال ابن منظور: «وفي حديث علي، كرم الله وجهه: المال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق، فاستعار له الزكاء وإن لم يك ذا جرم، وقد زكاه الله أزكاه. وتقول: هذا الأمر لا يزكو بفلان زكاء أي لا يليق به و أنشد:
والمال يزكو بك مستكبرا
يختال قد أشرق للناظر.»
والزكاة بمعنى: المدح، قال الله تعالى: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾. وبمعنى: الطهارة، سواء كانت طهارة حسية، أو طهارة معنوية، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ٩﴾ [الشمس:9]، أي: طهرها من الأدناس. وزكى نفسه تزكية: مدحها، وفي حديث زينب: كان اسمها برة فغيره وقال: تزكي نفسها، وزكى الرجل نفسه إذا

وصفها و أثنى عليها، وزكى القاضي الشهود إذا بين زيادتهم في الخير، وبمعنى: الصلاح، ورجل تقي زكي أي: زاك من قوم أتقياء أزكياء، «وقوله تعالى: ﴿خيرا منه زكاة﴾ أي: خيرا منه عملا صالحا، وقال الفراء: زكاة صلاحا. قال الله تعالى: ﴿وحنانا من لدنا وزكاة﴾، وقال تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء﴾ صلح». وزكى المال زكاة أدى عنه زكاته، وزكاه أخذ زكاته، وتزكى: تصدق. وزكا الزرع يزكو زكاء بالفتح والمد أي نما. وغلام زكي أي: زاك، وقد زكا من باب سما وزكاء أيضا. وفي لسان العرب: «والزكاة: زكاة المال معروفة، وهو تطهيره، والفعل منه زكى يزكي تزكية إذا أدى عن ماله زكاته غيره: الزكاة ما أخرجته من مالك لتطهره به، وقوله تعالى: ﴿وتزكيهم بها﴾ قالوا: تطهرهم بها قال أبو علي: "الزكاة صفوة الشيء"، وزكاه إذا أخذ زكاته، وتزكى أي تصدق. وفي التنزيل العزيز: ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ قال بعضهم: الذين هم للزكاة مؤتون، وقال آخرون: الذين هم للعمل الصالح فاعلون» .

قال ابن منظور: وأصل الزكاة في اللغة الطهارة والنماء والبركة والمدح وكله قد استعمل في القرآن والحديث، وهي من الأسماء المشتركة بين المخرج والفعل، فيطلق على العين وهي الطائفة من المال المزكى بها، وعلى المعنى وهي التزكية، قال تعالى: ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ فالزكاة طهرة للأموال وزكاة الفطر طهرة للنفوس . وتستعمل كلمة الزكاة بالمعنى الشرعي، للمال الواجب إخراجه، وهو: (حق معلوم)، وتسمى الزكاة أيضا صدقة، إلا أن استعمال لفظ: (زكاة) للفريضة، ولفظ: (صدقة) يشمل: الزكاة الواجبة، وصدقة التطوع، كما أن الصدقة تشمل: فعل الخير، سواء إنفاق المال، أو غيره، وفي الحديث: «وتميط الأذى عن الطريق صدقة». وسميت الزكاة: زكاة؛ لأنها تزكي المال، أي: تطهره،

وتعود على المزكي بالزيادة في الخير، والبركة في المال، ونمائه، ومضاعفة الأجر، كما أنها تزكية لنفس المزكي، قال الله تعالى: ﴿تطهرهم وتزكيهم بها﴾. وقيل سميت زكاة؛ لأن المال يزكو بها أي: ينمو ويكثر، زكاء المال زيادته ونماؤه. قال ابن منظور: «وقيل لما يخرج من المال للمساكين من حقوقهم زكاة؛ لأنه تطهير للمال وتثمير وإصلاح ونماء». قال في المبدع: «فسمي المال المخرج زكاة؛ لأنه يزيد في المخرج منه، ويقيه الآفات». فهي تزيد في المال الذي أخرجت منه، وتقيه الآفات، قال الله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾، وفي الحديث: «قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليربي لأحدكم صدقته كما يربي أحدكم فلوه»». فنفس المتصدق تزكو، وماله يزكو: يَطْهُر ويزيد ويبارك فيه، وينمو بالخلف في الدنيا والثواب في الآخرة.

الصوم

الصَّوْمُ في الإسلام نوع من العبادات الهامة، وأصل الصَّوْمُ (ص و م)، يقال: صام صَوْمًا وصِيامًا أيضًا، في اللغة: مطلق الإمساك، أو الكف عن الشيء، ومنه قول الله تعالى حكاية عن مريم: ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ [مريم:26] أي: إمساكاً عن الكلام. والصوم في الشرع الإسلامي عبادة بمعنى: «الإمساك عن المفطرات على وجه مخصوص، وشروط مخصوصة من طلوع الفجر الثاني، إلى غروب الشمس، بنية». ولا يقتصر على صوم شهر رمضان، بل يشمل جميع أنواع الصوم، وهو إما فرض عين وهو صوم شهر رمضان من كل عام، وما عداه إما واجب مثل: صوم القضاء أو النذر أو الكفارة. وإما تطوع ويشمل: المسنون المؤكد، والمندوب (المستحب) والنفل المطلق، ومن الصوم أيضا ما يشرع تركه وهو الصوم المنهي عنه كصيام يوم الشك، ويحرم صوم يوم عيدي الفطر والأضحى.

والصوم في الإسلام هو عبادة يتفق المسلمون على اتباع نهج النبي في تحديد ماهيتها وأساسياتها، فهو بمعنى: «الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس بنية»، كما أن صوم شهر رمضان من كل عام: فرض بإجماع المسلمين، وهو أحد أركان الإسلام الخمسة، وفضائله متعددة، ويشرع قيام لياليه، وخصوصاً العشر الأواخر منه، وفيه ليلة القدر، وتتعلق به زكاة الفطر، وهو عند المسلمين موعد للفرحة، والبر والصلة، وعوائد الخير. وفرض الصوم

على المسلمين في السنة الثانية للهجرة، بأدلة منها قول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة:183]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:185]، وحديث: «بني الإسلام على خمس..» وذكر منها: صوم رمضان، وحديث الأعرابي السائل عن شرائع الدين، قال: هل علي غيره؟ أي: صوم رمضان، قال في الحديث: «لا، إلا أن تطوع شيئا». وصوم شهر رمضان من كل عام فرضٌ على كل مسلم مكلف مطيق للصوم غير مترخص بسبب المرض أو السفر، ولا يصح الصوم إلا من مسلم عاقل مع خلو المرأة من الحيض والنفاس. وللصوم أحكام مفصلة في علم فروع الفقه، ومنها وجوب الصوم، وأركانه، وشروطه، ومبطلاته، ومستحباته، ومكروهاته، وأحكام الفطر، والأعذار الشرعية المبيحة للفطر، ومواقيت الصوم، لدخول الشهر وخروجه، ووقت الإمساك، والتسحر، والإفطار، والقضاء والأداء وغير ذلك.

مشروعية الصوم في الإسلام

فرض الصوم

الصوم من العبادات المشروعة في الإسلام، وفرض في السنة الثانية للهجرة، ونزلت فيه آيات من القرآن الكريم، دلت على فرضيته على المسلمين، وأنه كان مفروضا على من كان قبلهم في الشرائع السابقة، وشرعت أحكامه ومواقيته، في آيات الصيام، وبينت تفاصيل أحكامه ومواقيته، بالأحاديث النبوية؛ لأن الحديث النبوي مفسر للقرآن، وشارح له، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ [النحل:44]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ

فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٦٥﴾ [النساء:65]، وفي الحديث: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه». والأصل في مشروعية الصيام قبل الإجماع: أدلة من الكتاب والسنة، فمن القرآن قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة:183]. وهو دليل فرض الصيام على المسلمين، وكان هذا في بداية فرضه، ثم نزل بعد ذلك من القرآن الكريم تحديد مقدار الصوم المفروض وبيان زمنه ومو اقيته المتعلقة به في قول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:185] ... الآية، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:185]. وفي هذه الآية الأمر الصريح بوجوب صوم شهر رمضان على المسلمين المكلفين. ومعنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: يا أيها الذين ءامنوا بالله ورسوله وصدقوا بهما و أقرُّوا، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ أي: فُرض عليكم الصيام، ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، أي: كما فُرض على الذين من قبلكم، من الأمم السابقة، فهو من الشر ائع القديمة، وكان فرضه على الأنبياء وأممهم، قال أبو جعفر الطبري في تفسير الآية: فرض عليكم مثل الذي فرض على الذين منْ قبلكم، وذكر أقوالا في الذين فرض عليهم الصوم من قبل فرضه على المسلمين، وفي المعنى الذي وقع فيه التشبيه بين فرض صومنا وصوم الذين من قبلنا، الأول: أن صوم شهر رمضان فرض على النصارى، وتشبيه صيامهم بصيام المسلمين هو اتفاقهما في الوقت والمقدار، الذي هو لازم للمسلمين اليوم فرضُه، عن الشعبي أنه قال: «لو صُمت السنة كلها لأفطرت اليوم الذي يشك فيه فيقال: من شعبان، ويقال: من رمضان، وذلك أن النصارى فُرض عليهم شهر

رَمضان كما فرض علينا فحوَّلوه إلى الفصل، وذلك أنهم كانوا ربما صاموه في القيظ يعدون ثلاثين يوماً، ثم جاء بعدهم قرن فأخذوا بالثقة من أنفسهم، فصاموا قبل الثلاثين يوما وبعدها يوما، ثم لم يزل الآخر يُستن سنّة القرن الذي قبله حتى صارت إلى خمسين، فذلك قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة:183]». وقيل بل التشبيه إنما هو من أجل أن صومهم كان من العشاء الآخرة إلى العشاء الآخرة، وهو الذي فرض على المسلمين في بداية فرضه؛ روى ابن جرير الطبري عن أسباط، عن السدي: أما الذين من قبلنا: فالنصارى، كتب عليهم رمضان وكتب عليهم أن لا يأكلوا ولا يشربوا بعد النوم، ولا ينكحوا النساءَ شهر رمضان، فاشتد على النصارى صيامُ رمَضان، وجعل يُقَلَّبُ عليهم في الشتاء والصيف، فلما رأوا ذلك اجتمعوا فجعلوا صياما في الفصل بين الشتاء والصيف، وقالوا: نزيد عشرين يوما نكفّر بها ما صنعنا، فجعلوا صيامهم خمسين. وفي رواية: كتب عليهم الصوم من العتمة إلى العتمة، وعن قتادة: رمضانُ، كتبه الله على من كان قَبلهم، وعن مجاهد: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة:183] أي: أهل الكتاب، وفي قول: أنه كان مفروضا على الناس كلهم، قال أبو جعفر: «وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنى الآية: يا أيها الذين ءامنوا فُرض عليكم الصيام كما فرض على الذين من قبلكم من أهل الكتاب، ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾

وأدلة فرض الصوم من السنة ما ثبت في الصحيحين: «عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رَسُول الله، و إقام الصلاة، و إيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»، متفق عليه». وللبخاري بلفظ: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله

وأن محمدا رسول الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان». ولمسلم بلفظ: «بني الإسلام على خمسة على أن يوحد الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة وصيام رمضان والحج، فقال رجل الحج وصيام رمضان قال لا صيام رمضان والحج هكذا سمعته من رسول الله ﷺ». وفي رواية لمسلم بلفظ: «بني الإسلام على خمس على أن يعبد الله ويكفر بما دونه و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان». ولمسلم: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان». ولمسلم بلفظ: "إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الإسلام بني على خمس شهادة أن لا إله إلا الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت»"

وفي هذا الحديث دليل صريح على فرض صوم شهر رمضان بلفظ: «وصوم رمضان»، الذي هو أهم أنواع الصيام في الإسلام، وهو أحد أركان الإسلام الخمسة، ويدل أيضا على هذا حديث: "عن طلحة بن عبيد الله أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ -ثائر الرأس- فقال يا رسول الله أخبرني ماذا فرض الله علي من الصلاة؟ فقال: «الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئا»، فقال: أخبرني ما فرض الله علي من الصيام؟ فقال: «شهر رمضان إلا أن تطوع شيئا»، فقال: أخبرني بما فرض الله علي من الزكاة؟ فقال: فأخبره رسول الله ﷺ شرائع الإسلام، قال: "والذي أكرمك لا أتطوع شيئا ولا أنقص مما فرض الله علي شيئا" فقال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق» أو: «دخل الجنة إن صدق»". وهذا الحديث يدل بوضوح على قاعدة مهمة من قواعد الإسلام وهي تحديد الفرائض التي فرضها

الله، وأن الصيام المفروض على المسلمين هو: صوم شهر رمضان، وما عداه من أنواع الصيام المشروع هو صوم تطوع دلت السنة النبوية على بيان أحكامه ومقاديره ومواقيته، ليكون صوم النفل تكميلا للفرض وجبرا لما قد يعرض له من خلل أو نقص في الأجر.

الحج

الحج شعيرة دينية

فرض الحج في السنة التاسعة للهجرة، ويجب على المسلم أن يحج مرة واحدة في عمره، فإذا حج المسلم بعد ذلك مرة أو مرات كان ذلك تطوعا منه، فقد روى أبو هريرة أن النبي محمدا قال: «يا أيها الناس، قد فرض عليكم الحج فحجوا.» فقال رجل من الصحابة: «أيجب الحج علينا كل عام مرة يا رسول الله؟» فسكت النبي، فأعاد الرجل سؤاله مرتين، فقال النبي: «لو قلت نعم لوجبت، وما استطعتم.» ثم قال: «ذروني ما تركتكم.»

شروط الحج خمسة:

الشرط الأول الإسلام بمعنى أنه لا يجوز لغير المسلمين أداء مناسك الحج؛ الشرط الثاني العقل فلا حج على مجنون حتى يشفى من مرضه؛ الشرط الثالث البلوغ فلا يجب الحج على الصبي حتى يحتلم؛ الشرط الرابع الحرية فلا يجب الحج على المملوك حتى يعتق؛ أما الشرط الخامس الاستطاعة بمعنى أن الحج يجب على كل شخص مسلم قادرومستطيع.

يؤمن المسلمون أن للحج منافع روحية كثيرة وفضل كبير، والطوائف الإسلامية المختلفة، من سنة وشيعة، تؤدي مناسك الحج بنفس الطريقة، ولكن يختلف الشيعة عن أهل السنة من ناحية استحباب زيارة قبور الأئمة المعصومين وفق المعتقد الشيعي، وأضرحة وقبور أهل البيت المعروفة، وبعض الصحابة الذين يُجِّلُّونَهم.

وردت عن النبي محمد العديد من الأحاديث النبوية التي تتحدث عن فضل أداء مناسك الحج وعن الثواب الذي يجنيه المسلم جراء أداء هذا الركن من أركان الإسلام، ومن أبرزهذه الأحاديث: ما ورد في سنن الترمذي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: أن رسول الله قال: « تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة» وما ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة أنه قال: "أن رسول الله سئل أي العمل أفضل؟ فقال: « إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: « الجهاد في سبيل الله». قيل: ثم ماذا؟ قال: « حج مبرور»". وما ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة أنه قال: سمعت رسول الله يقول: « من حج، فلم يرفث ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه». وما ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة أنه قال: أن رسول الله قال: « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة». وما ورد في سنن النسائي عن أبي هريرة أنه قال: أن رسول الله قال: « جهاد الكبير والضعيف والمرأة: الحج والعمرة». وما ورد في صحيح البخاري عن عائشة أنها قالت: قلت لرسول الله "يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال: « لكن أفضل من الجهاد حج مبرور».

وما ورد في صحيح مسلم عن عائشة أنها قالت: أن رسول الله قال: « ما من يوم أكثرمن أن يعتق الله فيه عبدا من النارمن يوم عرفة»

العمرة

العمرة – اسم من الاعتمار – وهي في اللغة القصد والزيارة. أما من حيث الاصطلاح الشرعي، فالعمرة هي زيارة المسجد الحرام في مكة لأداء مناسك خاصة، كالطواف، السعي والحلق. والعمرة مشروعة بأصل الإسلام،

حكمها

أما حكمها فذهب العلماء إلى قولين:

الأول يرى أنها واجب

وهو مذهب أحمد بن حنبل والشافعي، واستندوا في رأيهم على ما رواه أهل السنن عن أبي رزين العقيلي أنه أتى النبي محمد فقال: «إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة، فقال النبي: حج عن أبيك واعتمر»، وما ذكر في القرآن: {وَ أَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ...}،

الرأي الثاني فيرى أنها سنة

وهو مذهب مالك بن أنس و أبي حنيفة واستندوا في ذلك إلى ما رواه جابر بن عبد الله أن النبي محمد سئل عن العمرة: «أواجبة هي؟ قال: لا وأن تعتمر خير لك». فرضت العمرة في السنة التاسعة للهجرة، ويصح أداء العمرة طوال أيام السنة، بمعنى أنه لا وقت محدد لها باستثناء أيام الحج، والعمرة تختلف عن الحج؛ إذ

أن الحج ركن من أركان الإسلام وواجب على كل مسلم قادر، كما أن له وقت محدد لأداء مناسكه وهذا عكس العمرة. تبدأ مناسك العمرة بأن يقوم المعتمر بالإحرام من المواقيت المحددة، ثم التوجه إلى مكة ودخول المسجد الحرام، يقوم المعتمر بعد ذلك بأداء الطواف ثم السعي بين الصفا والمروة، وتنتهي المناسك بالحلق أوالتقصير.

أدلة العمرة من القرآن الكريم

سورة البقرة ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ١٩٦﴾ [البقرة:196]

أدلة فضل العمرة من السنة النبوية المطهرة

وردت عن النبي محمد ﷺ العديد من الأحاديث النبوية التي تتحدث عن فضل أداء مناسك العمرة، وعن الثواب الذي يجنيه المسلم جراء أداء هذا النسك، ومن أبرزهذه الأحاديث:

ما رواه أبوهريرة عن النبي محمد ﷺ أنه قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرورليس له جزاء إلا الجنة»، وما ورد في سنن ابن ماجه عن النبي محمد

أنه قال: «الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم».

وما رواه عبد الله بن عمر عن النبي محمد ﷺ أنه قال: «من طاف بالبيت، لم يرفع قدما ولم يضع أخرى إلا كتب الله له حسنة، وحط عنه بها خطيئة ورفع له بها درجة»

وما ورد في صحيح البخاري عن النبي محمد ﷺ أنه قال: «عمرة في رمضان تعدل حجة».

وما ورد في سنن الترمذي عن النبي محمد ﷺ أنه قال: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإن متابعة بينهما تنفي الذنوب بالمغفرة كما ينفي الكير خبث الحديد».

وما روته عائشة بنت أبي بكر عن النبي محمد أنه قال لها في عمرتها: «إن لك من الأجر على قدر نصبك ونفقتك».

أنواع العمرة

العمرة المفردة.

عمرة التمتع، وهي بمثابة الجزء من حجُ التَّمَتُّع.

الفرق بين العمرة المفردة وعمرة التمتع

في العمرة المفردة يخيّر الرجل بين حلق شعره وتقصيره، أما في عمرة التمتع فعليه أن يقصرّ ولا يجوز أن يحلق. العمرة المفردة تقع في أي يوم من السنة، وأما عمرة التمتع فيجب أن تكون في أشهر الحج (شوال، ذو القعدة، ذو الحجة) وتلحق بحج التمتع في نفس السنة. إحرام عمرة التمتع يجب أن يقع في أحد المو اقيت

البعيدة ولا يصح في أدنى الحل – وفي بعض الصور خلاف-. أما إحرام العمرة المفردة فيمكن إيقاعه في أدنى الحل.
المناسك

أركان العمرة

عند جمهور الفقهاء ثلاثة وهي: الإحرام والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة، وهو مذهب المالكية والحنابلة، وزاد الشافعية عليها ركنان هما: الحلق أو التقصير، والترتيب.
ومذهب الحنفية أن الإحرام شرط للعمرة، وركنها واحد هو الطواف.
قال الصاوي في حاشيته على الشرح الصغير: «(وأركان العمرة ثلاثة إحرام) من المو اقيت أو من الحل (وطواف) بالبيت سبعاً. (وسعي) بين الصفا والمروة سبعاً (على ما): أي على الوجه الذي (مرَّ) بيانه في الحج، سواء بسواء.... (ثم) بعد سعيه (يحلق) رأسه وجوباً».

شروط العمرة

ويشترط للعمرة ما يشترط للحج، وهو:
الإسلام.
البلوغ.
الحرية.

العقل.

الاستطاعة، ومن لم تتحقق له مجتمعه سقطا عنه، بل لو نقص شرط من هذه الشروط الخمسة سقط الفرضان.

وشرط آخر على المرأة وهو وجود المحرم معها.

واجبات العمرة

أما الواجبات فهي:

أولاً: كون الإحرام من الميقات إن كان الميقات بينه وبين مكة، أو الحل لمن كان في الحرم.

ثانياً: الحلق أو التقصير.

هذه هي واجبات العمرة، من ترك شيئاً منها يجب عليه دم.

مستحبات العمرة

أما الأمور المستحبة في العمرة فهي كثيرة، فمما يستحب قبل الإحرام ما يلي:

أولاً: تقليم الأظافر وحلق شعر العانة.

ثانياً: الاغتسال.

ثالثاً: التطيب في البدن.

ومما يستحب بعد الإحرام الآتي:

أولاً: التلبية ورفع الصوت بها بالنسبة للرجل.

ثانياً: قول: لبيك اللهم عمرة.

ومما يستحب في الطواف ما يلي:

أولاً: تقبيل الحجر الأسود ما لم يؤد إلى زحام.

ثانياً: الرمل: وهو الإسراع في المشي في الأشواط الثلاثة الأولى وهو في حق الرجال أيضا.

ثالثاً: الإكثار من الذكر والدعاء.

رابعاً: صلاة ركعتين بعده.

ومما يستحب في السعي:

أولاً: الصعود على الصفا وقول: نبدأ بما بدأ الله به.

ثانياً: الهرولة بين العلمين الأخضرين.

ثالثاً: الإكثار من الذكر.

بر الوالدين

إن بِرَّ الوالدين هو أقصى درجات الإحسان إليهما. فيدخل فيه جميع ما يجب من الرعاية والعناية، وقد أكد الله الأمر بإكرام الوالدين حتى قرن الله سبحانه وتعالى الأمر بالإحسان إليهما بعبادته التي هي توحيده والبراءة عن الشرك اهتماما به وتعظيما له.

من روائع الدين الاسلامي تمجيده للبر حتى صار يعرف به،

فحقا إن الإسلام دين البر الذي بلغ من شغفه به أن هون على أبنائه كل صعب في سبيل ارتقاء قمته العالية، صارت في رحابه أجسادهم كأنها في علو من الأرض وقلوبهم معلقة بالسماء وأعظم البر(بر الوالدين) الذي لو استغرق المؤمن عمره كله في تحصيله لكان أفضل من جهاد النفل يتكون هذا اللفظ من شقين فلنأخذ كل شق على الأَدِلّةُ الشّرعِية على بِرّ الوالِدَين

لقد حرص الإسلام على بر الوالدين وقرن طاعتهما بطاعة الله، بل وجعل إحسان المرء لوالديه من أعلى درجات الإحسان التي بها الأجر والسداد والتوفيق في الدنيا والآخرة، حتى وإن لم يكونا من المسلمين قد أكَّد الإسلام على بر الوالدين والإحسان إليهما في مواضعَ كثيرة في القرآن والسنة المطهرة.

لقد أوْلى الإسلام اهتماماً كبيراً ببر الوالدين فجعله أعظم و أفضل الأعمال بعد الصلاة المكتوبة، وفي هذا إشارة ولفتة على عظمتها ودورهما الكبير في حياة الفرد، فهما من أنجباه وتكفلاه بالحب والرعاية والتوجيه والإرشاد، وهما من علماه فكانا له خير قدوة ودليل، وهما من رافقاه في مسيرته الصغيرة حتى ولج إلى حياة الكبار رجلاً راشداً له دوره ومكانته وأهميته.

أَدِلّةُ بِرّ الوالِدَينِ في الْقُرْآن

في سورة البقرة﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُعْرِضُونَ)

في سورة الإسراء﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا٢٣﴾

في سورة النساء﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ٣٦﴾

في سورة لقمان﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ١٤﴾

في سورة الأحقاف﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ١٥﴾

في سورة العنكبوت﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ .)

أَدِلّةُ بِرّ الوالِدَينِ في السُّنةِ النَّبَويّة

وقال النبي محمد ﷺ : (من أرضى والديه فقد أرضى الله، ومن أسخط والديه فقد أسخط الله)

والجنة تحت أقدام الأمهات: جاء رجل إلى النبي يريد الجهاد، فأمره النبي ﷺ أن يرجع ويبر أمه، فأعاد الرجل رغبته في الجهاد، فأمره النبي أن يرجع ويبر أمه. وفي المرة الثالثة، قال له النبي: (ويحك! الزم رِجْلَهَا فثم الجنة)

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد، فقال ﷺ: (أحي والداك؟). قال: نعم. قال النبي: (ففيهما فجاهد) [مسلم]

و أقبل رجل على الرسول، فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد؛ أبتغي الأجر من الله، فقال ﷺ: (فهل من والديك أحد حي؟). قال: نعم. بل كلاهما. فقال النبي ﷺ: (فتبتغي الأجر من الله؟). فقال: نعم. قال النبي محمد ﷺ: (فارجع إلى والديك، فأَحْسِنْ صُحْبَتَهُما) [مسلم].

وبِرُّ الوالدين من أعظم أبواب الخير، وقد جاء ذلك في الحديث الذي سأل فيه عبد الله بن مسعود النبي قائلاً: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ : "الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا". قال: ثمَّ أيٌّ؟ قال: "ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ". قال: ثمَّ أيٌّ؟ قال: "الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ".

حُقوقُ الوالِدَينِ

إذا كان من الطبيعي أن يشكر الإنسان من يساعده ويقدم له يد المساعدة، فإن الوالدان هما أحق الناس بالشكر والتقدير، لكثرة ما قدما من عطاء وتفاني وحب لأولادهما دون انتظار مقابل، وأعظم سعادتهما أن يشاهدا أبناءهما في أحسن حال وأعظم مكانة. وهذه التضحيات العظيمة التي يقدمها الآباء لا بد أن يقابلها حقوق من الأبناء ومن هذه الحقوق التي وردت في القرآن الكريم:

1- الطاعة لهما وتلبية أوامرهما والإنفاق عليهما عند الحاجة.
2- التواضع لهما ومعاملتهما برفق ولين وتقديمهما في الكلام والمشي احتراماً لهما وإجلالاً لقدرهما.
3- خفض الصوت عند الحديث معهما وعدم إزعاجهما ان كانا نائمين.
4- استعمال أعذب الكلمات وأجملها عند الحديث معهما .
5- إحسان التعامل معهما وهما في مرحلة الشيخوخة وعدم إظهار الضيق من طلباتهما ولو كانت كثيرة ومتكررة .
6- الدعاء لهما بالرحمة والغفران وعدم مجادلتهما والكذب عليهما.
7- اختصاص الأم بمزيد من البر لحاجتها وضعفها وسهرها وتعبها في الحمل والولادة والرضاعة. والبر يكون بمعنى حسن الصحبة والعشرة وبمعنى الطاعة والصلة
8- شكرهما الذي جاء مقروناً بشكر الله والدعاء لهما لقوله تعالى: في سورة الإسراء﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا
وأن يؤثرهما على رضا نفسه وزوجته وأولاده.
9- الإحسان إليهما وتقديم أمرهما وطلبهما، ومجاهدة النفس برضاهما حتى وإن كانا غير مسلمين لقوله تعالى: في سورة لقمان﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَ اتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٥﴾

تربية الأبناء

إن تربية الأبناء وتأديبهم بآداب الشرع من آكد المهمات التي ينبغي تعاون الأسر والمجتمع عليها، ومن تعاونهم عليها أن يتعاونوا على تكوين علماء ربانيين تربويين ناجحين تتوفر فيهم أخلاق العلماء، وشفقة المربين، ورفقهم حتى يربوا النشء بأخلاقهم، ويرفقوا بهم، ويقوموا لهم بواجب الهداية والإرشاد والنصح والتعليم والتوجيه بالحكمة والصبر، فقد قال الإمام البخاري: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كُونُوا رَبَّانِيِّينَ
حُلَمَاءَ فُقَهَاءَ، وَيُقَالُ: الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ العِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ.

وقال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري: والربّاني: هو المنسوب إلى من كان بالصفة التي وصفتُ، وكان العالم بالفقه والحكمة من المصلحين، يَرُبّ أمورَ الناس، بتعليمه إياهم الخيرَ، ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم، وكان كذلك الحكيمُ التقيُّ لله، والوالي الذي يلي أمور الناس على المنهاج الذي وَليه المقسطون من المصْلحين أمورَ الخلق، بالقيام فيهم بما فيه صلاحُ عاجلهم وآجلهم، وعائدةُ النفع عليهم في دينهم ودنياهم، كانوا جميعًا يستحقون أن يكونوا ممن دَخل في قوله عز وجل: ولكن كونوا ربانيين... فالربانيون إذًا، هم عمادُ الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا.

وقال الإمامُ ابن القيم رحمه الله: ومعنى الرَّبانيِّ في اللغة: الرَّفيع الدرجة في العلم، العالي المنزلة فيه... قال ابن عباس: حكماء فقهاء، وقال أبو رزين: فقهاء علماء، وقال أبو عمر الزاهد: سألتُ ثعلبا عن هذا الحرف وهو الرباني، فقال: سألتُ ابن

الأعرابي، فقال: إذا كان الرجل عالما عاملا معلما قيل له هذا رباني، فإن خرم عن خصلة منها لم نقل له رباني.

وذكر الذهبي في السير عن عبد الله بن وهب قال: ما نقلنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه.

وقال النووي رحمه الله: وينبغي للمعلم أن يشفق على الطالب ويعتني بمصالحه كاعتنائه بمصالح ولده ومصالح نفسه، ويجري المتعلم مجرى ولده في الشفقة عليه والصبر على جفائه وسوء أدبه، ويعذره في قلة أدبه في بعض الأحيان، فإن الإنسان معرض للنقائص لا سيما إن كان صغير السن.

وأما عن الأبوين: فعليهما تحمل مسؤولية تربية الأبناء على الدين، ووقايتهم من النار، وأن يهتما بتعليمهم العقيدة الصحيحة، والأحكام الشرعية، والآداب الإسلامية التي يحتاجونها لينشئوا نشأة إسلامية، فقد قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً {التحريم: 6}. قال علي في تفسيرها: علموهم وأدبوهم.

وقال تعالى: وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين. رواه مسلم والترمذي، واللفظ للترمذي. قال النووي في شرح عال: قام بالمؤنة والتربية.

وقد حث الشرع على تربية الأولاد، وحضهم من الصغر على تطبيق تعاليمه السمحة، لأن التعليم في الصغر أرسخ، ولهذا قالوا: التعليم في الصغر كالنقش في الحجر.
وقال الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منا ** **على ما كان عوّده أبوه

فينبغي أن يربى الطفل من صغره بالحلال تربية جسمية وعقلية، فإذا عقل الخطاب ربي تربية تعبدية، فحدث عن الله وعن رسوله وعن الإسلام، وعود على الأذكار والتعوذات والأدعية المأثورة وعلى الأخلاق الفاضلة، وبدئ بتعليمه القرآن والسنة وما يحتاج له من أمور الدين، فإذا وصل السابعة أمر بالصلاة ورغب فيها وضرب عليها عند العاشرة، فعن جندب بن عبد الله قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا.
وروى الإمام أحمد و أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع.
ثم إنه لابد من تعليمه ما يحتاج له من علوم الوسائل المساعدة على فهم نصوص الوحي، ويتعين النظر في سلامة بيئته وصحبته من الشرور، فلا يسمح له بصحبة الأشرار، ولا بالذهاب لأوكار الفساد، بل يعوض عن ذلك بصحبة من يساعده على مهمته، فيربط بالمسجد وطلاب العلم ومجالس الخير، ثم يزوج إذا

بلغ بذات الدين التي تعينه على أمر دينه وآخرته، ثم يعلم ويعان على طريقة كسب حلال يعف ويعول بها نفسه وأهله، وعلى خدمة مجتمعه بما ينفع من أمر الدين والدنيا، وليستعن في ذلك بمدارسة سيرة النبي ﷺ.

صلة الرحم

صلة الرحم مفهوم أساسي نص عليه الدين الإسلامي، والمقصود منه عدم القطيعة بين الأقارب، والحث على زيارتهم. ويعرف بعض الفقهاء الصلة: بالوصل، وهو ضد القطع، ويكون الوصل بالمعاملة نحو السلام، وطلاقة الوجه، والبشاشة، والزيارة، وبالمال، ونحوها. والرحم في الإسلام اسم شامل لكافة الأقارب من غير تفريق بين المحارم أو الأرحام وغيرهم، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى قصر الرحم على المحارم، بل ومنهم من قصرها على الوارثين منهم وهذا هو مذهب أبي حنيفة ورواية عن أحمد، والراجح الأول.

معنى صلة الرحم

الأرحام تعني الأقارب ذوات الرحم الواحدة لكونهم خرجوا من رحم واحد رحم الأم، بوصف القرآن الكريم، ذكر القرآن:«وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ»، وكانت العرب في الجاهلية تقول: أسالك الله والرحم. قال الراغب الأصفهاني :

صلة الرحم الرحم: رحم المرأة، ومنه استعير الرحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة صلة الرحم

واستحب الإسلام في الفضل تقديم الأرحام على غيرهم لقوله تعالى «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ».

صلة الرحم في القرآن الكريم

قوله تعالى: «وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَساءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحامَ».
وقوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ».
وقوله تعالى: «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ• أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمى أَبْصارَهُمْ».
وقوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ».

صلة الرحم في السنة النبوية

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه»
عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من سره أن يمد له في عمره، ويوسع له في رزقه، ويدفع عنه ميتة السوء، فليتق الله وليصل رحمه.»
عن عائشة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «الرحم متعلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله .»

عن النبي ﷺ أنه قال: «يأيها الناس أفشوا السلام أطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»

عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها.»

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: «يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيؤون إليّ، وأحلم عليهم ويجهلون عليّ فقال ﷺ: إن كنت كما قلت فكأنما تُسِفهّم المَلّ ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك.»

عن أبي بكر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه بالعقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم.»

حكم صلة الرحم

صلة الرحم واجبة في الجملة، وقطيعتها معصية من كبائر الذنوب، وقد نقل الاتفاق على وجوب صلة الرحم وتحريم القطيعة القرطبي والقاضي عياض وغيرهما.

من تجب صلتهم

اختلف العلماء في حدّ الرحم التي يجب وصلها إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن حد الرحم هو: الرحِم المَحرَم .
والقول الثاني: أنهم الرحم من ذوي الميراث.
والقول الثالث: أنهم الأقارب من النسب سواء كانوا يرثون أم لا.

فضل صلة الأرحام :

1- صلة الرحم من الإيمان :
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت " رواه البخاري.
أمور ثلاثة تحقق التعاون والمحبة بين الناس وهي : إكرام الضيف وصلة الرحم والكلمة الطيبة. وقد ربط الرسول ﷺ هذه الأمور بالإيمان فالذي يؤمن بالله واليوم الآخر لا يقطع رحمه ، وصلة الرحم علامة على الإيمان.
2- صلة الرحم سبب للبركة في الرزق والعمر:
كل الناس يحبون أن يوسع لهم في الرزق ، ويؤخر لهم في آجالهم لأن حب التملك وحب البقاء غريزتان من الغرائز الثابتة في نفس الإنسان ، فمن أراد ذلك فعليه بصلة أرحامه .
عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :
" من أحب أن يبسط له في رزقه ، وينسأ له في أثره ، فليصل رحمه " . رواه البخاري.

وعن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:" من سره أن يمد له في عمره ، ويوسع له في رزقه ، ويدفع عنه ميتة السوء ، فليتق الله وليصل رحمه " . رواه البزار والحاكم.

3- صلة الرحم سبب لصلة الله تعالى وإكرامه :

عن عائشة رضي الله عنها ، عن النبي ﷺ أنه قال :" الرحم متعلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله " . رواه مسلم.

وقد استجاب الله الكريم سبحانه ، لها فمن وصل أرحامه وصله الله بالخيروالإحسان ومن قطع رحمه تعرض إلى قطع الله إياه ، وإنه لأمر تنخلع له القلوب أن يقطع جبار السموات والأرض عبدا ضعيفا فقيرا .

صلة الرحم من أسباب دخول الجنة :

فعن النبي ﷺ أنه قال : " يأيها الناس أفشوا السلام أطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام " رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

الصلة الحقيقية أن تصل من قطعك :

المرء إذا زاره قريبه فرد له زيارته ليس بالواصل ، لأنه يكافئ الزيارة بمثلها ، وكذلك إذا ساعده في أمروسعى له في شأن ، أوقضى له حاجه فرد له ذلك بمثله لم يكن واصلا بل هو مكافئ ، فالواصل حقا هو الذي يصل من يقطعه ، ويزورمن يجفوه ويحسن إلى من أساء إليه من هؤلاء الأقارب .

عن عبدالله بن عمرورضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " ليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها ". رواه البخاري .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني ، وأحسن إليهم ويسيؤون إلي ، وأحلم عليهم ويجهلون علي فقال ﷺ : "إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك " . رواه مسلم .

الرفق

عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال:
"من أعطي حظه من الرفق، فقد أعطي حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق، فقد حرم حظه من الخير".
لا تكاد ساحة من ساحات الإسلام إلا وللرفق فيها النصيب الأكبر والحظ الأوفر، سواء على مستوى التشريع الفقهي أو في جانب العلاقات الاجتماعية أو في المعاملة حتى مع الخصوم والأعداء أو في غيرها من المواطن، هذا فضلا عن أنه تعالى عرف نفسه لعباده بأنه الرفيق الذي يحب الرفق، وكان رسوله -ﷺ- نبراسا في هذا الشأن ما لم تنتهك حرمة من حرمات الله.
كل هذا الارتباط الوثيق بين الإسلام والرفق جعل منه بحق دين الرحمة والسماحة مهما تعسف المغرضون في وصمه بالعنف والإرهاب.
إن الرفق ضد العنف وهو لين الجانب واللطف في أخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها، قال تعالى: { فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين }
فالناس في حاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة وإلى بشاشة سمحة وإلى ود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم .. في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه ويجدون عنده

دائما الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء ...وهكذا كان قلب رسول الله -ﷺ- وهكذا كانت حياته مع الناس.

وقال عزوجل: { واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين } (الشعراء:21) (فهو اللين والتواضع والرفق في صورة حسية مجسمة، صورة خفض الجناح كما يخفض الطائر جناحيه حين يهم بالهبوط وكذلك كان رسول الله -ﷺ- مع المؤمنين طوال حياته).

وقال أيضا: { وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما }(الفرقان:63) الهون: مصدر الهين وهو من السكينة والوقار، أي: يمشون حلماء متواضعين، وقيل لا يتكبرون على الناس.

وقوله -ﷺ- في هذا الحديث: " من أعطي حظه من الرفق " أي نصيبه منه، " فقد أعطي حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير" إذ به تنال المطالب الأخروية والدنيوية وبفوته يفوتان،

وقال في اللمعات:

يعني أن نصيب الرجل من الخير على قدر نصيبه من الرفق، وحرمانه منه على قدرحرمانه منه، ولهذا قال نسطورلما بعث صاحبيه ليدعوا الملك إلى دين عيسى وأمرهما بالرفق فخالفا وأغلظا عليه فحبسهما وآذاهما فقال لهما نسطور: مثلكما كالمرأة التي لم تلد قط فولدت بعد ما كبرت فأحبت أن تعجل شبابه لتنتفع به فحملت على معدته ما لا يطيق فقتلته .

والنصوص النبوية عديدة ومتنوعة في تأكيد هذا المعنى، فقد قال -ﷺ-: "من يحرم الرفق يحرم الخيركله ". وفيه فضل الرفق وشرفه، ومن ثم قيل: الرفق في الأموركالمسك في العطور.

وقال -ﷺ-: " إن الله تعالى يحب الرفق في الأمر كله ". أي لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل والدفع بالأخف وقوله (في الأمر كله) في أمر الدين وأمر الدنيا، حتى في معاملة المرء نفسه، ويتأكد ذلك في معاشرة من لا بد للإنسان من معاشرته كزوجته وخادمه وولده، فالرفق محبوب مطلوب مرغوب، وكل ما في الرفق من الخير ففي العنف مثله من الشر.

وقال -ﷺ-: "إن الله رفيق يحب الرفق ويرضاه ويعين عليه ما لا يعين على العنف".

وقال: " إن الله تعالى رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف ". فقوله: (إن تعالى الله رفيق) أي لطيف بعباده يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، فيكلفهم فوق طاقتهم، بل يسامحهم ويلطف بهم (يحب الرفق) لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، أي يحب أن يرفق بعضكم ببعض (ويعطي عليه) في الدنيا من الثناء الجميل ونيل المطالب وتسهيل المقاصد وفي العقبى من الثواب الجزيل (مالا يعطي على العنف) وكل ما في الرفق من الخير ففي العنف من الشر مثله . وقد نبه به على وطاءة الأخلاق وحسن المعاملة وكمال المجاملة ووصف الله سبحانه وتعالى بالرفق إرشادا وحثا لنا على تحري الرفق في كل أمر.

وقال -ﷺ- لعائشة -رضي الله عنها-: " عليك بالرفق إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه "

العدل

العدل من القيم الجليلة والأخلاق النبيلة، ويعرّف في اللغة والاصطلاح الشرعي بما يأتي: العدل في اللغة يعني التساوي وعدم والتمييز، ويُقال: عدلته حتى اعتدل: أي "أَيْ أَقَمْتُهُ حَتَّى اسْتَقَامَ وَاسْتَوَى"، وهو ضدّ الظلم والجور

العدل في الاصطلاح الشرعي هو إعطاء كل صاحب حقٍ حقّه؛ دون إفراطٍ ولا تفريط،[٢] وهو وضع الشيء في الموضع الذي أمر الله -تعالى- به أن يوضع، لأنّه -سبحانه- يعلم بما يصلح الكون وما يُناسب كل أحد فيه،

ولأهميّة العدل فقد بعث الله -سبحانه الرسل لإقامة القسط بين الناس؛ أي العدل، قال -تبارك وتعالى-: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ أَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ).

مجالات العدل في الإسلام إنّ العدل واجبٌ في مختلف مجالات الحياة؛ سواء في الحياة الأسرية، أم في الجانب القضائي، والمجتمعي، والاقتصادي، والسياسي، وغير ذلك، ويقسّم من حيث اعتبار الزمان والمكان إلى عدل دنيويّ وأخرويّ، فالعدل في الدنيا مطالبٌ به كل إنسان، ويجب عليه القيام به مع نفسه ومع غيره، أما العدل في الآخرة فهو لله -عز وجل- الكامل في أوصافه.[٥] حيث يُجازى كلّ ظالمٍ وجائر ويحاسب على أفعاله، وفي ذلك يقول الله -سبحانه-: (وَنَضَعُ المَوازينَ القِسطَ لِيَومِ القِيامَةِ فَلا تُظلَمُ نَفسٌ شَيئًا وَإِن كانَ مِثقالَ حَبَّةٍ مِن خَردَلٍ أَتَينا بِها وَكَفى بِنا حاسِبينَ)،

ومن الأمثلة على العدل ما يأتي:

العدل بين الأبناء ويدلّ على ذلك حديث النعمان بن بشير-رضي الله عنه-، حيث وهبه والده بعض ماله، فلم ترضَ أمّه ذلك إلا إذا أشهد والده رسول الله -ﷺ-، فذهب والد بشير وأخبر النبي بما فعل، فقال -ﷺ-: (أَفَعَلْتَ هذا بوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟ قالَ: لَا، قالَ: اتَّقُوا اللَّهَ، وَاعْدِلُوا في أَوْلَادِكُمْ، فَرَجَعَ أَبِي، فَرَدَّ تِلكَ الصَّدَقَةَ).

العدل في القضاء بين المتخاصمين على القاضي أن يعدل بين المتخاصمين في الخطاب وفي السماع وغيره،

ومَن عدل بين الناس وترفّع عن ظلمهم؛ رفعه الله -تعالى- على منابر من نور يوم القيامة.

العدل المجتمعي بحيث يعدل الحاكم مع المحكوم؛ فيعدل السلطان في رعيّته، ويعدل المدير بين الموظّفين عنده، ويعدل الإنسان مع مَن هو أعلى منه، فيُخلص له الطاعة، كما يعدل مع مَن يُساويه، ومع الأضعف منه؛ فلا يجعل ضعفه وسيلة لظلمه و إيذائه.

العدل في القرآن الكريم والسنة النبوية مما لا شكّ فيه أنّ العدل أمرٌ ضروري لتستقيم حياة الناس ويُبثّ الأمن في الأوطان والمجتمعات، ولأهمّيته العظيمة أمرت به النصوص القرآنية الكريمة في كثير من المواطن، وأمر به رسول الله -ﷺ- في العديد من الأحاديث النبوية الشريفة، ومن ذلك ما يأتي: قوله -تعالى-: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).

قال -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

قال رسول الله -ﷺ-: (إِنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ علَى مَنابِرَ مِن نُورٍ، عن يَمِينِ الرَّحْمَنِ عزَّوجلَّ، وكِلْتا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وأَهْلِيهِمْ وما ولوا).

قال رسول الله -ﷺ- فيما يرويه عن ربه -تبارك وتعالى-: (يا عِبَادِي إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظَالَمُوا).

الإصلاح بين الناس

الإصلاح بين الناس أفضل من الاشتغال بنوافل العبادات، لما فيه من نشر للحب والمودة بين الناس، مما يؤدي إلى سعادة الأفراد، وقوة وترابط المجتمع، ولا شك أن الصلح خير من الشقاق، والصلة أفضل من القطيعة، والحب أولى من الكراهية، عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة، قالوا: بلى. قال: صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة) وفي رواية: (لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين) رواه الترمذي وصححه الألباني. وإصلاح ذات البين: إزالة أسباب الخصام والنزاع، بالتسامح والعفو، أو بالتراضي، قال الطيبي: "في الحديث حث وترغيب في إصلاح ذات البين واجتناب الإفساد فيها، لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله وعدم التفرق بين المسلمين، وفساد ذات البين ثلمة في الدين، فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها، نال درجة فوق ما يناله الصائم القائم المشتغل بخاصة نفسه".

لما علم النبي ﷺ أن بعض أصحابه من أهل قباء اختلفوا ذهب للإصلاح بينهم، فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: (أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقال: اذهبوا بنا نصلح بينهم) رواه البخاري. قال ابن حجر في "فتح الباري": "في هذا الحديث فضل الإصلاح بين الناس وجمع كلمة القبيلة وحسم مادة القطيعة، وتوجه الإمام بنفسه إلى بعض رعيته لذلك، وفيه تقديم مثل ذلك على مصلحة الإمامة بنفسه". وقال ابن

بطال: "فيه: ما كان عليه النبي ﷺ من التواضع والخضوع والحرص على قطع الخلاف وحسم دواعي الفرقة عن أمته كما وصفه الله تعالى".

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه: (أن زوج بريرة عبد أسود يقال له مغيث، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي ﷺ لعباس: (يا عباس، ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثا؟! فقال النبي ﷺ: لو راجعته، قالت: يا رسول الله تأمرني؟ قال: إنما أنا أشفع..) رواه البخاري. قال ابن حجر: "(إنما أنا أشفع) أي: أقول ذلك على سبيل الشفاعة له لا على سبيل الحتم عليك"، وقال ابن بطال: "قال الطبرى: فيه من الفقه جواز استشفاع العالم والخليفة فى الحوائج والرغبة إلى أهلها فى الإسعاف لسائلها، وأن ذلك من مكارم الأخلاق، وقد قال النبى ﷺ: (اشفعوا تؤجروا)".

جواز الكذب للإصلاح بين المتخاصمين :

لأهمية الإصلاح بين الناس، أجاز النبي ﷺ الكذب للإصلاح بين المتخاصمين، كأن يذكر الذي يصلح على لسان أحد المتخاصمين مدحا لخصمه وثناء عليه، من غير أن يكون هذا قوله حقيقة، فعن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: (ليس بالكاذب من أصلح بين الناس، فقال خيرا، أو نمى خيرا) رواه البخاري. قال ابن العربي: "الكذب في هذا وأمثاله جائز بالنص رفقا بالمسلمين لحاجتهم إليه". وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: (لا يحل الكذب إلا في ثلاث: يحدث الرجل امرأته (زوجته) ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس) رواه الترمذي وصححه الألباني. والمقصود بالكذب بين الزوجين: الكذب في إظهار الود والمحبة لغرض دوام الألفة واستقرار الأسرة،

وليس المراد بالكذب ما يؤدي إلى أكل الحقوق، أو الفرار من الواجبات ونحو ذلك، قال النووي: "وأما كذبه لزوجته وكذبها له فالمراد به في إظهار الود والوعد بما لا يلزم ونحو ذلك، فأما المخادعة في منع ما عليه أو عليها، أو أخذ ما ليس له أو لها فهو حرام بإجماع المسلمين والله أعلم".

الإصلاح بين الناس من أخلاق وشمائل نبينا ﷺ التي حثنا عليها بقوله وفعله، لما فيه من إصلاح للفراد والمجتمع، فهنيئا ثم هنيئا لمن أجرى الله الخير على يديه، فجعله سببا للإصلاح بين المتخاصمين، فقد قال ﷺ: (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة، قالوا: بلى، قال: صلاح ذات البين). وقال ﷺ: (إن من الناس ناسا مفاتيح للخير، مغاليق للشر، وإن من الناس ناسا مفاتيح للشر، مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه) رواه ابن ماجه وحسنه الألباني.

التعاون

التعاون، بحسب علم الاجتماع، هو آلية تقوم بها المجموعة من المتعضيات تعمل معاً بدافع المنفعة المشتركة. وهو بعكس التنافس الذي تكون فيه المنفعة الشخصية هي الدافع. ويكون التعاون بين متعضيات أصناف نفسها أو مع أصناف أخرى. مثلا، النحلة تتعاون مع الزهرة لصنع العسل ولتخصيب الزهرات

وفي اللغة: العون هو الظَّهير على الأمر، وأعانه على الشَّيء: ساعده، واستعان فلانٌ فلانًا وبه: طلب منه العون. وتعاون القوم: أعان بعضهم بعضًا. والمعْوانُ: الحَسَن المعُونة للنَّاس، أو كثيرها.

التعاون الإنساني

التعاون في الإسلام

التَّعاون في الاصطلاح هو: (المساعدة على الحقِّ ابتغاء الأجر مِن الله سبحانه).

ولقد جاءت نصوص الشَّريعة بالخطاب الجماعي، فقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) وردت (89) مرَّة، وقوله: (أَيُّهَا النَّاسُ) عشرين مرَّة، وقوله: (بَنِي آدَمَ) خمس مرَّات، دلالة على أهمية الاجتماع والتَّعاون والتَّكامل.

في القرآن

وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالتعاون وحثهم على ذلك، فقال:{ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَ اتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}

قال ابن كثير في تفسيره: (يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات، وهو البرُّ، وترك المنكرات وهو التَّقوى، وينهاهم عن التَّناصر على الباطل، والتَّعاون على المآثم والمحارم).

وقال القرطبي: (هو أمرٌ لجميع الخَلْق بالتَّعاون على البرِّ والتَّقوى، أي ليُعن بعضكم بعضًا، وتحاثُّوا على ما أمر الله تعالى واعملوا به، و انتهوا عمَّا نهى الله عنه وامتنعوا منه، وهذا مو افقٌ لما رُوِي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: (الدَّالُّ على الخير كفاعله)... وقال الماورديُّ: ندب الله سبحانه إلى التَّعاون بالبرِّ، وقرنه بالتَّقوى له؛ لأنَّ في التَّقوى رضا الله تعالى، وفي البرِّرضا النَّاس، ومَن جمع بين رضا الله تعالى ورضا النَّاس فقد تمَّت سعادته، وعمَّت نعمته).

في السنة

وقد حثَّ النَّبيُّ ﷺ على التَّعاون ودعا إليه، فقال: (مَن كان معه فضل ظهر، فليعد به على مَن لا ظهر له، ومَن كان له فضلٌ مِن زاد فليعد به على مَن لا زاد له).

- وشبَّه المؤمنين في اتِّحادهم وتعاونهم بالجسد الواحد، فقال: (مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمَّى).

- وقال ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا). يقول ابن الجوزي عن هذا الحديث: (ظاهره الإخبار، ومعناه الأمر، وهو تحريضٌ على التَّعاون) - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَن نفَّس عن مؤمن كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيا نفَّس الله عنه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يوم القيامة، ومَن يسَّر على معسر، يسَّر الله عليه في الدُّنْيا والآخرة، ومَن ستر مسلمًا ستره الله في الدُّنْيا والآخرة. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه...).

قال ابن دقيق العيد: (هذا الحديث عظيم جامع لأنواعٍ مِن العلوم والقواعد والآداب، فيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما يتيسَّر مِن عِلْم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة أو غير ذلك). وقال ابن حجر (في الحديث حضٌّ على التَّعاون وحسن التَّعاشر والألفة).

- وقال ﷺ: (يد الله مع الجماعة).

- وحثَّ على معونة الخدم ومساعدتهم، فقال: (ولا تكلِّفوهم ما يغلبهم، فإن كلَّفتموهم فأعينوهم).

_(قال ابن خويز منداد في أحكامه: والتَّعاون على البِرِّ والتَّقوى يكون بوجوهٍ، فواجبٌ على العالم أن يعين النَّاس بعلمه فيعلِّمهم، ويعينهم الغني بماله، والشُّجاع بشجاعته في سبيل الله، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة (المؤمنون تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمَّتهم أدناهم وهم يدٌ على مَن سواهم). ويجب الإعراض عن المتعدِّي وترك النُّصرة له، وردُّه عمَّا هو عليه).

التعاون في خُلق النبي ﷺ

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: (كان النَّبيُّ ﷺ ينقل التُّراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو أغبر بطنه...).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النَّبيُّ ﷺ يكون في مَهْنة أهله، فإذا حضرت الصَّلاة قام إلى الصَّلاة).

وقد كان النَّبيُّ ﷺ يسعى لقضاء حوائج المسلمين، ويحبُّ إعانتهم، والوقوف معهم فيما يلمُّ بهم مِن نوازل، وكان مجبولًا على ذلك مِن صغره وقبل بعثته، وقد بيَّنت ذلك أمُّنا خديجة رضي الله عنها عندما كانت تخفِّف مِن روع النَّبيِّ ﷺ عند عودته مِن غار حراء بعد نزول الوحي عليه، وكان فزعًا، فقالت له: (كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنَّك لتصل الرَّحم، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضَّيف، وتعين على نوائب الحقِّ).

أنواع التعاون

ينقسم التَّعاون إلى نوعين:

1- تعاون على البرِّ والتَّقوى.

2- تعاون على الإثم والعدوان.

قال ابن تيمية: (فإنَّ التَّعاون نوعان: الأوَّل: تعاونٌ على البرِّ والتَّقوى: مِن الجهاد و إقامة الحدود، واستيفاء الحقوق، وإعطاء المستحقِّين؛ فهذا ممَّا أمر الله به ورسوله. ومَن أمسك عنه خشية أن يكون مِن أعوان الظَّلمة فقد ترك فرضًا على

الأعيان، أو على الكفاية متوهِّمًا أنَّه متورِّعٌ. وما أكثر ما يشتبه الجبن والفشل بالورع؛ إذ كلٌّ منهما كفٌّ وإمساكٌ.

والثَّاني: تعاونٌ على الإثم والعدوان، كالإعانة على دمٍ معصومٍ، أو أخذ مالٍ معصومٍ، أو ضرب مَن لا يستحقُّ الضَّرب، ونحو ذلك؛ فهذا الذي حرَّمه الله ورسوله. نعم، إذا كانت الأموال قد أُخِذَت بغير حقٍّ، وقد تعذَّر ردُّها إلى أصحابها، ككثيرٍ مِن الأموال السُّلطانيَّة؛ فالإعانة على صرف هذه الأموال في مصالح المسلمين كسداد الثُّغور، ونفقة المقاتلة، ونحو ذلك: مِن الإعانة على البرِّ والتَّقوى).

ميادين التعاون

(هذا بعض البسط لصورٍ مِن التَّعاون في أحكام الإسلام وآدابه، وإذا استجلاها رجل الدَّعوة عرف ضرورة التَّعاون وحاجته إليه في ميدانه ومجاله.

فالصَّلوات الخمس جماعة وجمعة، وصلاة العيدين وآدابهما، والحج بشعائره، وعقد النكاح بوليمته وآدابه، وعقيقة المولود، وإجابة الدَّعوى حتى للصَّائم، كلُّها مناشط عباديَّة اجتماعيَّة تعاونيَّة، ولا تكون صورتها الشَّرعية إلَّا كذلك.

وينضمُّ إلى اجتماع الأعياد اجتماع الشدائد والكرب في صلوات الاستسقاء والكسوف والجنازة. إنَّه انتظام عجيب بين أهل الإسلام في مواطن السُّرور والحزن، ناهيك بصورة الأخوَّة، ومبدأ الشُّورى، وحقوق المسلمين فيما بينهم؛ في القربى والجوار والضَّيف و ابن السَّبيل واليتامى والمساكين، مع ما يحيط بذلك مِن سياج الآداب الاجتماعيَّة؛ مِن إفشاء السَّلام، وفسح المجالس...

أمَّا أنواع المعاملات والتَّعاملات فذلك جليٌّ في عقود المضاربة والعارية والهبة والمهاداة وفرض الدِّية على العاقلة.

وثمَّة صورٌ مِن المعاونات في كفِّ الظُّلم، ونصرة المظلوم، ودفع الصَّائل بسلاح أو مال. بل هل يقوم الجهاد، وتُقام الحدود، وتُستوفى الحقوق، ويقوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلَّا بالتَّعاون والتآزر.

وهناك التَّعاون بالرَّأي، بما يدلُّ على الحقِّ، ويخرج مِن الحيرة، وينقذ مِن المأزق والهلكة، في النَّصيحة والمشاورة، وقد يكون تعاونًا بالجاه؛ مِن الشَّفاعة لذي الحاجة عند من يملك قضاءها...

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأعمال العظيمة التي جعل الله أجرها كبيرًا؛ فالدعوة إلى الله هي رسالة الأنبياء، ويحمل تلك الرسالة قوم قد اختاروا أن يكون منهج حياتهم هو منهج الأنبياء، فيعلمون الناس دينهم ويقودونهم نحو رضا الله، وقد أمرنا الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كتابه مرات عديدة: قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 71]، وقال جل جلاله: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 112]، وقال جل وعلا في سورة الحج: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: 41]، وفي سورة لقمان قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: 17]، وفي سورة آل عمران قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104]، وقال أيضًا: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ وفيها كذلك: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ

وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوْهُ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾

لقد أمرنا الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كتابه مرات عديدة: قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 71]، وقال جل جلاله: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 112]، وقال جل وعلا في سورة الحج: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: 41]، وفي سورة لقمان قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [القمان: 17]، وفي سورة آل عمران قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104]، وقال أيضًا: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: 110]، وفيها كذلك: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوْهُ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾

فمجتمعنا كالسفينة يوشك أن يغرق بأيدي المفسدين لولا ما يقوم به المصلحون،فإن أعرض المصلحون عن دورهم هلكوا مع المفسدين؛ لأنهم لم

يقوموا بدورهم، ففي الحديث الصحيح عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:"مثل القائم في حدود الله والو اقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا"؛ رواه البخاري والترمذي، وفي الحديث الصحيح عن زينب بنت جحش رضي الله عنهاأن النبي ﷺ دخل عليها فزعًا يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلَّق بين أصبعيه الإبهام والتي تليها، فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبثُ"؛ رواه البخاري ومسلم، وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:"والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أوليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابًا منه، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم"؛ رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.

وقد حضنا رسول الله ﷺ على إنكار المنكر خاصة:

ففي الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"؛ رواه مسلم، ورواه النسائي ولفظه الصحيح أيضًا: أن رسول الله ﷺ قال: "من رأى منكم منكرًا فغيره بيده فقد برئ، ومن لم يستطع أن يغيره بيده فغيره بلسانه فقد برئ، ومن لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برئ، وذلك أضعف الإيمان".

وقد حذرنا رسول الله ﷺ من عاقبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي، يقدرون على أن يغيروا عليه ولا يغيرون، إلا أصابهم الله منه بعقاب قبل أن يموتوا"؛ رواه أبو داود، وفي الحديث الصحيح عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: "يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: 105]، و إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده"؛ رواه أبو داود والترمذي، وقال حديث حسن صحيح، ولفظ النسائي: "إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن القوم إذا رأوا المنكر فلم يغيروه، عمَّهم الله بعقاب"، وفي رواية لأبي داود سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيروا، إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب". وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "دخل علي النبي ﷺ فعرفت في وجهه أن قد حضره شيء، فتوضأ وما كلم أحدًا، فلصقت بالحجرة أستمع ما يقول، فقعد على المنبر فحمد الله و أثنى عليه، وقال:يا أيها الناس إن الله يقول لكم: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم، وتسألوني فلا أعطيكم، وتستنصروني فلا أنصركم، فما زاد عليهن حتى نزل"؛رواه ابن ماجه و ابن حبان في صحيحه.

وأما من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ثم يأتيه فقد شددت له العقوبة:

فعلى قدر ما عظم قدر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعظم خطر من يفعل عكس ذلك، فقد شُدِّد العقاب على من يخالف قوله فعله، ففي الحديث

الصحيح عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه، فيدور بها كما يدور الحمار برحاه، فتجتمع أهل النار عليه فيقولون: يا فلان ما شأنك ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن الشر وآتيه"،وفي الحديث الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:"رأيت ليلة أسري بي رجالًا تقرض شفاههم بمقاريض من النار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون"؛ رواه ابن أبي الدنيا، وعن أبي تميمة عن جندب بن عبد الله الأزدي صاحب رسول الله ﷺ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه، كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه"؛ الحديث رواه الطبراني وإسناده حسن

الإسراف والتبذير

معنى الإسراف

في اللغة: مجاوزة القصد، مصدر من أسرف إسر افًا، والسَّرَف اسم منه، يقال: أسرف في ماله: عجل من غير قصد، وأصل هذه المادة يدُلُّ على تعدِّي الحدِّ، والإغفال أيضًا للشيء

في الاصطلاح: هو صرف الشيء فيما ينبغي زائدًا على ما ينبغي

وقال الراغب: (السرف: تجاوز الحد في كلِّ فعل يفعله الإنسان، وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر)

وقال الشريف الجرجاني: (الإسراف: هو إنفاق المال الكثير في الغرض الخسيس. وقيل تجاوز الحدِّ في النفقة، وقيل: أن يأكل الرجل ما لا يحلُّ له، أو يأكل مما يحل له فوق الاعتدال، ومقدار الحاجة. وقيل: الإسراف تجاوز في الكمية، فهو جهل بمقادير الحقوق)

معنى التبذير

في اللغة : مصدر بذَّر تبذيرًا، وأصله إلقاء البذر وطرحه، فاستعير لكلِّ مضيع لماله، وبذرماله: أفسده و أنفقه في السرف. وكل ما فرقته و أفسدته، فقد بذرته، والمباذروالمبذِّر: المسرف في النفقة؛ وأصل هذه المادة يدلُّ على نثر الشيء وتَفْرِيقه

في الاصطلاح: قال الشافعي: (التبذير إنفاق المال في غير حقِّه) وقيل: التبذير صرف الشيء فيما لا ينبغي وقيل: هو تفريق المال على وجه الإسراف.

اختلاف المعاني اللغوية

الفرق بين الإسراف والتبذير

هناك فرق بين الإسراف والتبذير. فالإسراف هو صرف الشيء فيما ينبغي زائدًا على ما ينبغي، أما التبذير: فإنه صرف الشيء فيما لا ينبغي.

فالإسراف يعني أن الشخص يبالغ في ما أباحه الله وفوق ما يحتاج، مثال على ذلك أن يقوم الشخص بملء طبقه من مائدة الطعام حتى لو لم يكن محتاجاً لذلك، فهذا يعني أنه أسرف في شيء مباح أي الطعام؛ لأنه قد يأكل فقط نصف هذا الطبق والباقي سيرميه. وقد نهى الإسلام عن الإسراف.

حكمهما في الإسلام

النهي عنهما في القرآن

يقول الله في سورة الإسراء: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ٢٦ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ٢٧﴾

قال ابن كثير أي في التبذير والسفه وترك طاعة الله ولهذا قال: (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) أي: جحودًا؛ لأنَّه أنكر نعمة الله عليه ولم يعمل بطاعته بل أقبل على معصيته ومخالفته).

وقال القاسمي: (أي: أمثالهم في كفران نعمة المال بصرفه فيما لا ينبغي. وهذا غاية المذمة؛ لأن لا شرَّ من الشيطان، أو هم إخوانهم أتباعهم في المصادقة والإطاعة، كما يطيع الصديق صديقه والتابع متبوعه، أو هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد. والجملة تعليل المنهي عنه عن التبذير، ببيان أنَّه يجعل صاحبه مقرونًا معهم. وقوله: وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا من تتمة التعليل. قال أبو السعود: أي: مبالغًا في كفران نعمته تعالى؛ لأنَّ شأنه أن يصرف جميع ما أعطاه الله تعالى من القوى إلى غير ما خلقت له من أنواع المعاصي، والإفساد في الأرض، وإضلال الناس، وحملهم على الكفر بالله، وكفران نعمه الفائضة عليهم، وصرفها إلى غير ما أمر الله تعالى به. وتخصيص هذا الوصف بالذكر، من بين سائر أوصافه القبيحة؛ للإيذان بأنَّ التبذير، الذي هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى إلى غير مصرفها، من باب الكفران، المقابل للشكر الذي هو عبارة عن صرفها إلى ما خلقت هي له. والتعرض لوصف الربوبية؛ للإشعار بكامل عتوّه. فإنَّ كفران نعمة الرب، مع كون الربوبية من أقوى الدواعي إلى شكرها، غاية الكفران ونهاية الضلال والطغيان).

يقول الله في سورة الأنعام : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ

قال الطبري: (السرف الذي نهى الله عنه في هذه الآية، مجاوزة القدر في العطية إلى ما يجحف برب المال).

يقول الله في سورة الأعراف : ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ٣١﴾

(قال السدي: ولا تسرفوا، أي: لا تعطوا أموالكم فتقعدوا فقراء. قال الزجاج: على هذا إذا أعطى الإنسان كلَّ ماله، ولم يوصل إلى عياله شيئًا فقد أسرف).
وقال الماوردي: فيه ثلاثة تأويلات:
أحدها: لا تسرفوا في التحريم -قاله السدي-.
والثاني: معناه لا تأكلوا حرامًا فإنَّه إسراف -قاله ابن زيد-.
والثالث: لا تسرفوا في أكل ما زاد على الشبع فإنَّه مضرٌّ).
وقال السعدي: (فإنَّ السرف يبغضه الله، ويضرُّ بدن الإنسان ومعيشته، حتى إنه ربما أدَّت به الحال إلى أن يعجز عما يجب عليه من النفقات، ففي هذه الآية الكريمة الأمر بتناول الأكل والشرب، والنهي عن تركهما، وعن الإسراف فيهما).
يقول الله في سورة الفرقان : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ٦٧﴾ [الفرقان:67]
قال ابن كثير أي ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ولا بخلاء على أهليهم فيقصرون في حقّهم بل عدلًا خيارًا، وكما قال سبحانه في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ٢٩﴾
النهي عنهما في السنة
عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرَّقوا ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال
قال العيني قوله إضاعة المال هو صرفه في غير ما ينبغي.

وذكر القاري عن الطيبي قوله: (قيل: والتقسيم الحاصر فيه الحاوي بجميع أقسامه أن تقول: إنَّ الذي يصرف إليه المال، إما أن يكون واجبًا، كالنفقة والزكاة ونحوهما، فهذا لا ضياع فيه، وهكذا إن كان مندوبًا إليه، وإما أن يكون مباحًا، ولا إشكال إلا في هذا القسم، إذ كثير من الأمور يعدُّه بعض الناس من المباحات، وعند التحقيق ليس كذلك، كتشييد الأبنية وتزيينها، والإسراف في النفقة، والتوسع في لبس الثياب الناعمة والأطعمة الشهية اللذيذة، و أنت تعلم أنَّ قساوة القلب وغلظ الطبع يتولَّد من لبس الرقاق، وأكل الرقاق، وسائر أنواع الارتفاق، ويدخل فيه تمويه الأو اني والسقوف بالذهب والفضة، وسوء القيام على ما يملكه من الرقيق والدواب، حتى تضيع وتهلك، وقسمة ما لا ينتفع الشريك به كاللؤلؤة والسيف يكسران، وكذا احتمال الغبن الفاحش في البياعات، و إيتاء المال صاحبه وهو سفيه حقيق بالحجر، وهذا الحديث أصل في معرفة حسن الخلق الذي هو منبع الأخلاق الحميدة، والخلال الجميلة).

عن عمرو بن شعيب أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: إني فقير ليس لي شيء ولي يتيم قال: (كلْ من مال يتيمك غير مسرف ولا مباذر ولا متأثِّل)

قال النخعي لا يلبس الكتان ولا الحلل ولكن ما يستر العورة ويأكل ما يسدُّ الجوعة).

الإسراف والتبذير عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: (كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ما لم يخالطه إسراف، أو مخيلة).

محاسبة النفس

محاسبة النفس في الإسلام هو مفهوم يعني القيام بتصفية وتنقية النفس البشرية من ذنوبها ومعاصيها، حيث إنه لابد للشخص العاقل أن يقوم بتخصيص وقتاً يومياً يقوم به بالاختلاء بنفسه ليحاسبها عما قدمت في ذلك اليوم من أعمال أو من ذنوب، فمن المعروف أن إهمال الإنسان لمتابعة أعماله ولحساب نفسه سيؤدي به إلى التمادي في الذنوب والآثام، ولعل قول الله عز وجل من أبرز الدلائل على ضرورة قيام الإنسان بمحاسبة نفسه ومراقبتها، وذلك في قوله تعالى ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ١٤﴾ [القيامة:14]، فلو استطاع أن يكون بصيراً على نفسه محاسباً لها قبل أن يحاسب يوم القيامة لنجا واستطاع الفوز برضوان الله عز وجل عليه.

مفهوم محاسبة النفس

قال ابن القيم: هي التمييز بين ما لَهُ وما عليه (يقصد العبد) فيستصحب ما له ويؤدي ما عليه؛ لأنه مسافر سفر من لا يعود

وقال الماوردي: «أن يتصفّح الإنسان في ليله ما صدر من أفعال نهاره، فإن كان محموداً أمضاه و أتبعه بما شاكله وضاهاه، وإن كان مذموماً استدركه إن أمكن و انتهى عن مثله في المستقبل».

وأما الحارث المحاسبي فقد عرّفها بقوله: «هي التثبّت في جميع الأحوال قبل الفعل والترك من العقد بالضمير، أو الفعل بالجارحة؛ حتى يتبيّن له ما يفعل وما يترك، فإن تبيّن له ما كره الله . عز وجل . جانبه بعقد ضمير قلبه، وكفّ جوارحه عمّا كرهه الله . عز وجل . ومَنَع نفسه من الإمساك عن ترك الفرض، وسارع إلى أدائه»

فوائد محاسبة النفس

ومن فوائد محاسبة النفس:

الاطِّلاع على عيوب النفس، ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه إزالته.

دليل على الخوف من الله والاستعداد للقائه.

تبين للمؤمن حقيقة الربح والخسران.

محاسبة النفس في الدنيا تريح المؤمن يوم القيامة.

فيه امتثال لأمر الله تعالى.

تبعد عن الغفلة، والاستمرار في المعاصي، والذنوب.

تعين المؤمن، وتساعده في استدراك ما نقص من الفرائض، والنوافل.

تثمر محبة الله ورضوانه.

أنه يعرف بذلك حق الله تعالى عليه، ومن لم يعرف حق الله تعالى عليه، فإن عبادته لا تكاد تجدي عليه، وهي قليلة المنفعة جدًّا.

أن صلاح القلب بمحاسبة النفس، وفساده بإهمالها والاسترسال معها.

طريق لاستقامة القلوب وتزكية النفوس؛ فإن زكتها موقوفة على محاسبتها، فلا تزكو ولا تطهر ولا تصلح ألبته إلا بمحاسبتها.

أنها دليل على صلاح الإنسان وعلى خوفه من الله؛ فغير الخائف من الله ليس عنده من الدواعي ما يجعله يقف مع نفسه فيحاسبها ويعاتبها على تقصيرها

أنها الطريق إلى التوبة؛ وذلك لأنه إذا حاسب نفسه أدرك تقصيره في جنب الله، فقاده هذا إلى التوبة.

المقصود من محاسبة النفس

والمقصود من محاسبة النفس النظرُ بما يوجبه وما يقتضيه من كمال الاستعداد ليوم المعادِ، وتقديم ما يُنجيه من عذاب الله، ويُبيِّض وجهه عند الله، وعليه في محاسبته لنفسه أن يقايس بين نعمة الله وجناية العبد، فحينئذٍ يظهر له التفاوتُ، ويعلم أنه ليس إلا عفوُ الله أو الهلاك والعطب، وبهذه المقايسة يعلم العبدُ أنَّ الربَ ربٌّ والعبدُ عبدٌ، وتتبيَّن له حقيقة النفس وصفاتها، وعظمة وجلال ربوبية الله، وتفرُّد الله بالكمال والإفضال، ويعلم أنه لولا فضل الله ورحمته بتزكيته لنفس العبد، ما زكت أبدًا، ولولا إرشاده وتوفيقه لما كان لها وصول إلى الخير، وتدعو بالدعاء: (أبوء لك بنعمتك عليَّ، و أبوء لك بذنبي)، ثم يقايس بين الحسنات والسيئات فيعلم أيهما أكثر وأرجح قدرًا وصفة.

الأسباب المعينة على محاسبة النفس

يعين المرء على محاسبته لنفسه عدة أمور منها:

التذكير بتحقيق سعادة الدارين ونيل رضى الله تعالى ومحبته؛ لأنه إذا حاسب نفسه علم تقصيرها، وأنه مهما عمل لم يقم بما طلب منه القيام به، وأنه لو قام بما طلب منه احتاج إلى شكر الله الذي منّ عليه بأن وفقه للقيام بما أمر به، وإذا أدرك تقصيره في جنب الله قاده في ذلك إلى أن يبذل المزيد من الجهد، وأن يتدارك النقص، ويستعد أكمال الاستعداد ليوم المعاد؛ ومن هذه الحالة ينال رضى الله ومحبته سبحانه.

يطلع على عيوب نفسه: لأنه بالمحاسبة لابد أن يجد في نفسه عيباً، فإذا اطلع على عيبها مقتها في ذات الله تعالى، وأما من لم يحاسب نفسه لم يطلع على عيوبها، ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه إزالته.

إخلاص النية الله: لأن المحاسبة وقفة خفية بينك وبين نفسك لا يعلمها إلا الله، وأنت أدرى بنفسك وبحقيقة أعمالك؛ تعرف هل عملت هذا العمل رياء أو سمعة أو عملته الله.

استشعار المسلم للهدف الذي خلق من أجله: إذا حاسبت نفسك علمت أنك لم تخلق عبثاً ولن تترك سدى، لم تخلق للأكل والشرب والنكاح وجمع الأموال، خلقت لأمر عظيم وهيئت لأمر جسيم، فحينها تستشعر الهدف الذي خلقت من أجله

الاجتهاد في الطاعة: فإن الصائمين في حر النهار ما صاموا إلا بعد محاسبتهم لأنفسهم، والقائمين الليل لماذا كانوا يقومون الليل، والتالين للقرآن، والباذلين أموالهم في سبيل الله، وغيرهم ما فعلوا ما فعلوا إلا بعد محاسبتهم لأنفسهم.

البعد عن المعاصي صغيرها وكبيرها؛ لأنه إذا حاسب نفسه على المعصية دعاه ذلك إلى أن لا يعملها مرة أخرى، وبذلك يبتعد قدر الإمكان عن المعاصي.

الزهد في الدنيا: لأنه سيعرف حقيقة الدنيا وحقية نفسه وما تريد، وسيدرك أن الدنيا دار ممر وفناء، يزرع بها العبد ما يحب أن يراه غداً، مما يجعله ينظر إلى الدنيا على أنها مزرعة للآخرة؛ فلا ينافس أهلها عليها.

مراقبة الله؛ لأنه كلما هم بمعصية حاسب نفسه، وكلما هم بتقصير في واجب حاسب نفسه، وهذه هي المراقبة لله حتى يصل إلى مرتبة الإحسان.

الحِلم

معنى الحِلم

الحلم : هو الأناة والتثبت في الأمر، وضبط النفس وكظم الغيظ .
فالحليم هو الذي لا يستفزه الغضب ، ولا يتسرع بالعقوبة، بل يتريث، ويتصرف على وفق مقتضيات الحكمة .
والحلم صفة من صفات ربنا فهو الحليم بعباده، (وكان الله عليما حليما) (الأحزاب:5) ، ومعناه : الصبور الذي لا يستخفه عصيان العصاة ، ولا يستفزه الغضب عليهم فيعجل بالانتقام منهم، ولكن يفسح لهم باب التوبة والندم، أو يمهلهم ليقيم عليهم الحجة، فإذا أخذهم أخذهم، بحق وحكمة، أخذ عزيز مقتدر: " إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته " .
وليس معنى الحلم التباطؤ والكسل، و إنما هو وسط بين طرفين ، وفضيلة بين رذيلتين ، فإذا زاد عن حده كان تو انيا وإهمالا أو تبلد طبع، و انعدامه أو ضعفه عجلة وطيش وسرعة غضب، والأصل هو القصد والاعتدال .

الحلم محمود شرعا وعقلا

والحلم خلق محمود شرعا وعقلا، فالعقل السليم يدرك خطر الاندفاع وراء العواطف والغر ائز، أو وراء الانفعالات والشهوات، أو وراء كل ما يميل بصاحبه

نحو الجنوح والانحراف. كما أنه يعلم فضيلة التأني والتريث، وضبط النفس وعدم العجلة، وما وراء ذلك من منافع جمة، ومقاصد مهمة.

وأما في الشرع ، فيكفي الحلم فضيلة أن يتصف الله تعالى به ويتسمى به ، فالحلم اسم من أسماء الله الحسنى وصفة من صفاته العلا.

وقد امتدح الله رسوله عليه الصلاة والسلام على كل أخلاقه، ومنها الحلم الذي كان شامة في أخلاقه ﷺ .

روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مه ، مه ، فقال رسول الله ﷺ : "لا تزرموه (أي لا تقطعوا عليه بوله)، دعوه " قال أنس : فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له : " إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر، إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن " . أو كما قال ﷺ . قال أنس : وأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فسنه (أي فصبه) عليه .

وروى الشيخان أيضا من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كأني أنظر إلى رسول الله يحكي نبيا من الأنبياء صلوات الله عليهم ، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون". فأي شفقة وأي عفو وصفح وحلم يضاهي هذا الحلم إلا حلمه هو نفسه عمن آذوه في ثقيف ، فعرض عليه ملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشبين فقال :" بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا " . متفق عليه .

أو حلمه العظيم حين مكنه الله من قريش فعفا وصفح ولم يثرب ، بل قال قولته المشهورة : "اذهبوا فأنتم الطلقاء" .
واستقصاء مو اقف حلمه تستعصي على المستقصى، وفي مو اقف أصحابه و أتباعه بعض إشارة لهذا الجانب من جو انب أخلاقه عليه الصلاة والسلام، إذ منه تعلموا وعلى يديه تربوا.
قال معاوية يوما لابنه : يا بني من عفا ساد، ومن حلم عظم، ومن تجاوز استمال إليه القلوب .
وقد كان معاوية يعرف بالحلم، وله فيه أخبار مشهورة، و آثار مذكورة ، وكان يقول : إني لآنف أن يكون في الأرض جهل لا يسعه حلمي، وذنب لا يسعه عفوي، وحاجة لا يسعها جودي .. وهذا مروءة عالية المرتبة .
وتغيظ عبد الملك بن مروان على رجل فقال : والله لئن أمكنني الله منه لأفعلن به كذا وكذا ، فلما صار بين يديه قال له : رجاء بن حيوة : يا أمير المؤمنين قد صنع الله ما أحببت فاصنع ما أحب الله . فعفا عنه وأمر له بصلة .
قال الحسن البصري : إن أفضل رداء تردى به الإنسان الحلم، وهو والله عليك أحسن من برد الحبر.
عن معاذ بن جبل عن أنس عن النبي ﷺ : " من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من أي الحور شاء
اللهم اجعلنا من الذين يعفون ويصفحون .

الحياء

إن الحياء خلق يبعث على فعل كل مليح وترك كل قبيح، فهو من صفات النفس المحمودة.. وهو رأس مكارم الأخلاق، وزينة الإيمان، وشعار الإسلام؛ كما في الحديث: "إن لكل دين خلقا، وخلق الإسلام الحياء". فالحياء دليل على الخير، وهو المخبر عن السلامة، والمجير من الذم.

قال وهب بن منبه: الإيمان عريان، ولباسه التقوى، وزينته الحياء.

وقيل أيضا: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه.

حياؤك فاحفظه عليك فإنما.. ... ..يدل على فضل الكريم حياؤه

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه.. ... ..ولا خير في وجه إذا قل ماؤه

ونظرا لما للحياء من مزايا وفضائل؛ فقد أمر الشرع بالتخلق به وحث عليه، بل جعله من الإيمان، ففي الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال: "الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان".

وفي الحديث أيضا: "الحياء والإيمان قرنا جميعا، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر".

والسر في كون الحياء من الإيمان: أن كلا منهما داع إلى الخير مقرب منه، صارف عن الشر مبعد عنه، وصدق القائل:

ورب قبيحة ما حال بيني.. ... ..وبين ركوبها إلا الحياء

وإذا رأيت في الناس جرأة وبذاءة وفحشا، فاعلم أن من أعظم أسبابه فقدان الحياء، قال ﷺ: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت".

وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

إذا لم تخش عاقبة الليالي.. ... ..ولم تستح فاصنع ما تشاء
يعيش المرء ما استحيا. بخير . ... ..ويبقى العود ما بقي اللحاء

ليس من الحياء:

إن بعض الناس يمتنع عن بعض الخير، وعن قول الحق وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بزعم الحياء، وهذا ولا شك فهم مغلوط لمعنى الحياء؛ فخير البشر محمد ﷺ كان أشد الناس حياء، بل أشد حياء من العذراء في خدرها، ولم يمنعه حياؤه عن قول الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل والغضب لله إذا انتهكت محارمه.

كما لم يمنع الحياء من طلب العلم والسؤال عن مسائل الدين، كما رأينا أم سليم الأنصارية رضي الله عنها تسأل رسول الله ﷺ: يا رسول الله! إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة غسل إذا احتلمت؟

لم يمنعها الحياء من السؤال، ولم يمنع الحياء الرسول ﷺ من البيان؛ فقال: "نعم، إذا رأت الماء".

أنواع الحياء:

قسم بعضهم الحياء إلى أنواع، ومنها:

1- الحياء من الله.

2- الحياء من الملائكة.

3- الحياء من الناس.

4- الحياء من النفس.

أولا: الحياء من الله:

حين يستقر في نفس العبد أن الله يراه، و أنه سبحانه معه في كل حين، فإنه يستحي من الله أن يراه مقصرا في فريضة، أو مرتكبا لمعصية.. قال الله عزوجل: (ألم يعلم بأن الله يرى)[العلق:14]. وقال: (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على اطلاعه على أحوال عباده، و أنه رقيب عليهم، وقد قال النبي ﷺ لأصحابه: "استحيوا من الله حق الحياء. فقالوا: يا رسول الله! إنا نستحي. قال: ليس ذاكم، ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء".

خلا رجل بامرأة فأرادها على الفاحشة، فقال لها: ما يرانا إلا الكواكب. قالت: فأين مكوكبها؟(تعني أين خالقها)

ولله در القائل:

وإذا خلوت بريبة في ظلمة   والنفس داعية إلى الطغيان

فاستحيي من نظر الإله وقل لها   إن الذي خلق الظلام يراني

ثانيا: الحياء من الملائكة:

قال بعض الصحابة: إن معكم من لا يفارقكم، فاستحيوا منهم، وأكرموهم.

وقد نبه سبحانه على هذا المعنى بقوله: (وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين * يعلمون ما تفعلون)

قال ابن القيم رحمه الله:[أي استحيوا من هؤلاء الحافظين الكرام، وأكرموهم، وأجلوهم أن يروا منكم ما تستحيون أن يراكم عليه من هو مثلكم، والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فإذا كان ابن آدم يتأذى ممن يفجر ويعصي بين يديه، وإن كان قد يعمل مثل عمله، فما الظن بإيذاء الملائكة الكرام الكاتبين؟!

وكان أحدهم إذا خلا يقول: أهلا بملائكة ربي.. لا أعدمكم اليوم خيرا، خذوا على بركة الله.. ثم يذكر الله.

ثالثا: الحياء من الناس:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: لا خير فيمن لا يستحي من الناس.

وقال مجاهد: لو أن المسلم لم يصب من أخيه إلا أن حياءه منه يمنعه من المعاصي لكفاه.

وقد نصب النبي ﷺ هذا الحياء حكما على أفعال المرء وجعله ضابطا وميزانا، فقال: "ما كرهت أن يراه الناس فلا تفعله إذا خلوت".

رابعا: الاستحياء من النفس:

من استحيا من الناس ولم يستح من نفسه، فنفسه أخس عنده من غيره، فحق الإنسان إذا هم بقبيح أن يتصور أحدا من نفسه كأنه يراه، ويكون هذا الحياء بالعفة وصيانة الخلوات وحسن السريرة.

فإذا كبرت عند العبد نفسه فسيكون استحياؤه منها أعظم من استحيائه من غيره.

قال بعض السلف: من عمل في السر عملا يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر.

إن الحياء تمام الكرم، وموطن الرضا، وممهد الثناء، وموفر العقل، ومعظم القدر:

إني لأستر ما ذو العقل ساتره.. ... ..من حاجة وأميت السر كتمانا

وحاجة دون أخرى قد سمحت بها.. ... ..جعلتها للتي أخفيت عنوانا

إني كأني أرى من لا حياء له.. ... ..ولا أمانة وسط القوم عريانا

رزقنا الله و إياكم كمال الحياء والخشية وختم لنا ولكم بخير..

العفة

العِفَّةُ لُغةً: الكَفُّ عمَّا لا يَحِلُّ ويَجْمُلُ؛ يقال: عَفَّ عن المحارِمِ والأطْماعِ الدَّنِيَّةِ. والاسْتِعْفافُ: طلَبُ العَفافِ .

العِفَّةُ اصطلاحًا: ضبْطُ النَّفْسِ عن الشَّهواتِ، وقَصْرُها على الاكتفاءِ بما يُقِيمُ أوَدِ الجسَدِ ويَحفَظُ صِحَّتَه فقطْ، واجتنابُ السَّرفِ في جميعِ الملذَّاتِ، وقصْدُ الاعتدالِ

- قال سُبحانه: وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ [النور: 33].

- وقال تعالى: لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ [البقرة: 273].

- عن أبي هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه، أنَّه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (ثلاثةٌ حقٌّ على اللهِ عَونُهم: المُجاهِدُ في سَبيلِ اللهِ، والمُكاتَبُ الذي يُرِيدُ الأداءَ، والنَّاكحُ الذي يُرِيدُ العَفافَ) ؛ فهذه مِن الأمورِ الشاقَّة التي تَقصِمُ ظهر الإنسان، لولا أنَّ اللهَ تعالى يُعينه عليها لا يقومُ بها، وأصعبُها العفافُ؛ لأنَّه قَمعُ الشهوةِ الجِبليَّةِ المركوزةِ فيه .

- وعن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضِيَ اللهُ عنه، أنَّه قال: (إنَّ ناسًا مِن الأنصارِ سَألوا رسولَ اللهِ ﷺ فأعطاهُم، ثمَّ سَألوهُ فأعطاهُم، حتَّى نَفِدَ ما عندَهُ، قال: ما يكُن

عندي مِن خيرٍ فلنْ أدَّخِرَه عنكم، ومَن يَسْتعفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، ومَن يَسْتغْنِ يُغْنِه اللهُ، ومَن يَصبِرْ يُصبِّرْه اللهُ، وما أُعْطِيَ أحدٌ مِن عطاءٍ خيرٌ وأوسَعُ مِن الصَّبرِ)

قال عمرُ بنُ الخطَّابِ رضِيَ اللهُ عنه: (المُروءةُ مُروءتانِ: مُروءةٌ ظاهرةٌ، ومُروءةٌ باطنةٌ؛ فالمُروءةُ الظَّاهرةُ الرِّيَاشُ، والمُروءةُ الباطنةُ العَفَافُ) .

- قال عبدُ اللهِ بنُ عمَرَ رضِيَ اللهُ عنهما: (نحن معشرَ قُريشٍ نعُدُّ الحِلْمَ والجُودَ السُّؤددَ، ونعُدُّ العَفافَ وإصلاحَ المالِ المُروءةَ) .

- قال أيُّوبُ السَّختيانيُّ: (لا يَنبُلُ الرَّجلُ حتَّى يكونَ فيه خَصلتانِ: العِفَّةُ عن أموالِ النَّاسِ، والتَّجاوزُ عنهم)

العِفَّةُ نوعانِ: أحدُهما: العِفَّةُ عن المحارِمِ، والثاني: العِفَّةُ عن المآثِمِ.

فأمَّا العِفَّةُ عن المحارِمِ فنوعانِ: أحدُهما: ضبْطُ الفرْجِ عن الحرامِ، والثاني: كفُّ اللِّسانِ عن الأعراضِ.

وأمَّا العِفَّةُ عن المآثِمِ فنوعانِ: أحدُهما: الكفُّ عن المُجاهَرةِ بالظُّلمِ، والثاني: زَجْرُ النَّفْسِ عن الإسرارِ بخيانةٍ

آثار العفة هي:

1- سلامةُ المُجتمعِ مِن الفواحشِ.

2- أنَّ العفيفَ مِن السَّبعةِ الذين يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه.

3- العِفَّةُ سببٌ للنَّجاةِ مِن الابتلاءاتِ والمضايقِ

- كان النَّبيُّ ﷺ في أعْلى دَرجاتِ العِفَّةِ؛ فعن أبي هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه، أنَّه قال: أخَذَ الحسنُ بنُ عليٍّ تمْرةً مِن تمْرِ الصَّدقةِ، فجعَلَها في فِيهِ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: (كِخْ كِخْ، ارْمِ بها، أمَا علِمْتَ أنَّا لا نَأكُلُ الصَّدقةَ؟) .

- عن حَكيمِ بنِ حزامٍ رضِيَ اللهُ عنه، قال: (سألْتُ رسولَ اللهِ ﷺ فأعْطاني، ثمَّ سألْتُه فأعْطاني، ثمَّ سألْتُه فأعْطاني، ثمَّ قال: يا حكيمُ، إنَّ هذا المالَ خَضِرةٌ حُلْوةٌ، فمَن أخَذهُ بسَخاوةِ نفْسٍ بُورِكَ له فيه، ومَن أخذَهُ بإشرافِ نفْسٍ لم يُبارَكْ له فيه كالذي يَأكُلُ ولا يَشبَعُ، اليدُ العُلْيا خيرٌ مِن اليَدِ السُّفلى. قال حكيمٌ: فقلْتُ: يا رسولَ اللهِ، والذي بَعثَك بالحقِّ لا أرْزَأُ أحدًا بعدَك شيئًا حتَّى أُفارِقَ الدُّنيا. فكان أبو بكرٍ رضِيَ اللهُ عنه يَدعُو حَكيمًا إلى العطاءِ، فيأْبى أنْ يَقبلَهُ منه، ثمَّ إنَّ عمَرَ رضِيَ اللهُ عنه دعاهُ لِيُعطِيَه، فأبَى أنْ يَقبلَ منه شيئًا، فقال عمرُ: إنِّي أُشهِدُكم يا معشرَ المسلمين على حكيمٍ أنِّي أعْرِضُ عليه حقَّه مِن هذا الفيءِ، فيَأبى أنْ يأْخُذَه. فلم يَرزَأْ حَكيمٌ أحدًا مِن النَّاسِ بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ حتَّى تُوفِّيَ) .

- عن سَعْدَانَ قال: (أمَرَ قومٌ امرأةً ذاتَ جمالٍ بارعٍ أنْ تَتعرَّضَ للرَّبيعِ بنِ خُثَيمٍ فلَعلَّها تَفتِنُهُ، وجَعلوا لها إنْ فعَلَتْ ذلك ألْفَ دِرهمٍ، فلَبِسَت أحسَنَ ما قدَرَتْ عليه مِن الثِّيابِ، وتطيَّبَتْ بأطيبِ ما قدَرَتْ عليه، ثمَّ تعرَّضَت له حِين خرَجَ مِن مَسجِدِه، فنظَرَ إليها، فراعَهُ أمْرُها، فأقبَلَتْ عليه وهي سافرةٌ، فقال لها الرَّبيعُ: كيف بك لو قد نزلَتِ الحُمَّى بجسمِكِ، فغيَّرتْ ما أرى مِن لَونِك وبَهجتِك؟! أمْ كيف بكِ لو قد نزَلَ بك مَلَكُ الموتِ، فقطَعَ منك حبْلَ الوتينِ؟! أمْ كيف بكِ لو قد ساءَلَك مُنكَرٌ ونكيرٌ؟! فصرَخَتْ صرخةً، فسقَطَتْ مَغشِيًّا عليها. فواللهِ لقد أفاقَتْ وبلغَتْ مِن عبادةِ ربِّها: أنَّها كانت يومَ ماتَتْ كأنَّها جِذعٌ مُحترِقٌ) اللهم اجعلنا من المتصفين بالعفة والعفاف

إماطة الأذى عن الطريق

قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾
ثم قال ايضا﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7، 8]،

إن أعمال الخير تكون بالقلب واللسان والجوارح، فتوجد في القلب اعتقادًا، وفي اللسان نُطقًا، وفي الجوارح فِعلاً، والكف عن الشر يكون كذلك، فتعتقد تحريمه، وتُمسِك عن مقالك له، وتَكُف عنه جوارحك، بهذا يتكامل إسلامك؛ قال ﷺ: (المسلم من سَلِم المسلمون من لسانه ويده)، وبهذا الوصف يَحصُل الاستسلام التام والانقياد الكامل، فلا يَغِب عن ذهْنك هذا الوصف العظيم، تَحْظ بالخير الكثير، ويَسعَد بك مجتمعك الإسلامي، ويتكامل بناؤه.

وليكن امتناعك عن إيذاء المسلمين والإساءة إليهم بيدك أو لسانك محض الطاعة لله تعالى وللرسول ﷺ، وبذلك تنال أجرَ الطائعين لربهم، الخائفين من عقابه وعذابه، فإن أنت تركتَ إيذاء المسلمين مخافةَ عقوبتهم أو هيبة من السلطة، سلِمت في هذه الدنيا ولم تجد في الآخرة ثوابًا؛ قال تعالى فيمن آذى مسلمًا أو مؤمنًا في القول أو الفعل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: 58]، وإن من أذيتهم ما يُوضَع في طرقاتهم وأسواقهم مما يؤذيهم ويُدنِّس ثيابهم و أقدامهم ونِعالهم، أو بما يجرح أبدانهم ويُعرِّضهم لما يؤلمهم كالأحجار والأخشاب والزجاج والمسامير، أو بما يُضيِّق طرقاتهم كالتراب وحَفْر الحفر بلا ضرورة، أو لضرورة ويتساهل

أصحابها في إزالتها أو بوضع حواجز للحماية منها.كما أن هذا يؤذي المؤمنين، ويُعتَبر من الإساءة إليهم، فإزالته من بِرّهم والإحسان إليهم، وهو من الإيمان العملي؛ قال ﷺ: (الإيمان بِضْع وسبعون شُعْبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق).

وقال ﷺ: (عُرِضتْ عليَّ أعمال أمتي، حَسَنها وسيئها، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يُماط عن الطريق، ووجدتُ في مساوئ أعمالها النخاعة تكون في المسجد).

وبهذا أيضًا نعرف أن الإسلام دين عبادة وعمل ونظافة واجتماع وتعاون، وبهذا أيضًا نعرف أنه يَحصُل الفرق بيننا وبين الكفار؛ بأننا نَعْمل للنظافة في أبداننا وأسواقنا عملاً إسلاميًّا يزيد دنيانا مرأى وجمالاً، ويزيدها قوة، ويكون لنا من الثواب في الآخرة على هذا العمل إن شاء الله، أما هم، فيعملون ذلك عملاً إنسانيًّا، فغايتهم صحة أبدانهم وتحسين ما تراه أعينهم؛ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة، ولا بجنة ونار؛ لعدم إقرارهم بالإسلام.

قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ [النجم: 29، 30]، وقال ﷺ في فضل مزيل الأذى عن الطريق، و أنه مُستحِق لشكر الله تعالى ومغفرته لذنوبه: (بينما رجل يمشي في الطريق وجد غصن شجرة - أو غصن شوك - فأخَّره، فشكر الله له، فغفر له).

وعن أبي برزة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، عِلّمني شيئًا ينفعني، قال: (اعزل الأذى عن طريق المسلمين)، وقال: (رأيتُ رجلاً يتقلَّب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين)؛ رواه مسلم.

وفي رواية أخرى: (بينما رجل يمشي في الطريق وجد غصنَ شوك على الطريق فأخَّره، فشكر الله له، فغفر له)، وفي رواية أخرى: (مرَّ رجل بغصن شجرة في ظهر الطريق، فقال: والله لأُنحينَّ هذا عن المسلمين؛ حتى لا يؤذيهم، فأُدخِل الجنَّة).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (كل سُلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تَطلُع فيه الشمس: تَعدِل بين اثنين صدقة، وتُعين الرجل في دابته، فتحمله أو ترفع له عليها متاعه، صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتُميط الأذى عن الطريق صدقة)؛ متفق عليه، ورواه مسلم من رواية عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (خلق الله ابن آدم على ستين وثلاثمائة مَفصِل، فمن ذكر الله، وحمِد الله، وهلَّل الله، وسبَّح الله، وعزل حجرًا عن طريق المسلمين، أو عزل شوكة، أو عزل عظمًا، أو أمَر بمعروف، أو نهى عن منكر، عدد الستين والثلاثمائة السلامى، أمسى من يومه وقد زحزح نفسه عن النار).

بهذا اكون قد اتيت الى نهاية هذا الكتاب اسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به كل من قرأه واطلع عليه آمين والحمد لله رب العالمين.

تم بحمد اللّه
وتوفيقه